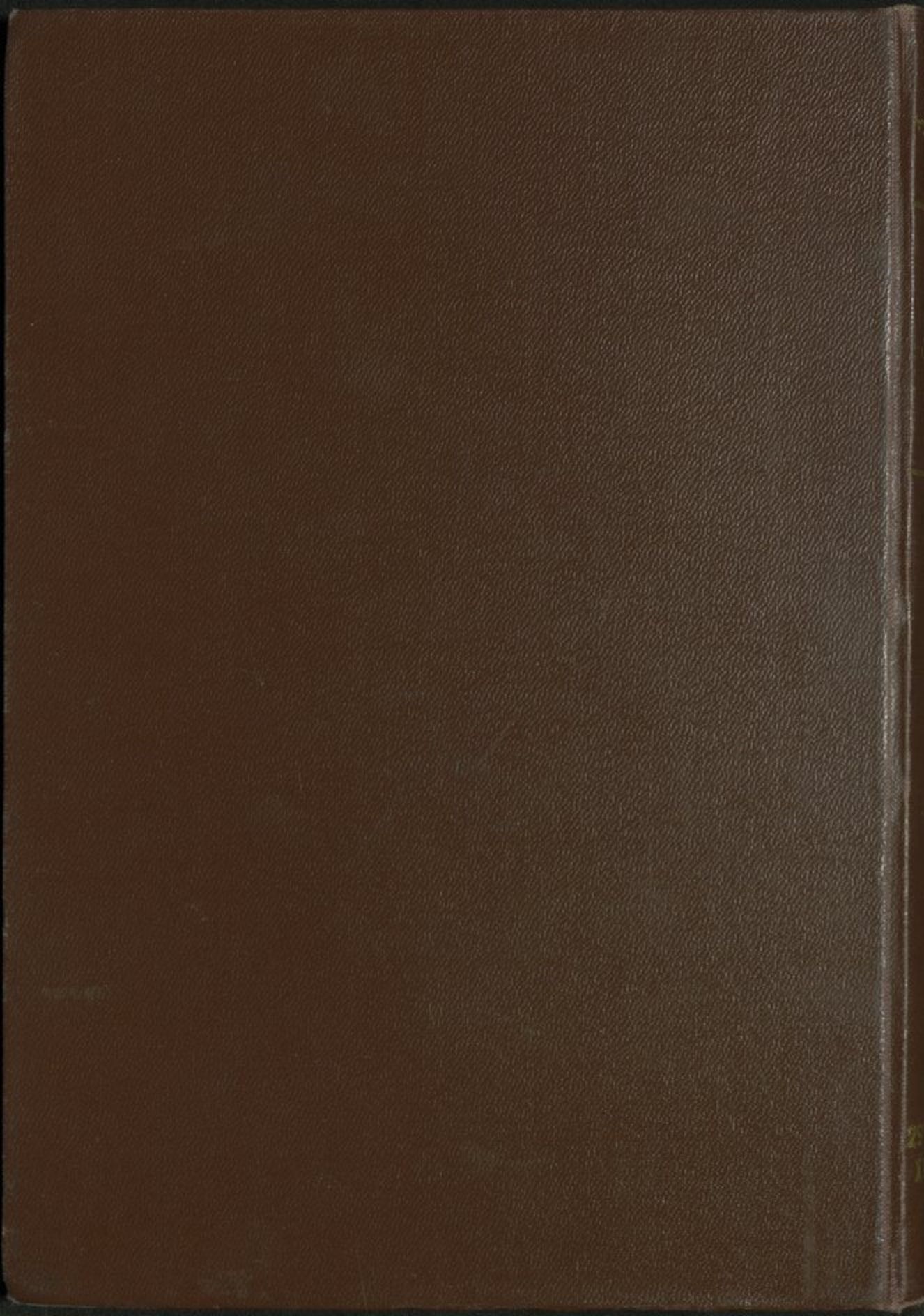




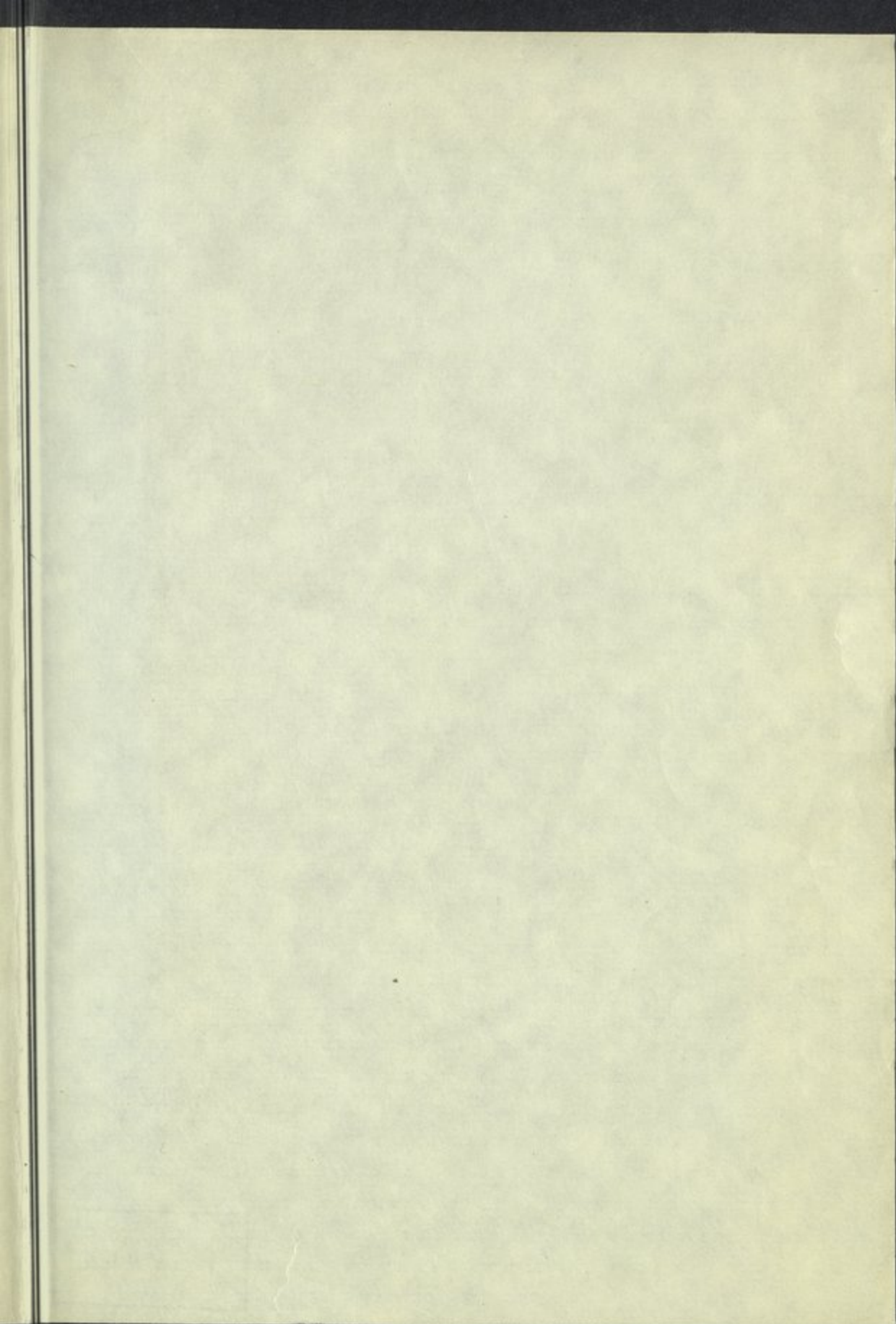


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



LIBRARY
1970

N. MAKHOUL
BINDERY
16 APR 1970
Tel. 260458



الفرقان

الكتاب

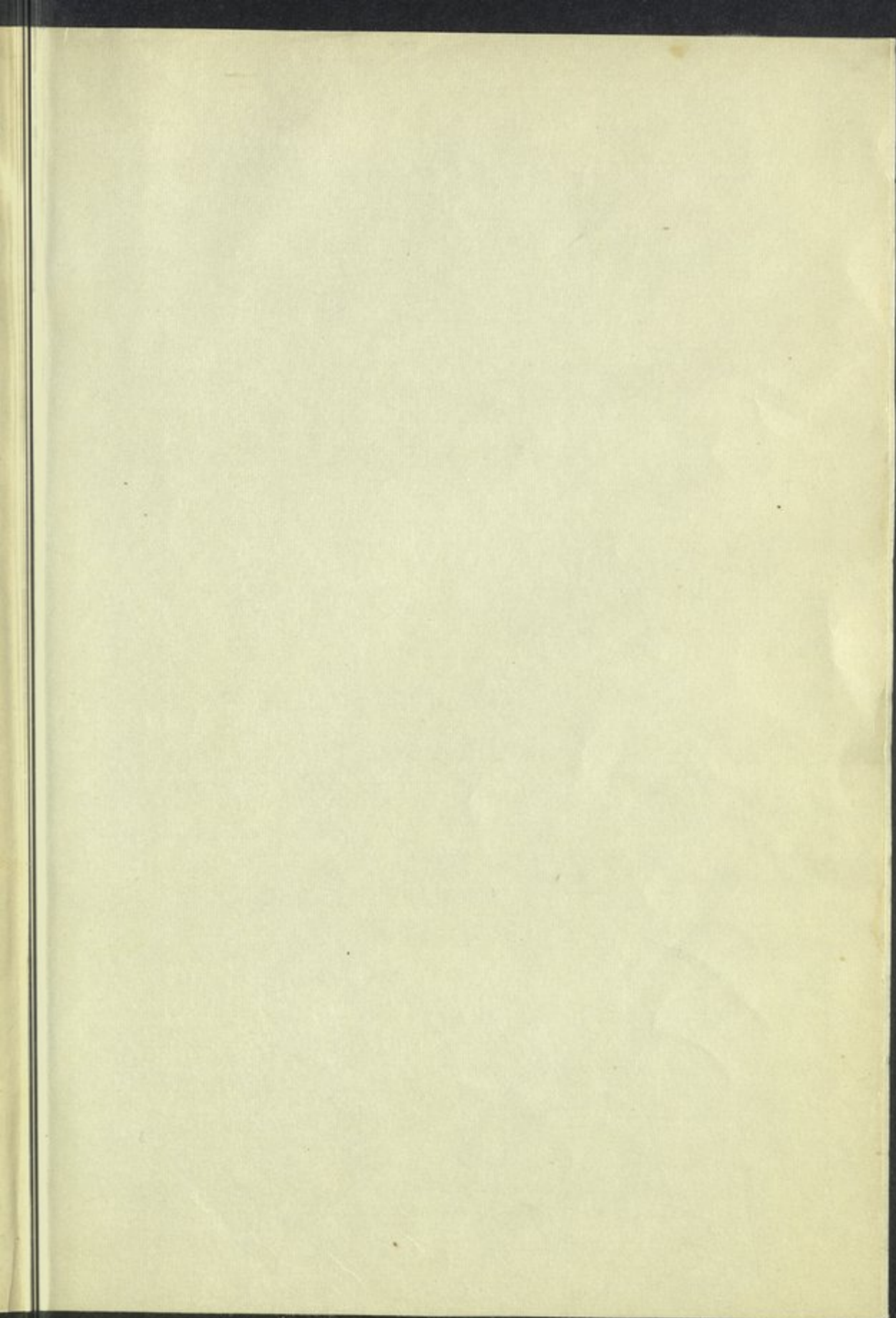
في التمييز بين الحق والباطل
والهدى والضلال

للمصنف
الشيخ محمد باقر
العلوي

الطبعة الأولى

تأليف

الطبعة الثانية





الفرقان

لابن الخطيب

جمع القرآن وتدوينه ، بحباؤه ورسمه
تلاوته وقراءاته ، وجوب ترجمته وإداعته

كاتبه : ابن الخطيب غفر له
وإن شاء الله تعالى
وإن شاء الله تعالى

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٤٨ - ١٣٦٧ م

كتاب القنفذ



حق الطبع محفوظ للمؤلف

دار النشر

٧٧٧٧ - ١٣٧٧

الاهراء

إلى خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد الأصفياء، وخير أهل الأرض والسماء:



النبي الأُمِّي العربي ، الذي جاءنا بالنور المبين ، من رب العالمين ، فهدى قلوبنا غُلْفًا^(١)، وفتح آذاننا صمًا، وبَصَّرَ أعيننا عميًا . وأحيانا بالإيمان والإسلام، بعد أن أماتنا الكفر وعبادة الأصنام . وجاءنا بالكتاب المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ فأجبنا النداء، ولبينا النداء، وتمت لنا السعادة ، وحقت لنا الحسنى وزيادة . فله الحمد على منته، والشكر على نعمته !

إليك يا رسول رب العرش العظيم ، ومنقذ الأمة من العذاب الأليم . يا من جثتنا بدين اليسر فَعَسَّرُوهُ ، وبالكتاب السهل فَصَّعَبُوهُ . وأرسلك ربك بالقرآن للخلق عامة، فقصروه على أمة العرب خاصة . وأمرتهم بالعمل به، فاتخذوا دراسته عملاً .

إليك يا من بعثت لَتُتَمِّمَ مكارم الأخلاق ، وأرسلت لِتُحِلَّ الوفاق مكان الشقاق .

إليك يا من نقلت العالم من الجاهلية الجهلاء ، إلى المدنية العليا ، وحولتهم من البهيمية إلى الإنسانية .

(١) القلب الأغلف : الذي لا يعي ، كأنما أحيط بغلاف . قال تعالى : « وقالوا

قلوبنا غلف » .

لقد كانوا يثدّون بناتهم ؛ فأكرموهن . ويبيعون نساءهم ؛ فحفظوهن .
ويعبدون ما ينجّون ، ففطنوا لما كانوا يجهلون ، وعبدوا مولاهم الحق ،
الذى خلقهم وتكفل بأرزاقهم .

لقد كانوا كالأنعام بل أضل سبيلا منها . فصاروا هداة للعالم كافة ،
ومنارا لبنى الإنسان عامة .

إليك يا من تَمَسَّكَ أعداؤك بأخلاقك فَعَلُوا في الأرض وَتَمَلَّكُوهَا ،
ودانت لهم رقاب أهلها . وفُزَّطَ أحباؤك في أوامرك ونواهيك ؛ فَضَلَّ
سَعِيَهُمْ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وهم يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صنعا . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ
بَيْنَهُمْ ، فلا نَجَاةَ لَهُمْ إِلَّا بِالرَّجُوعِ إِلَيْكَ ، والتَّسَكُّ بِجِبَالِكَ
(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) .

إليك يا حبيبي وحبيب الله ، أرفع كتابي هذا ، راجيا ألا أكون قد
جَدْتُ عن سنَّتِكَ ، أو مِلْتُ عن شَرِيعَتِكَ . بل أكون قد ذُذْتُ عن حِيَاضِ
الدين ، وحافظت على الكتاب المبين .

وفيك الرجاء ، وبك الاستشفاع ؛ أن يقبله ربي ويجعله خالصا لوجهه
الكَرِيم !

وعليك — يا أكرم الخلق — من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى
السلام

الشيخ محمد بن عبد الله
المسكين لك الامن شفاعة
محمد بن عبد الله
ابن الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

(رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ، والصلاة
والسلام على رسوله الذي أرسله داعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا ، وعلى آله
وأصحابه الذين بشرهم بأن لهم من الله فضلا كبيرا .

وبعد ؛ فلما كان القرآن الكريم هو محط الرجاء ومنتهى الآمال ، والرحمة
المتنزلة لإنقاذ العالم من الشر والضلال ، والنور المبين لهداية الكفار
والجهال ، والقصص الحق البشير للمؤمنين بالنعيم المقيم ، النذير للكافرين
بالعذاب الأليم . والعروة الوثقى التي من استمسك بها فاز ونجا ، وكانت له
الدرجات العلا . ومن أعرض عنها ذل وهوى .

ولما كانت حاجة سائر بني الإنسان مُلِحَّةً إلى تناوله ، ورغبتهم شديدة
في تناوله ، وجب أن يكتب بالرسم الذي تسهل به قراءته ، وبالهجاء الذي
تستساغ به تلاوته . ووجب أيضا أن يترجم لبقية الناس الذين لا يتكلمون
العربية ، ولا يتقنون سوى لغتهم الأعجمية . إذ أن الله تعالى لا يكلف
نفسا إلا وسْعَهَا ، ولا يُجْلِّها إِلَّا مَا آتَاهَا .

وقد أنزل القرآن الكريم هداية العالم أجمع ، شريقهم وغريبهم ،
عريبهم وعجمهم .

وقد قام كثير من فضلاء المسلمين ، وكبار المثقفين ، يطالبون بوجوب
طببع المصحف الشريف مطابقا لرسم الإملاء الحديث ، وقام آخرون من
القراء يعارضون هذا الرأي ويسفهونه ، ويرمون القائلين به بالزندقة والإلحاد ،
والمروق من الدين . وقد أفتوا بأن القرآن إذا كتب بالإملاء الحديث ، خرج
عن قرآنيته ، ولم تكن له حرمة ، ولم تجز له قراءة .

وهو تعسف ظاهر ، لا يستند على دليل منقول أو معقول ، بل يدخل
في عموم التدجيل والأباطيل .

وقد قام المغفور له الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر
بالدعوة إلى ترجمة الكتاب الكريم إلى اللغات الحية . وهى دعوة جريئة ،
قوبلت بما تقابل به كل دعوة إلى الإصلاح لم تألفها القلوب ، ولم تركز إليها
النفوس . ووافقه على ذلك بعض الأجلة .

فقام أناس — من العلماء وغيرهم — يعارضون هذه الفكرة ويحاربونها
ويتهمون الداعين إليها فى عقلهم ودينهم .

وقد طلب إلى بعض من يحسنون الظن بى ، ولا يسعنى مخالفتهم ،
أن أضع مؤلفا آيين فيه القول الفصل فى هذه النقطة الشائكة ، التى قد تكون
نقطة تحوّل فى الدين الإسلامى ، تجعل المسلمين — كما كانوا فى الزمان
الأول — حملة مشعل الهداية والعرفان لسائر الأمم ! تلك الأمم التى توهمت

الآن — جهلا منها — أنها المرشدة إلى أقوم طريق ، وأهدى سبيل .
في حين أنها تختبئ في مهاوى الظلمات ، ودياجير الجهل^(١) .

فرايت نزولا على رغبتهم ، وإجابة لطلبهم ، أن أكتب هذا ، متوخيا
الأدلة الثقلية ، معززا لها بالبراهين العقلية ، ضاربا الصفح عما كاد أن يكون
من العادات الموروثة عن الآباء والأجداد . وقدما قال الكافرون والمعاندون :
(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ^(٢)) . فلم ينفعهم قولهم ،
ولم ينقذهم تقليدهم ، بل أوردتهم النار وبئس الورد المورود .

وقد رأيت أن أضم إلى موضوع الترجمة أبحاثا تتعلق بما اختلف فيه ،
وما هو مثار جدل وشقاق ، كالترجمة سواء بسواء . فابتدأت بذكر إعجاز
القرآن وأسلوبه ولغته وهدايته وكيف كان جمعه ؟ وهل يجب التقييد برسمه
القديم ؟ وهل يجوز استعمال القراءات المختلفة المتباينة ، التي تتنافر مع لغتنا
ولهجتنا ؟ إلى غير ذلك مما قال به بعض القراء من الوقفات ، والسككات ،
والغن ، والمد ، والإشمام ، والإدغام ، وما شا كل ذلك .

هذا وإنى أعلم حق العلم ، وأوقن تمام اليقين ، أنى قد عادت بعملى
هذا جمهرة المشتغلين بالقراءة ، المتشغعين بها ، وبعض المتفهمين الذين^(٣)

(١) ولا أدل على ذلك من أنهم قد استخدموا علومهم ومعارفهم في التخريب والحروب ،
والابتعاد عن السلام والوئام . في حين أن الإسلام يحث دائما على الأخوة الصادقة ، والتعاون
العام بين سائر الشعوب ، بغیر فسق بين الأجناس « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . والتعارف : هو التحاب ، والتآلف ، والتعامل .

(٢) سورة الزخرف . آية ٢٢

(٣) تفتيح الرجل في كلامه : تنطق وتوسع ، وملا به فـ .

يَتَسَكَّنُونَ بِالْقَشُورِ وَيَدْعُونَ اللَّبَابَ ، وَيَتَعَالَمُونَ بِتَعْجِيزِ النَّاسِ وَتَوْقِيفِهِمْ عَنْ
تِلَاوَةِ آيِ رَبِّهِمْ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ بِفَعْلَتِهِمْ هَذِهِ يَحْسِنُونَ صِنْعًا ، وَيَجْلِبُونَ نَفْعًا ،
وَعَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ صَادِقُونَ عَنِ الْقُرْآنِ ، عَاصُونَ لِلرَّحْمَنِ ، مُسْتَوْجِبُونَ
لِلْخِذْلَانِ وَالْحَرَمَانِ .

فَلَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ الْكَرِيمَ ، السَّهْلَ السَّمِيعَ ، لِيَهْتَدُوا بِهِ وَحَدِّثُوهُمْ ،
وَلِيَكُونَ وَقْفًا عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يَجْعَلْهُ طِلْسًا لَا تُحِلُّ رَمُوزُهُ ، وَلَا تَفْتَحُ كُنُوزُهُ ،
إِلَّا لِأَقْلِيَّةٍ ضَائِلَةٍ ، لَمْ تَنْزِلْ مِنَ الْعِلْمِ قَطْرَةً ، وَلَا مِنَ الْفَهْمِ ذَرَّةً . وَيَنَادُونَ
بِكُفْرٍ مِنْ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ عَنْ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ ، وَإِلْحَادٍ مِنْ يَقْرَأُهُ بِغَيْرِ نَفْعِهِمْ .

وَكَأَنِّي بِهِمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَعِيدُوا عَهْدَ بَيْعِ صِكُوكِ الْغَفْرَانِ ، الَّذِي فَعَلَهُ
بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْكَنِيسَةِ فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ .

وَمِنْ قَبْلِ قَالَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ السَّلَامِ :
” أَكْثَرُ مَنْافِقٍ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَرَأُوهَا ^(٢) “ .

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مطلقًا — مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنَ الْجَهْلِ ، وَانْتَسَبَ إِلَى الْعِلْمِ —
بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ، إِنَّمَا هُوَ بِأَحْرَفِهِ وَاسْمِهِ ، وَهَيْكَلِهِ وَرِسْمِهِ .

لَا . إِنَّمَا الْقُرْآنُ بِمَنْطِقِهِ وَفَهْمِهِ ، وَلَمْ يُنَزَّلْ إِلَّا لِمَعْرِفَةِ مَعَانِيهِ ، وَتَبْيَانِ
مُرَامِيهِ ، وَاتِّبَاعِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ^(٣) ﴾ .

(١) الطَّلسم : المخطوط والكتابة التي يرسمها السحرة ، فلا تفهم ولا تقرأ .

(٢) أورد هذا الحديث الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ، وقال قوم بوضعه .

(٣) سورة النحل . آية ٤٤

وقد أسميته « الفرقان » لأن مباحثته تدور حول ما جاء بالكتاب الكريم
الذى هو من أسمائه .

ولأن « الفرقان » لغة : هو ما يفرق بين الحق والباطل^(١) . وأعتقد أنى
— فى كتابى هذا — قد فزقت بين الحق الذى أنزله الله تعالى ، والباطل
الذى ابتدعه المبتدعون .

وما أردت بما صنعت سوى إرضاء الله تعالى ورسوله ، وإرضاء ضميرى
وسائر المؤمنين .

وسأحاول أن أبين فى هذا الكتاب : كيف ترك القرآن أهلوه ؛ فتركهم ،
ونبذوه ؛ فانتبذهم . وحاربوه فى القول والعمل ؛ فخاربههم . ولم يبق لنا من
الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن سوى رسمه !

ولست أطلب من القارئ الكريم ، والمنصف الحكيم . إلا أن يتدبر
ما قلته ، ويتبصر فيما سقته . فإن وجد الدليل مصاحبى ، والحق فى جانبي .
فليجهر برأى ، وليحمد سعى ، ولا يخف فى الحق لومة لائم .

وإن خالفنى فيما ذهبت إليه ، فله رأيه الذى سيُسأل عنه ، ولى رأى
الذى سَأَحَاسَبُ عليه . ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ .

وإنى أُهَيِّبُ بجمهرة العلماء العاملين ، والأدباء الباحثين ، والحفاظ
والقارئین . الذين رَغِبُوا عن السَّبَاب والشتائم ، وحاولوا الوصول إلى الحقيقة

(١) قال تعالى : " ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان " أى المجدج والآيات التى فزقت بين
حق موسى وباطل فرعون .

مجردة عن الهوى والتقليد ، وراعوا كرامة البحث وآداب المناظرة ، أن
يوافوني بردودهم على ما جاء بكتابي هذا . وأنا الكفيل بطبعه ونشره على
سائر المسلمين . بعد الرد على ما يحتاج منه للرد ، والموافقة على ما يستحق
الموافقة . فالعلم ليس ملكاً لأحد ، ولا وقفاً على أحد . والرجوع إلى الحق
من أفضل الفضائل .

والله أسأل أن يوفقني لما يرضيه ، وأن يمنحني ما يستخطه . ويقيني
به أن يقيني من الخطل والزلال .

فان كنت أصبت فمن الله تعالى الهادي إلى أقوم الطرق ؛ ولى على ذلك
أجران ، وإن كنت أخطأت فاني بشر أخطئ وأصيب ؛ ولى على ذلك أجر
واحد . وسبحان من تفرد بالعصمة ، وتبرأ من الخطأ . ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبي ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير !

ابن الخطيب

الْقُرْآنُ

القرآن
أصل لسائر العلوم

القرآن الكريم : جامع لفنون البلاغة ، وحاوٍ لأطراف البيان والفصاحة
وهو أصل لسائر العلوم :

فعلم الكلام كله في القرآن ، وعلم الفقه كله مأخوذ منه ، وعلم النحو
واللغة ، وعلم الزهد ، وأخبار الآخرة ، ومحاسن الخلال ، ومكارم الأخلاق ؛
كل ذلك مأخوذ منه ، منقول عنه .

إعجاز القرآن

ومن أعجب ما تراه في إعجاز القرآن ، وإحكام نظمته : أنك تحسب
ألفاظه — لجمالها وروعيتها — منقادة لمعانيه ، فإذا ما تغفلت فيه ؛ وجدت
معانيه منقادة لألفاظه ، فإذا ما تغفلت ثانية ؛ حسبت العكس . ولا تزال
مترددا بين انقياد معانيه لألفاظه ، وانقياد ألفاظه لمعانيه . حتى تتذكر
أنك إنما تقرأ كلام الله ، لا كلام البشر !

فقد خلق الله تعالى في العرب فطرة اللغة ، ثم أخرج من هذه اللغة
ما أعجز تلك الفطرة . لأن التوالى بين الألفاظ ومعانيها ، والمعاني وألفاظها ؛
مما لا يُعرف مثله إلا في الصفات الروحية العالية !

القرآن كلام
لا كسائر الكلام

وكلامه ليس كسائر كلام المخلوقين الذين يحسن كلامهم في نوع من
الكلام ، دون نوع آخر منه .

فقد قالوا : إن شعر امرئ القيس يَحْسُنُ عند الطرب وذكر النساء
وصفة الخليل ، وشعر النابغة عند الخوف ، وشعر الأعشى عند الطلب
ووصف الخمر ، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء .

وبالجملة فكل شاعر ، وكل كاتب ، وكل منشي ، يحسن كلامه
في فن من الفنون دون باقيها . أما القرآن فقد ملك ناصية القول ، وبلغ
نهاية الحسن في كل معنى طرقة .

الترغيب

ألا ترى قوله في الترغيب : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ^(١) ﴾ .
﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ^(٢) ﴾ .

الترهيب

وقوله في الترهيب : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَن يُخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرَاءِ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ ^(٣)
حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَيْكًا ، أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ ^(٤)
عَلَيْكُمْ فَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغِيرَ كُفَّكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ^(٥) ﴾ .
﴿ أَلَمْ تَأْمِنُوا مِّن فِي السَّمَاءِ أَن يُخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ^(٦) ، أَمْ أَمِنْتُمْ مِّن ^(٧)
فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ ^(٨) . ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا ^(٩)
وَحَافٍ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ، يَتَجَرَّعُهُ ^(١٠)
وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِّن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ ^(١١)
عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ .

(١) سورة السجدة . آية ١٧ (٢) سورة الزخرف . آية ٧١

(٣) الحاصب : الريح الشديدة تثير الحصباء : وهي الحصى .

(٤) الريح القاصف : الشديدة .

(٥) سورة الاسراء . آية ٦٨ و ٦٩ ، والتبعية : التابع . والمراد به طالب النار .

(٦) تمور : تتحرك وتتكفأ .

(٧) سورة الملك . آية ١٦ و ١٧

(٨) ويأتي الموت : أى أسباب الموت .

(٩) سورة ابراهيم . آية ١٥ و ١٦ و ١٧

الزجر

وقوله في الزجر: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ^(١) 》

الوعظ

وقوله في الوعظ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ^(٢) 》 . ﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ^(٣) 》 . ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ، وَاعْطَى قَلِيلًا وَأَكْثَى ^(٤) 》 . ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ، عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ^(٥) 》 .
وقوله في الإلهيات: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدُّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ^(٦) 》 .

الإلهيات

القرآن نور

والقرآن الكريم — ولو أنه نزل بلغة العرب — إلا أنه قد نزل على نمط يُعْجِزُ قَلِيلَهُ وكثيره معا، وهو بذلك أشبه شيء بالنور: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ^(٧) 》 ، وهو في كل جزء من أجزائه، وفي أجزائه جملة واحدة، لا يعارض بشيء: ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٨) 》 . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ^(٩) 》 .

(١) سورة العنكبوت . آية ٤٠ (٢) سورة الشعراء . آية ٢٠٥

(٣) سورة الجاثية . آية ٢٣

(٤) سورة النجم . آية ٣٣ و ٣٤ ، وأ كدى : أى قل خيره ، وقطع القليل .

(٥) سورة الملق . آية ٩ — ١٤

(٦) سورة الرعد . آية ٨ (٧) سورة المائدة . آية ١٥

(٨) سورة الإسراء . آية ٨٨ (٩) سورة البقرة . آية ٢٣

وإنما كان ذلك : لأنه صَنَّى اللغة من أكارها ، وأجرأها على بواطن أسرارها ، بجاء بها في ماء الجمال أملاء من السحاب ، وفي طَرَاءة الخلق أجمل من الشباب ، ثم تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز ، وصوَّرها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز ، وصاغ بها العبارات منمقة مزوقة ، فإذا به يُنطَقُ باللغة العربية التي نَنطَقُ بها ، وَيَنطَقُ بها سائر البلغاء والفصحاء . غير أنه لا يقاس عليه شيء مما ننتطق ، ولا يشبهه شيء مما تنطق به العرب . وذلك لأن ما ننتطق به يبلغ العجب من بلاغته قدرا يزول بزوال ذلك النطق ، أما القرآن الكريم فقد صيغ في لغة وعبرة ، ومظهر ومخبر ، لا ينقضي العجب منه طول العمر وأبد الدهر !

ولم يكن ذلك العجب لما فيه من إرهافات ومُغَيَّبات فحسب . بل لما فيه أيضا من عبارات واختيارات ، هي بالموسيقى أشبه منها بسائر الكلام .

وإن الإنسان لينقضي عمره في تهذيب كلمة له . أو قصيدة . ولا يفتأ يقول : لو وضعت هذه الكلمة مكان هذه لكان أليق ، ولو وضعت هذا الحرف مكان هذا لكان أليق . إلا القرآن الكريم فإنك لو رفعت كلمة منه وعرضت مكانها سائر الكلام العربي ، لَمَّا حَلَّ محلها ، ولو استعضت عن حرف من حروفه بسائر الحروف لَمَّا تَيَسَّرَ . وذلك لأنه بلغ نهاية الجمال المطلق ، وغاية البلاغة العالية !

(١) أرهص الشيء : أسسه وأثبتته ، وأرهصه الله : جعله معدنا للخير . والمراد هنا : ما ثبت صحة القرآن ، وصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

وكم رأينا متعلما يحاول السمو بلغته عن لغة العامة؛ فإذا به ينطق بما لا يفهم^(١) ، ويكتب ما يدخل في عداد الطلسمات والمُعَمَّيات .

وكم رأينا آخر يريد أن ينزل بلغته عن لغة الخاصة، ليفهمها كل قارئ، ويعيها كل سامع؛ فإذا به ينطق بالهراء ، ويكتب ما يستوجب الاستهزاء .

أما القرآن الكريم فقد تحلى بأفضل ما في اللغة من عبارات ، وأسمى ما فيها من كُنَايات وإشارات . وهو مع كل هذا معلوم مفهوم للصغير والكبير ، للعالم والجاهل ، سهل في النطق وفي الفهم . ولا بدع فهو كلام اللطيف الخبير ، بديع السموات والأرضين ، جل وعلا عن الشبيه والنظير وعز عن أن يماثله مخلوق ، أو أن يساوى كلامه كلام !

لقد أنزل الله تعالى القرآن — لا لأمة العرب فحسب ، ولا لجيلهم دون بقية الأجيال — بل لسائر الحقب ، وأبد الدهر . لهذا بهتوا له ، ولم ينقض عجبهم ، لأنهم لم يتبينوا : أكانوا يسمعون في آياته صوت الحاضر ، أم صوت المستقبل ، أم صوت الخلود ؟

القرآن لسائر
الأمم والأجيال

وذلك لأن القرآن جاء بلغتهم التي يعرفونها ، ويتكلمون بها ، ولكن في بلاغة وجزالة ورقة ، غير ما انتهى إليهم من علومها وفنونها وأساليبها .
لقد تكلم القرآن منذ عشرين قرنا ، وكأنما يخاطب أبناء هذا القرن .
وسَيَظَلُّ غَضًّا طرِيًّا جديدا ، مهما تقادمت العصور والدهور .

(١) الطلم : هو خطوط ، أو كتابة غير مفهومة ، يستعملها السحرة .

ألا تراه حين يقول :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا ، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ،
وَأَيُّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ
اِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ، وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً
إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ، إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ، وَلَا تَقْرَبُوا
الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ، وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

(١) كناية عن البخل ، وهو قبض اليد .

(٢) كناية عن الإصراف ، وهو بسط اليد كل البسط . أما بسطها بالكرم الذي لا يبلغ
حد السرف ؛ فهو محمود غير مذموم ، لقوله تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما » .

(٣) القسطاس ، بضم القاف وكسرهما : الميزان .

وَالْبَصَرِ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ، وَلَا تَمَشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ
رَبِّكَ مَكْرُوهًا ^(١) .

ألا تراه حين يقول ذلك ؛ كأنما يخاطب أهل هذا القرن بذنوبهم
وآثامهم ؟ ألا تراه حين يقول ذلك ؛ كأنما يخاطب سائر الأمم الشرقية
والغربية ؟

القرآن يخاطب
كل قرن

ولو أن أحد المجامع العلمية الفرنسية أو الأمريكية ؛ أراد أن يخاطب
أمته التي أوهاماها الترف ، وأوهنتها الآثام ، ورخصت فيها الأعراض ،
وبدأ نسلها في الانقراض ، وهبت فيها الرذائل بأنوائها ، ورمته كل أمة
من أمم الأرض بدائها ، واجتمعت فيها سائر النقائص : فمن اجتماع الى
افتراق ، ومن إلحاد الى إيمان ، ومن صلة الى حرمان ، ومن حب الى
تباغض ، ومن ائتلاف الى إئتلاف .

نقول : لو أن أحد هذه المجامع أراد أن يتخوّل ^(٢) أمته بالموعظة ، ويضع
يدها على مواطن دائها ؛ لما استطاع أن يقول مثل هذا المقال ، أو يبلغ
هذا المثال . لأن القرآن الكريم لم يدع خيرا إلا وأمر به ، ولم يدع شرا
إلا ونهى عنه .

لقد أمرهم القرآن في هذه الآيات بالإحسان الى الوالدين : ﴿وَالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا﴾ . وها هم الآن يقتلونهم قتلا ، ويذبحونهم ذبحا .

الإحسان
الى الوالدين

(١) سورة الإسراء . الآيات ٢٣ — ٣٨

(٢) التخوّل : التعهد . وفي الحديث الشريف "كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة"

وأمرهم بإيتاء ذى القربى والمساكين حقوقهم من البر والرحمة :
 ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ . وهاهم الآن يؤتونهم الشر
 والبؤس والتشريد والحرمان .

ونهاهم عن التبذير : ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ . وهاهم الآن يلقون بأموالهم
 ذات اليمين وذات الشمال ، فى اللهو واللعب والقمار والرهان .

ونهاهم عن البخل والتقتير : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ . وهاهم
 الآن يكتزون الأموال ، ويدخرونها فى خزائهم ، حتى أوشك العالم أن
 ينقلب وتترزل أركانه ؛ لحبس النقد عن التداول ، ولشيوع نظام الطبقات .

ونهاهم عن قتل الأبناء خشية الفقر : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ .
 وهاهم يقتلونهم فى كل حين وأن ، ويشدونهم وهم فى بطون أمهاتهم بما يزعمونه
 من باطلهم بتحديد النسل ، خشية الفقر والإملاق ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ
 وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .

ونهاهم عن قربان الزنا : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا﴾^(٢) — وقربانه غير إتيانه —
 وهاهم الان يرتكبون أمورا تعاف من ارتكابها أخس المخلوقات ، وأحط
 الحيوانات ، وتندى لها جبين الفضيلة .

(١) سورة البقرة . آية ٢٦٨

(٢) النهى عن قربان الزنا ، غير النهى عن إتيانه . وقربان الزنا : غشيان مواطن البغى
 والفساد ، وارتكاب مقدماته . كالقبلة — التى هى بريد الزنا — والعناق ، وماشا كل ذلك ؛
 مما يؤدى إلى الوقوع فى هذه الجريمة التى هى من أشنع الجرائم ، وأبشع الموبقات !

والم يفتخرهم عند إتيان الزنا خفية ، بعيدا عن أعين الرقباء . بل

التفاخر بالزنا

صاروا يفتخرون بما يخزيهم ، ويتعالون بما ينزل أقدارهم ، ويهدر آدميتهم !

وليتهم وقفوا عند هذا الحد من إثمهم وفجورهم ؛ بل تجاوزوه إلى

تنظيم الزنا

تنظيم الزنا وتقنينه ، وعمل إجازات رسمية ممهورة بخاتم الدولة .

هذا في حين أن الزنا قد حرّمته سائر الأديان والشرائع .

ونهى عن القتل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . وها هم

النهى عن القتل

يقتلون لأتفه الأسباب ، وأوهى المعاذير . بل ها هي الدول — التي تدعى

التمدن — تقتل لمطامع فردية شخصية ، وتقيم الحروب ، وترهق الملايين

من النفوس الآمنة المطمئنة ، التي لا ذنب لها سوى أنها جبلت على الطاعة

واحترام أوامر الرؤساء ، مع أنه « لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

ونهى أيضا عن إسراف ولى المقتول في القتل : ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ

عدم الافراط

سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ . وها هم الآن لا يكتفون في طلب الثأر بقتل

في القصاص

القاتل فحسب . بل يقتلون في بعض القرى : القاتل وكبار رؤوس عائلته

وعشيرته ، ويظل بعضهم يقتل بعضا ردحا من الزمن ، حتى تنقضى زهرة

شبابهم ، ويحل الفناء بكبرائهم .

ونهى عن قربان مال اليتيم : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

النهى عن أكل

وها هم يأكلون اليتيم وأمواله بدون وازع من ضمير ، أو رادع من قلب .

مال اليتيم

(١) ولى المقتول : وارثه ، المطالب بدمه .

وأمر بالوفاء بالعهود: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ . وها هي العهود والمواثيق وقد أصبحت لا تساوى ثمن المداد الذى كتبت به ، وأصبح شعار الأفراد والجماعات — بل والدول — نقض المعاهدات والمحالقات . وأصبح أهل القرن العشرين يرتكبون ما لم يرتكب فى العصور الماضية ، والقرون الوسطى .

وأمر بإيفاء الكيل والميزان: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ . وها هم الآن يطفقون المكيال والميزان ، بغير خوف من الرحيم الرحمن ، وقد أُنذِرهم بالويل بقوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ .

ونهى عن التداخل فيما لا يعنى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ . وها هم الآن يتداخلون فيما لا يعنهم ، ويقتفون ما ليس لهم به علم ، فباءوا بالخسران والحرمان .

وعرّف أن الإنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ . مسئول عن سمعه ، فلا يستمع به إلى غيبة أو نعمة . ومسئول عن بصره ، فلا يبصر به محزما . ومسئول عن قلبه ، فلا يُصِرُّ لإنسان على مكروه أو شر . وها هم الآن لا يستمعون إلا للغيبة والنيمة ، التى تجلب البغضاء والخصومة . ولا يبصرون إلا الحرام الذى يسقط المروءة ويذهب ببهاء الإسلام . ولا يضمرون فى قلوبهم سوى السوء لإخوانهم وذويهم .

(١) التطفيف : نقص المكيال والميزان . (٢) سورة المطففين . آية ١ — ٣

النهي عن الكبر
ونهى عن الكِبَرِ والعُجْبِ والخِيَلَةِ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ
لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ . وها هم الآن يمشون في الأرض ،
يطاولون السماء بفرحهم ومرحهم . وها هم أيضا يتكبرون بفاخر المأكل ،
ونفيس الملبس^(١) ، وفاره المركب^(٢) ، ويتعاضمون بالأكمام والأردان ، لا بالتقى
والدين والورع .

دعوة القرآن
ولم تكن دعوة القرآن الكريم الا للبر والخير ، والعمل النافع الذي يفيد
النفس والناس ، وينظم العلاقات بين سائر البشر ، بغير نظر للخلافات
الطائفية ، أو الفروق الجنسية .

بل لقد رفع من شأن بعض العبيد المتقين ، على كثير من كبار السادة
والرؤساء !

العبادات
لقد دعا الى عبادات سهلة مشرقة نظيفة ، ليس في إتيانها تعسف
أو تألم كبقية العبادات في سائر الديانات . بل إن عبادات الإسلام تحقق
للسلم ألوانا شتى من راحة الضمير ، وراحة البدن ، وراحة الروح .

الصلاة والصوم
والصدقة
الحج
فالصلاة تريح الضمير ، والصوم يريح البدن ، والصدقة تريح الروح .
أما الحج فيريح الضمير والبدن والروح معا ؛ لأن الانسان حينما يدخل
البيت الحرام ، الذي هو أكبر بيت للتوحيد في سائر الوجود ، يرتاح ضميره
وبدنه وروحه ! وحينما يرى تلك الصحراء التي تشرفت ببعثة الرسول

(١) الفاره من الدواب : الجيد السير ، ويدخل فيها نعته : السيارات الفخمة ،
وما شاكلها من أداة الركوب . (٢) الردن بالضم : أصل الكم .

العظيم ، ويرى مهابط الوحي ، ومشاهد الطبيعة هناك . وكل هذا يبعث على
الوحشة والجبروت والغلظة والقسوة . ويرى هؤلاء العرب الذين كانوا مبعث
الفتك والعدوان ، فإذا بهم بين يوم وليلة هداة لسائر بني الانسان ؛ حينئذ
يهتدأ يقينه ، ويطمئن باله ، ويعلم أن ذلك التحول لم يكن من صنع مجد ،
أو صنع أحد من البشر . إنه صنع الرحمن ، وتوجيه القرآن !

وقد زعم قوم : أن في الإمكان معارضة القرآن ؛ فقلده بعضهم تقليدا
سمجا مرذولا ، لا يعدو أن يكون في عداد سَقَط الكلام ، ولغو القول .

فقد نسبوا الى مسيئة قرآنا ، حفظت الرواة منه بعض السخافات .
فمن ذلك : « يا ضفدع يا بنت ضفدعين ، نقي ما تنقين ، نصفك في الماء
ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ... » .

ومنه أيضا : « والبالذرات بذرا ، فالزراعات زرعا ، فالخاصدات
حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ،
والخابزات خبزا ... » الخ ما جاء من هذا الهراء .

ولعل الرواة قد بدلوا وغيروا في قرآن مسيئة ؛ لأن رب مسيئة
صاحب هذا القرآن ، ومثله عليه ، لم يتكفل بحفظه ، كما تكفل رب مجد
بحفظ كتابه .

ونسبوا أيضا للأسود العنسي وغيره من الكفار قرآنا لا يزيد في بلاغته
وإعجازه عن قرآن مسيئة .

الأسود العنسي

وقد بلغ من كراهة بعض العرب للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ أن قصد طلحة النمرى مسيامة ، وسأل عنه قومه : أين مسيامة ؟ فتصايحوا عليه : لا تقل مسيامة ، بل قل : أين رسول الله . ثم قادوه إليه فخاوره قليلا حتى أعلمه برسالته ، وأسمعه قرآنه ، فقال له : أشهد أنك لكاذب ، وأن محمدا لصادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر .

كراهة بعض
العرب للرسول

ونسبوا أيضا إلى أبي العلاء المعري أنه أنشأ في هذا المعنى وقال :
فلتصقله الألسن في المحاريب^(٢) أربعمائة سنة ، ثم بعد ذلك انظروا كيف يكون^(٣) .

وهي ولا شك فرية نسبوها إلى أبي العلاء ، وهو من هو في عقله وأدبه وتفكيره . وهو أعقل من أن يحاكي ما لا سبيل إلى محاكاته .

ومن عجب أن يظن بعض الزنادقة أن القرآن لم يبلغ هذا المبلغ إلا بترديده ، وصقل الألسن له ؛ في حين أن جميع الآثار البيانية في لغة العرب — شعرا كانت أو نثرا — كلما ازداد الناس تلاوة لها وترديدا ؛ ازدادت النفوس عنها رغبة ، ومنها نفورا .

الآثار اللغوية
قبل القرآن

(١) وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » . وقوله : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » .
(٢) المحاريب : جمع محراب ، وهو المسجد . وقيل : المحراب ، صدر المجلس .
(٣) يريد عليه لعنة الله (إن كان هذا قوله) أن القرآن الكريم لم يبلغ هذا المبلغ من النفوس ، ولم يصل إلى هذا السمو وهذه القداسة ؛ إلا بالتكرار والترديد . وقد فاته أن الترديد قد يكون مدعاة للسام والملل . في حين أن القرآن كلما ردد ازداد حلاوة وعذوبة ، وازدادت النفس به تعلقا وشغفا .

ففى اللغة العربية قصائد وأبيات من الشعر محفوظة من قبل أن ينزل القرآن ، وينطق به اللسان ، وهى تتلى فى المجمع والأندية صباح مساء ، ويمثل بها فى كل مناسبة . ولكنها لم تتجاوز مرتبتها العلمية ، ولم تعد منزلتها الأدبية ، ولم ترتفع عن كونها شعرا قيد أنملة .

القرآن يزداد
حسنا بالتكرار

ولكنه كلام واحد ، وكتاب واحد ، كلما ازداد تكراره ، ازداد تأثيره فى النفوس ، وتطريبه للقلوب . ذلك هو القرآن ، ولا شئ يشبهه فى هذه الخاصية بين كتب الدنيا كلها ، وآداب الأمم والشعوب .

التأثير بسماع القرآن

لقد وصل من مرتبة القرآن الروحية أن يتأثر بسماعه من ليس له بفاهم ، وترتعد له فرائص الجبابة ، وأصبح جرس حروفه ^(١) ميراثا ينتقل فى حواس المسلمين الباطنة من جيل الى جيل ، ويكفى أن تقرأ آية فيها أدنى خطأ أمام مسلم غير حافظ للقرآن ، ليدرك أن فى هذه الآية لفظا قلعا ، أو نقصا فى الأداء ، يستوجب مراجعة المصحف .

الدخلاء
فى الإسلام

هذا ولما تعقدت حياة الإسلام بكثرة الحروب والفتوح ، ودخلت فيه شعوب شتى ، واختلطت به دماء لا تمت الى العرب ، ولا الى العربية بصلة ، تغير تفكير المسلمين فى فهم معانى القرآن الكريم ، وذلك بواسطة هؤلاء الدخلاء الذين لا ينتسبون الى الأمة العربية ، ولا يفهمون كتابها ، كفهم أبنائها له . فراحوا ينظرون الى القرآن نظرة مادية بحتة ، وتركوا روحانيته وما أنزل لأجله . وجعلوا كل همهم فى مراجعة سوره وآياته ، وقلب ألفاظه ومعانيه ، والتنقيب عما وراء هذه المعانى والألفاظ المقلوبة .

ترك
روحانية القرآن

(١) الجرس : الصوت .

وزاد من بعدهم بعداً عن روح القرآن : فراحوا يعدّون آياته وحروفه
وسوره ، ويتبعون مكيبه ومدنيه ، ووقفاته ومعجزاته ، وحركاته وسكناته
ويتعسفون في قراءته .

وتفتزع من هذا ، أن جاء قوم ، وجلهم من الأعاجم ، ففتحوا أبواباً
من الخلاف في تفسير القرآن ، ففسره بعضهم تأييداً لبعض المذاهب
الفقهية ، وفسره بعضهم تأييداً لبعض المذاهب السياسية ، وفسره آخرون
طبقاً لما دار بذهنهم من مفهومات هي بعيدة كل البعد عما أراده الله تعالى .
وفي هذه الفترة ، دُسَّ في معاني القرآن ما ليس منها ، ودُسَّ في أقوال
الرسول عليه الصلاة والسلام ما لم يقله ، وما يتنافى مع منطوق القرآن الذي
جاء به ، ودس أيضاً على الصحابة والتابعين ، وانتشرت القصص الإسرائيلية
حتى لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب التفسير .

الخلاف
في تفسير القرآن

الدس في معاني
القرآن

إلا أن هذا الدس ، وذاك الخلاف — وهما نتيجتان طبيعيتان في كل
جماعة تأخذ حظها من الترف — لم يؤثرا على الدين أو القرآن في شيء . وظل
القرآن شامخاً عالياً ، تتساقط تلك المعاني الفاسدة من حوله كما تتساقط
أوراق الخريف ، ولم تلتصق به سوى زهرات المعاني التي ساقها بعض
من نور الله تعالى بصيرته بنور الإيمان ، وطهر عقيدته بدراسة القرآن
« وقليل ما هم » .

الدس لم يؤثر
على القرآن

والقرآن الكريم : ملاذ المسلمين في أفراحهم وأتراحهم ^(١) ، في مصائبهم
وكوارثهم ، بل في كل شيء يعرض لهم في هذه الحياة .

القرآن ملاذ
المسلمين في مصائبهم

(١) الترح : ضد الفرح .

هو سلوتهم الوحيدة إذا خزيهم^(١) أمر ، أو نالهم مكروه ، أو نزلت بهم نازلة ، أو مسهم طائف من الشيطان .

أرأيت لو دهم إنسانا مصاب ، أو حاق به بلاء ، وذهبت به الظنون كل مذهب ، وساورته الشكوك والأوهام ، وظن ألا عاصم له مما حل به ووقع فيه ، فأى شيء يسكن لوعته ، ويبرد غلته ، ويكف من أشجانه ، ويوقف سيل أحزانه ؟

أى شيء يطفى ناره ، ويهدئ أواره^(٢) ؟ أى شيء سوى كلام الله تعالى ووعده بأجر الصابر ، وجزاء الشاكر : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾^(٣) .

من للضعيف إذا عدا عليه القوي بكل كفه^(٤) ، وبأراه بخيله ورجله ، ولم يستطع الفكك من قبضته ، ولا التخلص من سطوته ؟

القرآن ملاذ
المسلمين
في ضعفهم

من الذى يدث في ضعفه قوة ، وفي تحاذله فتوة ؟ من سوى الرحيم الرحمن ، حين يقول في القرآن : ﴿ وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾^(٥) .

أرأيت أيها المؤمن لذائذ الدنيا وطيباتها ؟ وكيف أن هاتيك اللذائذ وتلك الطيبات كالسم في الدسم . فما من واحدة من اللذات ، إلا وهى

لذائذ الدنيا

(١) خزيهم أمر : أصابهم . (٢) ساورته : غالبته . ومنه المساورة ، وهى المواثبة .

(٣) الأوار : حر النار والشمس ، والعطش ، والدخان ، واللهب .

(٤) سورة البقرة . آية ١٥٥ و ١٥٦ (٥) الكلكل : الصدر .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٣٧

محفوفة بآلاف المخاطر ، وصنوف شتى لا عداد لها من الكدر والعناء ،
والشقاء والبلاء . تهتد الإنسان الحوادث والصروف كل آن ، ويخشى
طول حياته عواقب الحداث^(١) . لا يدري بأى حجر يُرمى ، ولا بأية عثرة يعثر ،
ولا بأية بقعة يقبر !

وأقسم بكل غموس^(٢) من الإيمان : أن الإنسان لولا سلوة القرآن ،
وحسن عزائه ، وطيب النفس بالثقة به ؛ لكان جديرا بأن يلقي بنفسه
من حالى^(٣) . فيرتاح مما حل ، ويأمن شر ما سيحل . لأنه لو قاس ما لاقاه
ويلاقيه في هذه الدنيا من الأرزاء والمصائب ، والأخطار والمتاعب ، ووازن
بينها وبين ما يحظى به من النعيم الزائل ، والذائد الفانية ؛ لوجد هاتيك
إلى هذه أضعافا مضاعفة . وذلك لأن ألم الموت لحظة ، وآلام الحياة كل
لحظة !

والناظر إلى هذه الآلام والبلايا بعين البصيرة ؛ يجد أنها لم تكن باطلا
ولم تخلق عبثا ، بل كانت لأمر خفى ، وحكمة بالغة ، ومقصد عظيم .
فإذا ما يئس العبد من رحمة ربه ، ودفعه إبليس اللعين للكفر به ؛
ازدادت مصائبه ، وعظمت بلواه .

أما إذا استسلم لقضاء الله ، وألقى بنفسه في أحضان الرحمة الربانية ،
وهرع إلى القرآن يرتشف من ينبوعه العذب ، فشفى نفسه وجسمه وقلبه :

(١) الحداث : نواب الدهر .

(٢) الغموس : التى تغمس صاحبها فى الإثم إذا لم يكن صادقا فيها .

(٣) الحالى : الجبل العالى ، أو كل شئ مرتفع .

﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ^(١) ﴾ فانه عند ذلك يشعر ببرد كبده ، وهدوء نفسه !

فكم من غنى ^١منعم تتوفر لديه سائر الأسباب ، وهو في أحط الشقاء ، وأسوأ العذاب . وكم من فقير ^(٢)مدقع أحاطت به صنوف الحادثات ، ونزلت به سائر البليات ، وهو — رغم كل هذا — ضاحك السن ، طروب النفس . جَلَّ الْمُضْحَكُ بلا طرب ، المُبْكِي بلا سبب : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى ^(٣) . وما لنا نذهب بعيدا ، ونمشي وثيدا : ﴿ مَن كَانَ يَظُنْ أَن لَّنْ يَنصُرَهُ ^(٤) اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ^(٥) إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ^(٦) .

إن القرآن هو النعمة العظمى ، والراحة الكبرى ، والسعادة الأبدية لمن طلب السعادة . وهو الواحة التي يستظل بها السارى من حر الحياة اللاخ المحرق .

وإن المتمسك بأحكامه ، المتخلق بأخلاقه ، ليشعر بالهدوء والاستقرار والطمأنينة والسرور ، ولو كان بين أنياب الفقر والهَوَاتِ ^(٧) البلاء .

(١) سورة الاسراء . آية ٨٢

(٢) دفع يدقع : لصق بالدعاء . من الذل . والدعاء : التراب . وفقير مدقع : أى ذليل ،

لاصق بالتراب . (٣) سورة النجم . آية ٣٤

(٤) الوثيد : الثأني والزناة . (٥) السبب : الخبل .

(٦) سورة الحج . آية ١٥ ، والمعنى الإجمالى للآية : من قطع أمله في الله تعالى ، وظن أنه

غير ناصره ، ويأس من رحمته ، فليختنق .

(٧) الهوات : جمع هاة ، وهى الهمة المشرقة على الخلق في أقصى الفهم .

الطاعة سبب السرور

التمسك بالقرآن

وإن المُفَرِّطَ في أوامره ، المهمل لنواهيه ؛ ليشعر بالضيق ، والبؤس ،
والحزن ولو كان في أرق المناصب وأسمى الرتب ، ولو جبي إليه نراج
الدنيا بأسرها ، وانقادت له رقاب أهلها .

المفترط في القرآن

والويل كل الويل لمن عاداه القرآن فهجر أحكامه ، وكان ضمن من
حاجَّهم الرسول بقوله يوم القيامة : ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا ^(١) 》 . أو ضمن من حبسه القرآن في الجحيم والعذاب الأليم . عافانا الله
تعالى منه بمنه وكرمه !

الويل لمن عاداه
القرآن

(١) سورة الفرقان . آية ٣٠ ، وهجران القرآن : ليس هجران تلاوته ، بل هجران العمل
بأحكامه ، والالتزام بأوامره ، والاجتناب لنواهيه . فرب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه !
(٢) الحبس بمعنى الخلود . وذلك كقوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا
فيها » يؤيد معنى الخلود ما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم — من حديث
طويل — « يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ولا يبق فيها سوى من حبسه القرآن » .
وقال أيضا : « كل ذنب عسى الله تعالى أن يغفره ، إلا الرجل يموت كافرا ، أو الرجل يقتل
مؤمنا متعمدا » . وقال أيضا : « لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن ، ولو أن
أهل سمواته ، وأهل أرضه اشتروا في دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار » . وفي حديث آخر :
« إن الله تعالى حرم الجنة على القاتل والآمر » . وقال أيضا : « نازلت ربي في قاتل المؤمن أن
يجعل له توبة ، فأبى علي » .

وقد قال بعضهم : إن الخلود هنا بمعنى طول المكث ، بدليل قوله تعالى : « إن الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ودليل الخلود عندى أولى بالاعتبار . لأن باقى الآية
الأولى : « وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » . والغضب واللعن : لا يكون إلا للكافرين
المستوجبين للخلود في العذاب . ويكون تأويل قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به »
أن القاتل لما خالف الله تعالى ، واستهان بأحكامه ، ولم يعبا بوعيده ، وغضبه ، ولعنته ،
وعذابه ، فقد أشرك به شيطانه الذى استعنه على قتل نفس بريئة بغير نفس « ومن قتلها فكأنما
قتل الناس جميعا » .

جَمْعُ الْفَرِيقَيْنِ

أَنْحَنِزْ لَنَا الْإِذْنَ وَالْحَافِظُونَ

سبب جمع القرآن

لما استعرت نار الحرب بين سيف الله خالد بن الوليد ، ومسيلمة الكذاب في واقعة اليمامة ، مات من المؤمنين خلق كثير ، منهم سبعمائة من القراء . فلما رأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما وقع بأكثر القراء ، خشى على من بقى منهم . فجاء إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال له : إن القتل قد استحز^(١) في قراء القرآن يوم اليمامة ، وإنى أخشى أن يستحز القتل بالقراء في المواطن كلها ، فيذهب قرآن كثير ، وإنى أرى أن تجمع القرآن .

التفكير في جمع القرآن

قتل أكثر القراء في واقعة اليمامة

فقال أبو بكر : كيف نصنع شيئاً لم يأمرنا فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر ، ولم يعهد إلينا فيه عهداً ؟

معارضة أبى بكر في جمع القرآن

فقال عمر : افعل فهو والله خير . ولم يزل عمر بأبى بكر حتى أرى الله أبا بكر مثل رأى عمر .

وهناك سبب آخر حدا بعمر رضى الله تعالى عنه للتمسك بضرورة جمع القرآن ، وهو أنه سأل عن آية من كتاب الله تعالى ، فقيل : كانت مع فلان وقد قتل يوم اليمامة . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وأشار بجمعه ، واستمسك بما أشار به .

(١) استحز : اشتد .

معارضة
زيد بن ثابت

قال زيد بن ثابت : فدعاني أبو بكر ، فقال : إنك رجل شاب عاقل لا تهملك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاجمع القرآن واكتبه .

قلت : كيف تصنعون شيئا لم يأمركم فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر ، ولم يعهد إليكم فيه عهدا ؟

قال : فلم يزل أبو بكر حتى أراني الله تعالى الذي رأى أبو بكر وعمر .
ووالله لو كلفوني نقل جبل لكان أيسر من الذي كلفوني .

جمع القرآن
في زمان أبي بكر

قال زيد : بفعلت أُنْتَبِغَ القرآنُ أجمعه من صدور الرجال ، ومن الرقاع ،
ومن الأضلاع ، ومن العصب ، والخاف^(١) .

ولقد فقت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ،
لم أجدها عند أحد ، فوجدتها عند رجل من الأنصار .

وهي : ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ^(٢))) . فالحقها في سورتها .

(١) من صدور الرجال : أي من الرجال الذين يحفظونه في صدورهم .

(٢) الرقاع : جمع رقعة ، وهي القطعة من الجلد .

(٣) العصب : جمع عصب ، وهو جذيد النخل . وقد كانوا يكشطون عنه الخوص ، ويكتبون عليه .

(٤) الخاف : حجارة بيض رقاق ، وقد كانوا يكتبون على هذه الأشياء لانعدام الورق ، وعدم وجود ما يكتب عليه في ذلك الحين .

(٥) النحب : المدة . وقضى فلان نحبه : أي قضى مدته فات .

(٦) سورة الأحزاب . آية ٢٣

وقد كان زيد رضى الله تعالى عنه — مع مزيد حفظه للقرآن —
الطريقة التي جمع بها القرآن

يأتيه الرجل بالآية، فيطلب منه شاهدين عليها .

وكان ذلك لشدة مبالغته في الاحتياط، وإدراكه للهمة العظمى الملقاة
على عاتقه .

وجاء عمر رضى الله تعالى عنه بآية الرجم . فلم يكتبها زيد لعدم وجود
شاهدين عليها .

وهي : (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُوهُمَا أَلْبَتَّ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ^(١)
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .
عدم إثبات
آية الرجم

وقد قيل : إن هذه الآية منسوخة التلاوة ، باقية الحكم ^(٢) .

وكان الشاهدان يشهدان بأن المكتوب من القرآن ، قد كتب بين يدي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى مسمع منه .

وبعد تمام جمع القرآن في الصحف ، حفظت عند أبي بكر رضى الله تعالى
عنه حتى مات ، ثم كانت عند عمر رضى الله تعالى عنه حتى مات ، ثم كانت
عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها .

ولم يجمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان
يترقبه من نزول ناسخ لبعضه .
سبب عدم جمع
القرآن في عهد
الرسول

(١) المراد بالشيخ والشيخة : المَرْتُوج والمَرْتُوجَة « المحصنين » مهما صغرا منهما .

(٢) أنظر ما كتبناه في هذا الكتاب بخصوص هذه الآية عند « الناسخ والمنسوخ » .

فلما انقضى ذلك السبب برفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ،
ألهم الله تعالى الخلفاء الراشدين بذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه ،
بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ^(١) ﴾ .

وقد كان الجمع من غير ترتيب للسور . وإنما كان ذلك الترتيب في عهد
عثمان رضي الله تعالى عنه .

وأغلب الظن أنه كان على ترتيب النزول . وعلى ذلك بعض مصاحف
السلف كما سنبين .

(١) سورة الحجر . آية ٩

كتاب المصحف

لما كانت خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه ، اختلف الناس في قراءة القرآن . فقدم حذيفة بن اليمان على عثمان وقال له : يا أمير المؤمنين إن الناس قد اختلفوا في القرآن ، وإن اختلفا فهم ليوشك أن يكون كاختلاف اليهود والنصارى ، حتى أن الرجل يقوم فيقول : هذه قراءة فلان . ويقوم الآخر فيقول : هذه قراءة فلان .

اختلاف الناس
في القراءات

وقد أخذ أهل البصرة القرآن عن أبي موسى الأشعري ، وأهل الكوفة عن عبد الله بن مسعود ، وأهل دمشق عن أبي بن كعب ، وأهل حمص عن المقداد بن الأسود .

القسراء من
الصحابة

وقد كان كل قطر من هذه الأقطار يدعى أنه أهدى سبيلا ، وأقوم طريقا . فخشى عثمان رضى الله تعالى عنه هذا الاختلاف وجمع الناس ، وكانوا يومئذ زهاء اثني عشر ألفا . فقال عثمان : ما تقولون ؟ لقد بلغني أن بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفرا .

نهى عثمان
عن القراءات

(١) وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون في أيديهم من الكتب . فاليهود لديهم نسخة من التوراة ، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ ومعان كثيرة . وليس في توراة السامرة حرف الهمزة ، ولا حرف الهاء ، ولا الياء . والنصارى بأيديهم توراة يسمونها العتيقة (لعلها كتاب العهد القديم) وهي مخالفة لنسخة اليهود والسامرة .

وأما النصارى بأيديهم أناجيل كثيرة لا حصر لها . أشهرها : إنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل متى ، وإنجيل يوحنا ، وإنجيل برنابا (وبعضهم ينكر إنجيل برنابا لموافقته لبعض ما جاء في القرآن الكريم) .

قالوا : فما ترى ؟ قال : أن يجمع الناس على مصحف واحد ، فلا يكون فرقة^{وهـ} ولا اختلاف . قالوا : نعم ما رأيت .

فأرسل عثمان رضي الله تعالى عنه إلى حفصة : أن أرسل إلينا بالمصحف فننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك .

كتابة
مصحف عثمان

فأرسلت إليه حفصة بالمصحف ، فأرسل إلى زيد بن ثابت ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن الحارث بن هشام ، وأبي بن كعب . فقال لهم : انسخوا هذه المصحف في مصحف واحد^(١) .

وقال للنفر القرشيين : إن اختلفتم أتم وزيد بن ثابت ، فاكتبوه على لسان قريش ، فإنما نزل بلسانها .

ففعّلوا ما أمرهم به عثمان رضي الله تعالى عنه ، حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف — وقد كانت أربعا — بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف .

فوجه إلى الكوفة إحداها ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، وأمسك عنده المصحف الرابع .

(١) نسخوا المصحف من الصحف التي كتبت بأمر عمر في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها . وقد أعاد عثمان رضي الله تعالى عنه آياته لتوحيد قراءته ، ومنع ما عدا قراءة قريش . وهذا ما يقتضيه تسلسل الحوادث كما هو مبين .

ثم أمر بما سوى ذلك أن يحرق، بعد أن استأذن حفصة في حرقها^(١).

حرق سائر
المصاحف عدا
مصحف عثمان

قال ابن حجر : وقد كان ذلك في سنة خمس وعشرين .

وقيل : إن عدد المصاحف التي كتبت خمسا — لا أربعا — وقيل :

سبعا : أرسل منها إلى مكة ، وإلى الشام ، وإلى اليمن ، وإلى البحرين ،
وإلى البصرة ، وإلى الكوفة ، وأبقى بالمدينة واحدا .

وقد كان عثمان رضي الله تعالى عنه يراجع ما يكتبونه كلمة فكلمة ، وحرفا

مراجعة عثمان
لمصحفه

خرفا ، ويصلح ما فاتهم سهوا .

فقد ورد أنه عرض عليه قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّ ﴾ . فأثبت بعدها

الهاء : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهُ ﴾^(٢) . وأيضا قوله جل شأنه : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ اللَّهِ ﴾ .

فحذف اللام وجعلها : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ﴾^(٣) . وعرض عليه أيضا قوله

عز وجل : ﴿ فَأَمْهِلِ الْكَافِرِينَ ﴾ . فجعلها : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٤) .

(١) إن أمر عثمان بحرق المصاحف التي تخالف مصحفه في القراءة ، دليل قاطع على وجوب

القراءة الواحدة بقراءة قریش وترك ما عداها ، وهذا ما نقول به .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، انظر ما كتبناه في « ما غيره الحجاج في المصحف » .

(٣) سورة الروم . آية ٣٠ .

(٤) سورة الطارق . آية ١٧ ، وهي قراءة سائر القراء المشهورين ، ولم يقرأ أحد من القراء .

« فأمهل الكافرين » .

لحن الكتاب في لمصحف

وقد سئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن اللحن الوارد في قوله تعالى :
(إِنْ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ) ^(١) . وقوله عز من قائل : (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ) ^(٢) . وقوله جل وعز : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ) ^(٣) .
فقلت : هذا من عمل الكُتَّاب ، أخطأوا في الكتاب .

وقد ورد هذا الحديث بمعناه بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه في مسنده ، عن أبي خلف
مولى بنى جمح ، أنه دخل على عائشة رضوان الله تعالى عنها فقال : جئت
أسألك عن آية في كتاب الله تعالى ، كيف كان يقرأها رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ؟ قالت : آية آية ؟ قال : (الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا)

(١) سورة طه . آية ٦٣ القاعدة العربية « إن هذين لساحران » وذهب قوم إلى جواز
« إن هذان لساحران » على لغة من يجزى المثني بالألف في أحواله الثلاث . وذهب آخرون
إلى أن إبدال حرف في الكتابة مكان حرف آخر جائز . مثل : « الصلوة ، والزكاة ، والحياة »
بالواو مكان الألف ، وفي الجمع نظر . وهو تمجّل ظاهر ، وتكلف لا داعي له .

(٢) سورة النساء . آية ١٦٢ القاعدة العربية « والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة » بالرفع
في الحالتين . وقرأ بها سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه . وكان يقول : هو من لحن الكتاب .

(٣) سورة المائدة . آية ٦٩ القاعدة العربية « والصابغين » .

أو ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾^(١) ؟ قالت : أيتهما أحب إليك ؟ قال : والذي نفسى بيده لإحدهما أحب إلى من الدنيا جميعا . قالت : أيتهما ؟ قال : ﴿الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا﴾ . فقالت : أشهد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حرف .

وعن سعيد بن جبير ، قال : في القرآن أربعة أحرف لحن :
﴿وَالصَّابِرُونَ﴾^(٢) . ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾^(٣) و﴿فَاصْذَقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤)
و﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرَانِ﴾^(٥) .

رأى سعيد بن جبير
في خطب الكتاب

(١) سورة المؤمنون . آية ٦٠ . وتامها «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» وهى القراءة المشهورة على غير رأى عائشة رضى الله تعالى عنها . ومعنى هذه القراءة : يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات ، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم صدقاتهم لتقصيرهم فى أدائها . ومعنى القراءة التى أقرتها عائشة وجمهور الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «الذين يؤتون ما آتوا» من الذنوب والآثام «وقلوبهم وجلة» خائفة مشفقة لـ «أنهم إلى ربهم راجعون» فيعاقبهم على ما قدّموا وفرطوا . ولم يورد هذه القراءة أحد من القراء ، مع وثوق روايتها عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، وهى من هى من قربها عن نزل عليه القرآن صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٢) سورة المسائدة . آية ٦٩ وأوتها : «إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون «والصابئين» بالنصب . وتعليبهم فى الرفع أن «الذين آمنوا» قبل دخول «إن» عليها : مبتدأ مرفوع . و«الصابئون» معطوف على محل اسم «إن» وهو تعليل عقيم . والأعجب من هذا أن هذه الآية بنصها قد وردت فى سورة الحج . آية ١٧ بالنصب ، فالذى أدى إلى نصبها فى الحج ورفعها فى المسائدة ؟ وقد جاءت فى سورة البقرة . آية ٦٢ بالنصب أيضا .

(٣) سورة النساء . آية ١٦٢ ، وأوتها : «لكن الراستخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر» يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون «والمقيمون» بالرفع . وتعليبهم فى النصب أنه على الاختصاص . أى وأمدح المقيمين . وهو تعليل سقيم .

(٤) سورة المنافقون . آية ١٠ ، وأوتها : «وألقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين» يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون «فأصدق وأكن من الصالحين» . وقرأ بها أبو عمرو .

(٥) سورة طه . آية ٦٣ ، يريد بذلك أنه يجب لغة أن تقرأ «إن هذين لساحران» . وقرأ بها أبو عمرو ويعقوب .

وقد سئل أبان بن عثمان : كيف صارت ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾^(١) ما بين يديها وما خلفها رفع ، وهي نصب ؟

قال : من قبل الكاتب ، كتب ما قبلها ، ثم سأل المولى : ما أكتب ؟
قال : اكتب المقيمين الصلاة . فكتب ما قبل له ، لا ما يجب عربية ، ويتعين قراءة .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾^(٢) و﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا ﴾^(٣) . قال : إنما هى خطأ من الكاتب : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا ﴾ .
وقرأ أيضا : ﴿ أَفَلَمْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾^(٤) . فقل له : إنها فى المصحف : ﴿ أَفَلَمْ يَبْأَسْ ﴾ . فقال : أظن أن الكاتب قد كتبها وهو ناعس .

وقرأ أيضا : ﴿ وَوَصَّى رَبُّكَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾^(٥) . وكان يقول : إن الواو قد ألترقت بالصاد^(٦) .

(١) سورة النساء . آية ١٦٢ يريد بذلك أنه يجب لغة أن تكون « والمقيمون » بالرفع .
وتعليقهم فى النصب أنه على الاختصاص ، أى وأمدح المقيمين ، وهو تعليل سقيم كما قد منا .

(٢) يعنى قوله تعالى : « والمقيمين » .

(٣) سورة النور . آية ٢٧ ، والقراءة المشهورة « حتى تستأذنوا » على خلاف رأى ابن عباس .
ولم يقرأ قارئ إطلاقا : « حتى تستأذنوا » .

(٤) سورة الرعد . آية ٣١ ، والقراءة المشهورة « أفلم يباأس الذين آمنوا » على خلاف ابن عباس ، ولم يقرأ أحد من القراء : « أفلم يتبين » .

(٥) سورة الاسراء . آية ٢٣ ، والقراءة المشهورة : « وقضى » .

(٦) وذلك أنهم كانوا لا ينقطون الأحرف ، فلم يظهر الفرق بين الواو وقد التصقت بالصاد « ووصى » وبين القاف المتصقة بالصاد « وقضى » .

رأى أبان بن عثمان
فى خطأ الكاتب

رأى ابن عباس
فى خطأ الكاتب

رأى الضحاك
في خطب الكتاب

وعن الضحاك إنما هي : (وَوَصَّى رَبُّكَ) . وكذلك كانت تقرأ وتكتب .
فاستمد كاتبكم ، فاحتمل القلم مدادا كثيرا ، فالتزقت الواو بالصاد . ثم قرأ :
(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) ،
(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) . وقال : لو كانت (قَضَى) من الرب ، لم يستطع
أحد رد قضاء الرب تعالى . ولكنها وصية أوصى بها عباده .

وقرأ ابن عباس أيضا : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ضِيَاءً) .
ويقول : خذوا الواو من هنا ، واجعلوها ههنا . عند قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ
لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) . يريد بذلك أن تقرأ : (وَالَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) .

(١) سورة النساء . آية ١٣١ (٢) سورة العنكبوت . آية ٨

(٣) يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ، وأيده فيه الضحاك ، قوله تعالى عن لوط عليه السلام :
« وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » وقد تم ما قضاه الله . وقوله تعالى
عن سليمان عليه السلام : « فلما قضينا عليه الموت » وقد مات فعلا . وقوله تعالى : « وقضينا
إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين » وقد حصل الفساد مرتين .
وخلاصة ما يؤيد هذا المذهب قوله تعالى : « إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون »
بمعنى أنه تعالى إذا قضى ألا يعبد الناس إلا إياه ، وأن يحسنوا إلى والديهم ، كان ذلك حتما
مقضيا بالنسبة لسائر المخاطبين .

ويؤيد القراءة المشهورة « وقضى » قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى
الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » فيكون القضاء بمعنى الحث والاختيار والترغيب .
ويصح أن يؤخذ من هذا أيضا دليل عكسي ، لأن هذه الآية نزلت في زواج زينب بنت جحش
بريد بن حارثة ، وقد تم ما قضاه الله تعالى ، وتزوجت به رغم معارضتها لهذا الزواج وإيائها .
(٤) سورة الأنبياء . آية ٤٨ ، وتامها « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان ضياء . وذكرنا
للتقين » . والقراءة المشهورة « وضياء » بأثبات الواو حيث لا موجب لوجودها .
(٥) سورة آل عمران . آية ١٧٣ والقراءة المشهورة « الذين » بدون واو . مع أن ما قبله
غير متعلق به .

وقرأ أيضا : ﴿ مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِينَ كَمِشْكَاةٍ ^(١) 〉 . وكان يقول : هي خطأ من الكاتب . هو تعالى أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة .

وذكر ابن أشتة في كتاب المصاحف بأن جميع ما كتب خطأ ، يجب أن يقرأ على صحته لغة ، لا على رسمه . وذلك كما في : ﴿ لَا أَوْضَعُوا ، لَا أَذْبَحْنَهُ ﴾ بزيادة ألف في وسط الكلمة . فلو قرئ ذلك بظاهر الخط ؛ لكان لحنا شنيعا ، يقلب معنى الكلام ، ويخل بنظامه .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ^(٢) 〉 . ومعنى حفظ القرآن : إبقاء شريعته وأحكامه الى يوم القيامة ، وإعجازه أبد الدهر ، بحيث يظل المثل الأعلى للبلاغة ، والرصانة ، والعدوبة ، سهل النطق على اللسان ، جميل الوقع في الآذان ، يملك قلب القارئ ، وب السامع . وليس ما قد مناه من لحن الكُتَّاب في المصحف بضائره ، أو بمُشَكِّك في حفظ الله تعالى له . بل إن ما قاله ابن عباس وعائشة وغيرهما من فضلاء الصحابة وأجلاء التابعين ، أدعى لحفظه وعدم تغييره وتبديله .

ومما لا شك فيه أن كُتَّابَ المصاحف من البشر ، يجوز عليهم ما يجوز على سائرهم من السهو والغفلة والنسيان ، والعصمة لله وحده .

وقد اختلفوا في عصمة الأنبياء . والقول الراجح : أنهم معصومون فيما يتعلق برسالاتهم فقط ، أما ما عداها فشأنهم كشأن بقية البشر .

(١) سورة النور . آية ٣٥ ، والقراءة المشهورة : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح » . ولم يقرأ أحد من القراء : « مثل نور المؤمن » . كقراءة ابن عباس .
(٢) سورة الحجر . آية ٩ .

قراءة القرآن
على صحته لغة
لا على رسمه

حفظ القرآن
من التبديل

جواز الخطأ على
كُتَّابِ المصحف

عصمة الأنبياء .

وَمَثَلُ لَحْنِ الْكُتَّابِ كَلَحْنِ الْمَطَابِعِ ، فَلَوْ أَنَّ إِحْدَى الْمَطَابِعِ طُبِعَتْ
مُصَحَّفًا بِهِ بَعْضُ الْخَطِّ — وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ هَذَا — وَسَايَرَهَا عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ
قِرَاءِ هَذَا الْمُصَحَّفِ ؛ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُتَعَارِضًا مَعَ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ،
وِإِعْلَانِهِ لَشَأْنِهِ .

تسمية المصحف ولما كتب المصحف ، قال عثمان رضى الله تعالى عنه : التمسوا
له اسما . فقال قوم : « الكتاب » . وقال آخرون : « السفر » .
وقال قوم : « المصحف » . وهو اسم أعجمي ، ومعناه : جامع الصحف ،
فسماه به .

سبب كتابة عثمان
للمصحف ويعلم مما تقدم أن أساس كتابة عثمان رضى الله تعالى عنه للمصحف ،
هو اختلافهم في أوجه القراءات ، وخشية أن يمتد ذلك الاختلاف إلى الألفاظ
والمعاني ؛ فرأى — جمعا للكلمة ، وتوحيدا للرأى ، وخشية الخروج عما
أراده الله تعالى بكتابه ، ولتحقيق ما وعد الله تعالى به من حفظه وصيانته —
أن يكتب المصحف على حرف واحد ، ويجمع الأمة على رأى واحد ، وقراءة
واحدة . وذلك بعد أن أخذ رأى أئمة المسلمين وكبرائهم ، ممن عاصر
الرسول عليه الصلاة والسلام ، وصحبه واهتدى بهديه .

ترتيب السور وقد اختلف في ترتيب السور ، هل هو توقيفى ؟ أم هو من فعل
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؟

والقول الراجح : أن ترتيب السور وتسميتها ؛ هو من فعل الصحابة .

أما جمع الآيات وترتيبها في السورة الواحدة فهو توقيفي^(١)، تولاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، كما بينه له وأرشده اليه جبريل عليه السلام بأمر ربه تعالى .

ومما يدل على أن ترتيب السور من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وأنه ليس بتوقيفي ؛ اختلاف مصاحفهم في الترتيب .

اختلاف
مصاحف السلف
في الترتيب

فمنهم من رتبه على ترتيب نزوله ، كعلي رضي الله تعالى عنه . فقد كان أول مصحفه : سورة اقرأ ، ثم المدثر ، ثم نون ، ثم المزمل ، ثم تبت ، ثم التكوير . وهكذا الى آخر المكي ، فالمدني .

ومنهم من رتبه حسب السياق ، كابن مسعود رضي الله تعالى عنه . فقد كان أول مصحفه : البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، مع اختلاف كثير . وقيل : إن ترتيب المصحف قد كان بلهام من الله تعالى لعباده ، فكتب كما هو ثابت باللوح المحفوظ . والله تعالى أعلم .

لم يمض على ذلك زمن كبير، حتى عاد الناس الى ما كانوا عليه من اختلاف في القراءة ؛ فاتبع كل قطر قارئاً من القراء ، واستقر أمرهم على سبع قراءات معينة تواتر نقلها .

عودة الناس
الى القراءات

وأصحاب هذه القراءات هم : عبد الله بن كثير في مكة ، ونافع^(٢)

القراء السبع

(١) وذلك لأن بعض الآيات قد يرد في آخر سورة . مع تقدم هذه الآيات في النزول على ما سبقها من الآيات والسور . وهذا لا يكون إلا بإرشاد فائله ومنزله تعالى .

(٢) عبد الله بن كثير ، ويكنى بأبي معبد : كان إمام الناس في القراءة بمكة ، وكان فصيحاً مفوهاً ، لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير ، وأبا أيوب الأنصاري ، وأنس بن مالك .

ابن أبي رويم^(١) في المدينة، وأبو عمرو بن العلاء^(٢) في البصرة، وعاصم بن أبي النجود^(٣)، وحزمة بن حبيب الزيات^(٤)، وعلى الكسائي^(٥) في الكوفة، وعبد الله بن عامر^(٦) في الشام.

(١) نافع بن أبي رويم، وهو من أصبهان. وكان أسود اللون حالكا، وكان إمام الناس في القراءة بالمدينة، وكان إذا تكلم يشتم من فيه رائحة المسك، ولما سئل عن ذلك قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن في في.

(٢) أبو عمرو بن العلاء، وهو زيان بن العلاء المازني البصري: كان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والأمانة والدين.

روى عن سفيان بن عيينة، قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله! قد اختلفت على القراءات، فقراءة من تأمرني أن أقرأ؟ قال: اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

(٣) عاصم بن أبي النجود: كان هو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة، وقد جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن.

سئل الإمام أحمد بن حنبل عنه فقال: رجل صالح ثقة، خير. قال ابن عياش: دخلت على عاصم وقد احتضر، فجعل يردد هذه الآية، يحققها حتى كأنه في الصلاة: «ثم رددوا إلى الله مولاهم الحق».

وقد أخذ عنه إمام القراء حفص بن سليمان الكوفي، الذي كتبت على قراءته المصاحف المصرية وغيرها، وهو غير حفص الدوري الراوي عن أبي عمرو والكسائي.

(٤) حزمة بن حبيب الزيات: كان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، وكان ثقة حجة، مجتهدا للقرآن، عارفا بالقراءات والعربية، عابدا خاشعا، ناسكا قانتا لله.

(٥) علي بن حمزة الكسائي: كان إمام الناس في القراءة في زمانه، وأعلمهم بالنحو والغريب، وكان أصدق الناس لهجة.

وما روى عن ورعه وعدم تكسبه بالقرآن: أن كان لأحد تلامذته سبيل لسقى الناس، فتر الكسائي وأراد أن يشرب، فلما علم أن هذا السبيل لواحد ممن يقرأون عليه، عدل عن الشرب منه.

(٦) عبد الله بن عامر: كان إماما كبيرا، وتابعا جليلا، وعالما شهيرا، أم المسلمين في الجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز، وقبله وبعده، فكان ياتم به وهو أمير المؤمنين، وكبير الزاهدين، وناهيك بذلك متقبة، وجمع له بين الإمامة والقضاء.

على أن هذه القراءات قد زيدت بعد ذلك الى عشر، وهم : أبو جعفر
يزيد بن القعقاع^(١) في المدينة ، ويعقوب الحضرمي^(٢) في البصرة ، وخلف
البنار في الكوفة^(٣) .

هذا غير قراءات أخرى لاعداد لها، سميت «شاذة» لشذوذها عن اللغة ،
وعما أجمع عليه المسلمون ، ولتغييرها للألفاظ والمعاني في كثير من المواضع .

وقد بلغ من هذه القراءات والاختلافات ، أن الآية الواحدة — التي
لا يختلف في النطق بها ولا في معناها اثنان — قد يبلغ الاختلاف في روايتها
الى عشرين أو ثلاثين ، أو أكثر من ذلك .

وقد بلغت طرق هذه القراءات تسعمائة وثمانين طريقا للقراءات
العشر فقط .

قيل : إن أول من أمر بنقطه وشكله ، هو عبد الملك بن مروان .
فتصددى لذلك عامله الحجاج بن يوسف الثقفي . فأمر الحسن البصري ،
ويحيى بن يعمر ، ففعلا ذلك .

وقيل : إن أول من نقطه أبو الأسود الدؤلى . وقيل : نصر بن عاصم
الليثي . وقيل غير ذلك ، والقول الأول هو الأرجح .

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع : كان تابعيا كبير القدر ، انتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة .
وكان ثقة ، ولم يكن بالمدينة في عهده أقرأ للسنة منه . وقد روي أنه بعد وفاته شعث من جسمه
نور ساطع ، فاشك أحد من حضره أنه نور القرآن الكريم .

(٢) يعقوب بن إسحق الحضرمي : كان إماما كبيرا ثقة ، عالما صالحا ، انتهت إليه رئاسة
القراء بعد أبي عمرو ، وكان إمام جامع البصرة . قال أبو حاتم السجستاني : هو أعلم من رأيت
بالحروف ، والاختلاف في القراءات ، ومذاهب النحو .

(٣) خلف بن هشام البنار : حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وابتدأ في طلب العلم
وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وكان إماما كبيرا زاهدا عابدا .

نقط المصحف
وشكله

القراءات الشاذة

اختلاف
الروايات

مانعيره الجحاج في المصحف

- قد غير الجحاج بن يوسف الثقفي في المصحف ^(١) ، اثنا عشر موضعاً :
- كانت في سورة البقرة ^(٢) « لَمْ يَتَسَنَّ » فغيرها ^(٣) « لَمْ يَتَسَنَّهُ » بالهاء .
- وكانت في سورة المائدة ^(٤) « شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَا » فغيرها ^(٥) « شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَا » .
- وكانت في سورة يونس ^(٦) « هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ » فغيرها ^(٧) « يُسِيرُكُمْ » .
- وكانت في سورة يوسف ^(٨) « أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ » فغيرها ^(٩) « أَنَا أَنْبَأُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ » .
- وكانت في سورة المؤمنين ^(١٠) « سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » فغيرها ^(١١) « سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » .

- (١) وهو المصحف الذي كتب في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه . والجحاج أول من نقط المصحف وشكله ، بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان ، كما بينا في الفصل السابق .
- (٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ و « لَمْ يَتَسَنَّ » أي لم يتغير . وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وصلاً لا وقفاً . و « يتسنه » لغة فيها ، وهي القراءة المشهورة : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه » . أنظر ما كتبناه في « مراجعة عثمان لمصحفه » .
- (٣) سورة المائدة . آية ٤٨ و « شريعة » و « شرعة » بمعنى واحد . وهو : الدين . ولم يقرأ أحد من القراء « شريعة » .
- (٤) سورة يونس . آية ٢٢ و « ينشركم » يحْيِيكُمْ . وبها قرأ ابن عامر ، ويزيد بن القعقاع .
- (٥) سورة يوسف . آية ٤٥ و « أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ » أي آتِيكُمْ مِنْ يُؤْوِلُهُ لَكُمْ . وهو يوسف عليه السلام . ولم يقرأ بها أحد من القراء .
- (٦) سورة المؤمنين . آية ٨٧ القراءة المشهورة : « سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » ، وما قبل هذه الآية يؤيد ما ذهب إليه الجحاج . وهو قوله تعالى : « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ » وقرأ بها أبو عمرو ، ويعقوب ، وأهل البصرة .

وفي نفس السورة أيضا : (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ)^(١) . فغيرها (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) .

وكانت في سورة الشعراء — في قصة نوح عليه السلام — (مِنَ الْمُخْرَجِينَ)^(٢) وفي نفس السورة — في قصة لوط عليه السلام — (مِنَ الْمَرْجُومِينَ)^(٣) فغير التي في قصة نوح، وجعلها (مِنَ الْمَرْجُومِينَ) وجعل التي في قصة لوط (مِنَ الْمُخْرَجِينَ) .

وكانت في سورة الزخرف : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ)^(٤) . فغيرها (مَعِيشَتَهُمْ) .

وكانت في سورة الذين كفروا (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يُاسِينِ) فغيرها (آسِينِ)^(٥) .
وكانت في سورة الحديد (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَتَّقُوا)^(٦) فغيرها (وَأَتَّقُوا) .

(١) سورة المؤمنون . آية ٨٩ والقراءة المشهورة « سيقولون لله » وعلى ذلك رسم المصحف المصرى . وقراءة حفص . وما قبل هذه الآية ، يؤيد ما ذهب إليه الحجاج . وهو قوله تعالى : « قل من بيده ملكوت كل شيء . وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون الله » وقرأ بها أيضا أبو عمرو ، ويعقوب ، وأهل البصرة .

(٢) سورة الشعراء . آية ١١٦ والقراءة المشهورة « قالوا لنن لم تنه يا نوح لتكون من المرجومين » كما غيرها الحجاج .

(٣) سورة الشعراء . آية ١٦٧ والقراءة المشهورة « قالوا لنن لم تنه يا لوط لتكون من المخرجين » كما غيرها الحجاج أيضا .

(٤) سورة الزخرف . آية ٣٢ والقراءة المشهورة « معيشتهم » كما غيرها الحجاج . ولم يقرأ « معاشهم » أحد من القراء .

(٥) سورة محمد . آية ١٥ والقراءة المشهورة « آسن » كما غيرها الحجاج . و (أسن) الماء : تغير فلم يشرب . وقرأ « يا سن » حمزة وقفنا لا وصلا .

(٦) سورة الحديد . آية ٧ والقراءة المشهورة « وأتقوا » كما غيرها الحجاج . وهو ما يقتضيه سياق الآية « آمنوا بالله ورسوله وأتقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأتقوا لهم أجر كبير » ولم يقرأ أحد من القراء « وأتقوا » .

وكانت في سورة التكوير ^(١) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنٍّ﴾ فغيرها ^(٢) ﴿بِضَنٍّ﴾ .

ولم يصنع الحجاج ما صنع ، إلا بعد اجتهاده وبحثه مع القراء والفقهاء المعاصرين له . وبعد إجماعهم على أن جميع ذلك قد حدث من تحريف الكتاب والناسخين ، الذين لم يريدوا تغييرا ولا تبديلا ، وإنما حدث بعض ما حدث ؛ لجهلهم بأصول الكتابة وقواعد الإملاء . والبعض الآخر ؛ لخطأ الكاتب في سماع ما يمل عليه ، والتباسه فيما يتلى عليه .

سبب ما فعله الحجاج
من التغير

ولا يتنافى هذا مع قوله جل شأنه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ^(٣) . لأن المراد بالحفظ ، مفهوم الألفاظ ، لا منطوقها . لأن الألفاظ ما صيغت إلا ليستدل بها على معان مخصوصة ، قصد بها أوامر ، ونواه ، وعبادات ، ومعاملات . وجميعها مصان محفوظ ، مهما تقدم الدهر ، وتطاول العمر .

(١) سورة التكوير . آية ٢٤ والقراءة المشهورة « وما هو على الغيب بضن » كما غيرها الحجاج . و« ضن » أى بخيل . والمعنى : وما محمد على الوحى بخيل . بل يبلغه اليكم ، لا كما يفعله الكهان من كتم العلم ، رغبة فى أخذ الأجر .
وقرأ « بظن » مكى ، وأبو عمرو ، وعلى ، ويعقوب . والمعنى : وما هو على الغيب بمتهم .
فينقص شيئا ، أو يزيد فيه . وهى من الظنة ، أى التهمة .
(٢) سورة الحجر . آية ٩

هَجَاءُ الْفُرَافِسِ

وَلَقَدْ نَبَأَ الْفَرَزْدَكَ فِيهِمْ مَكِينٌ

أُمِّيَّةُ الرَّسُولِ ﷺ

لقد كانت سنة الله تعالى في إرسال الرسل عليهم السلام : أن يحملهم
أروع ما وصلت إليه أقوامهم من علوم وفنون .

معجزات عيسى
فبعث عيسى عليه السلام الى قوم قد بلغوا غاية الرقي في الطب والحكمة ،
فأبرأ الأكف والأبرص .

ولم يقف عند هذا الحد في الإعجاز . بل أراد أن يبهتهم بما أوتي ،
ويعلمهم أن ما جاء به ليس من نوع طبهم الذي تعلموه ، ولا علمهم الذي
اكتسبوه بالتلق والدراصة ؛ فأحيا الموتى^(١) بإذن الله .

معجزات موسى
وبعث موسى عليه السلام الى قوم قد تخصصوا في السحر . فجعل
معجزاته مشابهة في المظهر لما يأتونه بسحرم ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُرِينٌ﴾ ونزع يده^(٢) فإذا هي بيضاء للتأطرين .

وأراد أن يعلمهم أن هذا ليس من نوع سحرم ، ولا من جنس
باطلهم ؛ فلفقت تلك العصا ما صنعوه بسحرم — من حبال وعصى

(١) ذهب بعض من أضله الله تعالى : الى أن أحيا الموتى على يد عيسى لم يكن إحياء
حقيقيا للأجسام بعد فنائها . بل كان إحياء للقلوب — التي أماتها الكفر — بالنصح
والتعليم والإرشاد .

وهذا خطأ فاحش مكفر . لأنه لو صح ؛ لاستوى سائر العلماء بعيسى عليه السلام في هذه المعجزة .
لأن كلهم ناصح ، وكلهم مرشد ، وكلهم معلم .

(٢) سورة الأعراف . آية ١٠٧ و ١٠٨

خيل الى موسى عليه السلام ، وإلى الناظرين أنها حيات تسعى -
ولم تدع له أثرا .

في حين أن فعل موسى لو كان من نوع السحر ؛ لظلت حبالهم وعصيمهم
كما كانت أصلا .

فصاحة الأمة
العربية

ولما كانت الأمة العربية في نهاية البلاغة ، وغاية الفصاحة ؛ كان
أروع ما يلفت أنظارها ، ويستدعي انتباهها ، ويهز مشاعرها ؛ كتاب فصيح
بليغ ، تغلب بلاغته الأبواب ، وتدهش فصاحته العقول . فأرسل الله تعالى
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرآن الكريم .

ولما كان ذلك مظنة التكذيب والاختراع والإنشاء ؛ أرسله الله تعالى
أميا لا يقرأ ولا يكتب ؛ ليكون أبعد عن الظنة والريب .

كالرسول بأبيه

ولم تكن تلك الأمية نقصا في مداركه عليه الصلاة والسلام ؛ بل
نقصه الله تعالى ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجب عنه القليل ليجلى له
الكثير .

لقد نقصه الكتابة ، ومنحه مستلزماتها ومقتضياتها . وذلك لأن المكاتب
يكتب ويقرأ ؛ ليستفيد علما وبلاغة وفهما . وقد وهب صلى الله تعالى
عليه وسلم سائر العلم والبلاغة والفهم .

بلاغة الرسول
وأدبه

لقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أديبا وخطيبا وبلغا . إذا احتاج
في موقف الى الأدب ؛ كان أديب الأدياء . أو الى الخطابة ؛ كان أخطب
الخطباء . أو الى البلاغة ؛ كان أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء .

كان إذا أطال الكلام ؛ قصر عنه كل مطيل . وإذا قصر القول ؛
أتى على غاية كل خطيب .

وأين من يدعون الدعاوى العريضة ، ويخطبون الخطب الطوال ؛
في محاربة الدكتاتورية والأرستقراطية ؟ أين كلامهم الطويل الممل ، من
دعوته صلى الله عليه وسلم للديمقراطية بتلك الكلمة القصيرة الموجزة
« لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

دعوته إلى
الديمقراطية

وقد وصف الجاحظ كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : هو الكلام
الذي قلَّ عددُ حروفه ، وكثُرَ عددُ معانيه . وجَلَّ عن الصَّنْعَةِ ، وتَنَزَّهَ عن
التكلف . وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿ وَمَا أَنَا
بِالْمُتَكَلِّفِينَ ﴾^(١) .

وصف الجاحظ
لبلاغة الرسول

ومن عجب أن يبعثه الله تعالى أمياً فيأتى بالقرآن الذي حير البلغاء ،
وأخرس الفصحاء . وينطق بجوامع الكلم ؛ فيَسْبَحُ الكُتَّابُ والمتعلمون
في بحر لحى من علمها ، وأدبها ، وبيانها ، وتشريعها ، وهداها !
لقد كان ذلك النبي الأُمِّي يخطب الناس ؛ فيتدفق البيان من فيه ،
وتخرج العبارات دقيقة متناسقة ، من غير حصر ولا عى .

أمى بهر الخطباء
والأدباء والمتعلمين

حقاً إنها لأمية عجيبة ، بهرت المتعلمين والدارسين ، وأعجزت
الأدباء والكتّاب !

ولم يكن ذلك إلا لأنها معجزة للرسول صلوات الله وسلامه عليه .

أُمِّيَّةُ الْعَرَبِ

لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء،
لأُمِّيَّتِهِمْ وَبَدَاوَتِهِمْ، وبعدهم عن العلوم والفنون؛ كانت كتابتهم للمصحف
الشريف سقيمة الوضع، غير محكمة الصنع. بخفاء الكتبة الأولى مزيجا
من أخطاء فاحشة، ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم كما سنبين فيما بعد.

وليس هذا غمطا لحقهم، ولا انتقاصا لفضلهم. فهم من نعرف من
النبيل والفضل، والسبق في الخيرات والمكرمات. لكنهم كانوا أُمِّيِّينَ قبل
كل شيء. بل والأُمِّيَّة — التي تعتبر نقصا ومسبة للناس — هي
إحدى مفآخرهم.

قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ».
ويؤخذ من ذلك، ومن تاريخ الأمة العربية؛ أنها بلغت الغاية في الأُمِّيَّة،
أو أنها تغلب عليها.

وليس من المعقول أن أُمَّةً قد اتَّسَمَتْ بِالْأُمِّيَّةِ، وصارت الأُمِّيَّة اسمًا
لها، وعلمًا عليها؛ أن يبلغ بعض أفرادها — مهما أوتوا من علم — الدرجة
المطلوبة، والغاية المرجوة في علم الهجاء وفق الكتابة.

(١) القمط: الاحتقار والازدراء.

وإنما الذى يستسيغه العقل ، ويؤيده الدليل والبرهان ، أنه إذا تعلم فرد الكتابة فى أمة أمية ، فإن تعلمه لها يكون محدودا ، ويكون عرضة للخطأ فى وضع رسم الأحرف والكلمات .

ولا يصح — والحال كما قدمنا — أن يؤخذ رسمه هذا أنموذجا تسير عليه الأمم التى ابتعدت عن الأمية بمراحل ، وأن نوجب عليها أخذه على علاته ، وفهمه على ما فيه من تناقض ظاهر ، وتنافر بين .

وذلك بدرجة أن العلماء الذين تخصصوا فى فن رسم المصحف ؛ لم يستطيعوا أن يعللوا هذا التباين ، إلا بالتجائهم الى تعليقات شاذة عقيمة .

التعليل السقيم
للخطا الوارد
فى إملاء المصحف

فمن قائل : إن هذه الكلمة قد رسمت بالتاء ، مع نطقها بالهاء ؛ لصحة الوقوف عليها بالتاء فى بعض القراءات . ومن قائل : إن هذه الكلمة قد رسمت بصيغة النفى ، مع نطقها بصيغة التوكيد ؛ للإشارة إلى أن التوكيد لم يحصل .^(١)

وأمثال هذه الترهات كثير فى تعليقاتهم وتحلاتهم .

على أنهم رغم هذه التحلات ؛ قد وقفوا أمام بعض المتناقضات حائرين مشدوهين . لم يستطيعوا أن ينتحلوا لها عذرا ، أو يحيروا عنها جوابا . كما سنبينه فى مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقد كانت الكتابة فى العرب قليلة نادرة .

(١) انظر ما كتبناه عند فصل « التناقض الموجود فى رسم المصحف » .

(٢) شدة الرجل ، بضم الشين وكسر الدال : دهش .

ذكر هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره : أن بشر بن عبد الملك
أخا أكيدر دومة^(١) ، تعلم الكتابة من الأنبار ، ثم قدم مكة فترّج الصهباء
بنت حرب بن أمية ، أخت أبي سفيان : صخر بن حرب بن أمية ؛ فتعلم
حرب بن أمية وابنه سفيان الكتابة من بشر ، وتعلمها عمر بن الخطاب من
حرب أيضا ، وتعلمها معاوية من عمه سفيان .
وهكذا سرت الكتابة بين العرب على قلة وضعف .

وقيل : أن أول من تعلم الكتابة من الأنبار : قوم من طيء ، ثم هذبوها
ونشروها في جزيرة العرب ؛ فتعلمها الناس .

ولما كانت الكتابة بين العرب في أول عهدهم بالإسلام ، ولم يتنموا
إتقانها ، ومعرفة سائر فنونها : وقع في كتابة المصاحف اختلاف كبير
في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة ورسمها ، لا من حيث معاني
الكلمات ومدلولها .

من الأمور المسلم بها : أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها ، ولا يطلب
منها ما يثقل عليها . وقد نزل القرآن الكريم لهداية الناس كافة ، خصوصا
عامة وجها لهم .

وقد كتب المصحف في العصر الأول بالهجاء الذي تعارفوه ، والرسم
الذي ألفوه . وذلك غاية جهدهم ، ومبلغ علمهم .

(١) أكيدر : صاحب دومة الجندل . وهو حصن بين الشام والمدينة ، يفصل بين الشام
والعراق .

(٢) الأنبار : بلدة قديمة بالعراق ، وقرية ببلخ ، وسكة بمرور . ولعل المقصود هنا : بلدة العراق .

تعلم الكتابة
في الأمة الإسلامية

أول من تعلم
الكتابة من العرب

اختلاف الهجاء
لا يغير النطق

ولم يكلفهم ربهم تعالى بأن يكتبوه بهيئة تشق عليهم ، وتصعب
على مداركهم .

وإن الإملاء مهما تطوّر رسمه ، وتعدّدت مناحيه ؛ فإنه لا يغير نطقاً ،
ولا يحزف معنى .

وإذا سلمنا بما يقوله بعضهم ، من أن الرسم القديم يتفق مع كثير
من القراءات ؛ لوجب علينا أن نكتب المصحف المصرى بما يوافق اللهجة
المصرية من القراءات .

وإلا فكيف نكلف العامة — بل الخاصة الذين لم يحفظوا القرآن —
قراءة ما لم يحيطوا به علماً ، ولم يستطيعوا له فهماً .

قال أشهب رضى الله تعالى عنه : سئل مالك رحمه الله تعالى : أرايت
من استكتب مصحفاً اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس
من الهجاء ؟

راى مالك فى هجاء
المصحف

فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتّبة الأولى .

فسأله السائل عن نقط القرآن . فقال : أما الإمام من المصاحف^(١)
فلا أرى أن ينقط ، ولا يزداد فى المصاحف ما لم يكن فيها^(٢) ، وأما المصاحف
التي يتعلم فيها الصبيان ؛ فلا أرى بذلك بأساً .

(١) الإمام من المصاحف : هو المصحف الذى يعتبر أصلاً لها . ويعنى به المصحف الذى
أمر بكتّابته عثمان رضى الله تعالى عنه : وهو إمام المصاحف كلها .

(٢) وقد زيد فى المصاحف : النقط ، والشكل ، وفواصل الآى ، وتقسيمه إلى أجزاء
وأعشار ، وأرباع . ولم تقف الزيادة عند هذا الحد ؛ بل وضعت فيه علامات وإشارات ليست منه .
كقلى ، وصلى . إشارة إلى أن الوقف أولى ، والوصل أولى ، وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

مغالطة عليها الرسم
في رأى مالك

ومن العجيب أن علماء الرسم ، ومن لف لفهم ، يوردون من قول مالك رضى الله تعالى عنه ، ما يتفق ورأيهم ، فيذكرون منه إلى قوله : ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، ويسكتون عن باقيه ، وهو جواز كتابة المصاحف بالرسم الحديث ؛ لمن يتعلمون القرآن .

وقد أصبح الناس جميعا في زماننا هذا — عالمهم وجاهلهم — في حكم الصبيان الذين يتعلمون القرآن . عدا بضع نفر ممن أكرمهم الله بفهمه . ونهى مالك رضى الله تعالى عنه عن كتابته بخلاف الرسم الأول ؛ إنما هو نهى عن التلاعب بأصله ، المؤدى لضياعه وتحريفه .

ونحن إذا جارينا علماء الرسم ، واتبعنا مالكا فيما أمر به ونهى عنه ؛ لوجب علينا أن نتبعه أيضا في عدم النقط ، وعدم وضع علامات رءوس الآى ، وعلامات الأحزاب والأرباع ، وعدم وضع أية إشارة لم يضعها عثمان رضى الله تعالى عنه في مصحفه ، الذى أجمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .

وإذا فعلنا ذلك ؛ فإن أى مسلم ، بالغ ما بلغ من التعلم والثقافة ؛ لا يستطيع قراءته ، ولا يقوى على تلاوته .

ولكن مالكا رضى الله تعالى عنه ؛ قد أباح كتابته على الهجاء الحديث ، وأجاز نقطه لمن يتعلمون القرآن ويتلقونونه ، مع بقاء المصحف الإمام ، والمحافظة على أصله كما هو ، بدون نقط ، ولا إحداث شئ فيه .

(١) وهذا مما يدعو إلى الأسف الشديد ؛ أن ينصرف المتعلمون والمتأدبون ، عن منبع العلم والأدب . ينصرفون عما ينفعهم في الدين والدنيا ، ويتهافون تهافت الذباب ، على قراءة الروايات البذيئة ، المحشوة بالأباطيل والأضاليل .

وهذا هو الرأى الذى نستصوبه ، وندعو إليه ، ونرغب فيه . وهو أن يُكْتَبَ المصحف الإمام ، كمصحف عثمان رضى الله تعالى عنه تماما : لا ينقط ، ولا يشكل ، ولا يدخل فيه ما ليس منه ، ويبقى كأصل محفوظا أمرا لبقاء الرسم الأول . وتكتب باقى المصاحف بالإملاء الحديث .

وقد جاء عن ابن عمر ، وقتادة ، وإبراهيم ، وهشام ، وابن سيرين : كراهة نقط المصاحف ، وإحداث أى تحسين أو تميق بها . وقد أغلظوا فى ذلك ، وأعظموا فى إثمه .

وها نحن أولاء : قد نقطن المصحف ، ونمقناه ، ووضعنا به علامات ، وأدخلنا فيه إشارات وعبارات ، ليست منه وليس منها .

أليس كل ذلك لتسهيل قراءته ، وتبيين عبارته ، وتعريف وفاته ، وتبين مواضع سكتاته ، ومواطن سجدياته ؟

فحيث أدخلنا عليه ما كرهه الأوائل ، ولم يرضوا عنه ، ولم يفتوا به . وذلك لمصلحة رأيها ، وحكمة تبينها . ولأجل أن يستطيع القارئ أن يقرأه ، والمتفهم أن يفهمه ، فلا أقل من أن نكتبه بالهجاء الذى تداوله الناس ، واصطاحوا على علمه ومعرفته .

ولا بأس أن يحفظ أصل المصحف الإمام : مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه . بغير نقط ، ولا تعشير ، ولا إحداث شئ فيه . كما أفتى بذلك عالم المدينة ، وإمام الأئمة مالك رضى الله تعالى عنه .

قال الجعبرى فى سياق كلامه عن هجاء المصحف ، ما نصه :
وأعظم فوائده : أنه حجاب منع أهل الكتاب أن يقرأوه على وجهه .
(انتهى كلامه) .

كراهة إحداث
شئ فى المصحف

قول بعض
المدافعين عن
الرسم القديم

يمثل هذا الهراء ، ينطق أحد أئمة القراء ، ويمثل هذا الكلام يحتاج القائلون بوجوب الهجاء القديم . مع أن هذا القول واضح البطلان ، بادی الخسران ، مردود على قائله . لا يقبله من عنده أدنى تفهم وتعقل .

يا للعجب ! كأن الله تعالى لم يرد إيمان أهل الكتاب ، ولم يخاطبهم بالقرآن ، ولم يقل لهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا ﴾^(١) . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(٢) . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٣) . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا ﴾^(٤) . ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾^(٥) .

ونحن إذا أردنا أن نحصر الألفاظ التي وردت في المصحف مختلفة عن رسم الهجاء الحديث ؛ لضاق بنا المقام .

الخلاف بين
الرسم القديم
والهجاء الحديث

ولكننا نكتفي بأن نورد طرفاً يسيراً منها ؛ ليتبين القارئ مقدار الخلاف ، ومدى تشويهه للنطق ، ومبلغ صعوبته لو كلفنا المسلم الذي لم يحفظ القرآن — مهما أوتي من علم ، وفهم ، وثقافة ، ورقى — أن يقرأ في المصحف على رسمه القديم .

وها هو جدول ببعض الكلمات كما وردت بالرسم القديم ، وما يقابلها من الهجاء الحديث :

- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة آل عمران . آية ٦٤ . | (٢) سورة النساء . آية ١٧١ . |
| (٣) سورة آل عمران . آية ٦٥ . | (٤) سورة المائدة . آية ٥٩ . |
| (٥) سورة المائدة . آية ١٩ . | |

رسمها الاملائي	رسم الكلمة في المصحف	رسمها الاملائي	رسم الكلمة في المصحف
يَبْدُوا	يَبْدُوا	يَبْدُوا	يَبْدُوا
يَصْلِحْ	يَصْلِحْ	يَصْلِحْ	يَصْلِحْ
طَغِينْ	طَغِينْ	طَغِينْ	طَغِينْ
لَيْسُوا	لَيْسُوا	لَيْسُوا	لَيْسُوا
ضَلَلْ	ضَلَلْ	ضَلَلْ	ضَلَلْ
لِشَأْنِ	لِشَأْنِ	لِشَأْنِ	لِشَأْنِ
صَافَاتٍ	صَافَاتٍ	صَافَاتٍ	صَافَاتٍ
أَتَلُوا	أَتَلُوا	أَتَلُوا	أَتَلُوا
الآنَ	الآنَ	الآنَ	الآنَ
سَائِحَاتٍ	سَائِحَاتٍ	سَائِحَاتٍ	سَائِحَاتٍ
بِهَادٍ	بِهَادٍ	بِهَادٍ	بِهَادٍ
وَأُولَاتٍ	وَأُولَاتٍ	وَأُولَاتٍ	وَأُولَاتٍ
إِلَيْنِي	إِلَيْنِي	إِلَيْنِي	إِلَيْنِي
خَلِيلِهِ	خَلِيلِهِ	خَلِيلِهِ	خَلِيلِهِ
غَضِبَنَ	غَضِبَنَ	غَضِبَنَ	غَضِبَنَ
جَلَّهَا	جَلَّهَا	جَلَّهَا	جَلَّهَا
لَعْنَةً	لَعْنَةً	لَعْنَةً	لَعْنَةً
أَتَبَّوْا	أَتَبَّوْا	أَتَبَّوْا	أَتَبَّوْا
لَتَمَكَّةَ	لَتَمَكَّةَ	لَتَمَكَّةَ	لَتَمَكَّةَ
الْبَلَاغُ	الْبَلَاغُ	الْبَلَاغُ	الْبَلَاغُ
الْعُلَمَاءُ	الْعُلَمَاءُ	الْعُلَمَاءُ	الْعُلَمَاءُ
يَبْدُوا	يَبْدُوا	يَبْدُوا	يَبْدُوا
يَعْفُوا	يَعْفُوا	يَعْفُوا	يَعْفُوا
وَمَلَأْنِي	وَمَلَأْنِي	وَمَلَأْنِي	وَمَلَأْنِي
المَشْرِقِ	المَشْرِقِ	المَشْرِقِ	المَشْرِقِ
نَشَأُ	نَشَأُ	نَشَأُ	نَشَأُ
يَأْنِسُ	يَأْنِسُ	يَأْنِسُ	يَأْنِسُ
جَاءَ	جَاءَ	جَاءَ	جَاءَ
لَكِنَّا	لَكِنَّا	لَكِنَّا	لَكِنَّا
الْوَلَايَةُ	الْوَلَايَةُ	الْوَلَايَةُ	الْوَلَايَةُ
يَابْنَ أَمْرٍ	يَابْنَ أَمْرٍ	يَابْنَ أَمْرٍ	يَابْنَ أَمْرٍ
نُجِي	نُجِي	نُجِي	نُجِي
الشَّهَادَةِ	الشَّهَادَةِ	الشَّهَادَةِ	الشَّهَادَةِ
سَأَرِيكُمْ	سَأَرِيكُمْ	سَأَرِيكُمْ	سَأَرِيكُمْ
آتَانِي	آتَانِي	آتَانِي	آتَانِي
لَاذْبَحَتْهُ	لَاذْبَحَتْهُ	لَاذْبَحَتْهُ	لَاذْبَحَتْهُ
أَفَانِ	أَفَانِ	أَفَانِ	أَفَانِ
وَجَزَاءُ	وَجَزَاءُ	وَجَزَاءُ	وَجَزَاءُ
بَلَاءُ	بَلَاءُ	بَلَاءُ	بَلَاءُ
بِأَيْدٍ	بِأَيْدٍ	بِأَيْدٍ	بِأَيْدٍ
الَّتِي	الَّتِي	الَّتِي	الَّتِي
الْأُولَآئِينَ	الْأُولَآئِينَ	الْأُولَآئِينَ	الْأُولَآئِينَ

هذا مع ملاحظة أن القرآن قد كتب في المصحف الإمام ، بالرسم الأول بدون نقط ، ولا شكل .

وفي هذه الحال تزداد الكلمات عجمة على عجمة ، والتباسا على التباس ^(١) ، وتصير قراءة القرآن على صحته مستحيلة أو أشبه بالمستحيلات .

وذلك لأن القارئ فيه لا يستطيع أن يفرق بين لفظة « يَصَالِحُ » ، ولفظة « يَصْلُحُ » . لأن رسمها مجزدة من النقط والشكل هكذا : « يَصْلَح » . ولا بين « لَيْسُوا » ، و « لَيْسُوا » . ولا بين « صَافَاتٍ » ، و « صَفَتْ » . ولا بين « الْآن » ، و « الْآن » . ولا بين « أَنْبَاء » ، و « أَنْبُوا » . ولا بين « الْبَلَاغُ » ، و « الْبَلغ » . ولا بين « جَاءَ » ، و « جَاءِي » .

وقد قال ببقائه على حالته هذه من ألزم باتباع الرسم القديم . فهل هذا في الإمكان ؟

أخطاء الرسم
لا تحدد

وليس ما أوردناه بهذا الباب هو كل ما جاء برسم المصحف من متناقضات ومتباينات ، إذ هي أشياء تفوق الحصر ، وتخرج عن حد الوصف . وقد أوردنا ما أوردنا على سبيل المثال . وهو من الواضح بالمكان الذي لا يقبل دفاعاً ولا جدلاً . بل كل ما قيل في الدفاع عن الرسم القديم ، والجدال حول صحته ، لا يخرج عن كونه لغواً وعبثاً يجب أن تصان أفعال العقلاء وأقوالهم عنه .

كتاب
شيخ المقارئ

وقد اطلعت على كتيب لشيخ المقارئ الحالى ^(٢) أسماه « سمير الطالبين » ، وقد نحا فيه إلى التزمّت ووجوب التمسك بالرسم القديم ، وأورد تعليقات

(١) وذلك لتغلط الموجود في الرسم الإملائي ، ولانعدام النقط والشكل .

(٢) وهو الشيخ علي محمد الضباع ، الذي كان مراجعاً لصاحف قبل توليته مشيخة المقارئ .

عقيمة لما في هذا الرسم من تناقض . وقد كان إirاده لها بالغاً غاية العجب ،
ونهاية الغرابة .

فقد اضطرته بعض هذه التناقضات إلى التسليم والتهرب من رسم
المصحف الذي أقره سلفه شيخ المقارئ السابق^(١) ، وأجمعت عليه القراء —
وشيوخ المقارئ الحالي واحد منهم — وقد وضع خاتمه بالاجازة على عشرات
الألوف من نسخه ، ولا يزال يحيزه بسائر ما فيه حتى الآن .

فقد جاء في كتابه هذا عند ذكر « حذف ألف جمع المذكر السالم » :
حذفها من « طَاغِينَ » . في سورتي الصافات ون . و « لِلطَّاغِينَ »
في سورتي ص والنبأ .

وقد أحس بعد ذلك أن المصحف الأميري يرسمه الحالي فصل في الرسم
بين « طَاغِينَ » الصافات ون ، وبين « طَاغِينَ » ص والنبأ ، فحذف
الألف من الأولى ، وأثبتها في الثانية . فعلق على ذلك بالهامش بأن الصحيح
ما قاله هو ، لا ما ثبت بالمصحف .

ومن المعلوم بالضرورة : أن الحق لا يتعدد ، فإما أن يكون ما قاله
شيخ المقارئ الحالي في كتابه : خطأ ، أو أن يكون ما أجمع عليه القراء حتى
اليوم — وهو أحدهم — مبنياً على الخطأ .

وعلم الله تعالى أن كلاهما مخطئ ، وكلاهما لغو وباطل ، لا يعاب به ولا
يعول عليه . فليس هناك فرق بين سائر لفظة « طَاغِينَ » الواردة بالقرآن حتى
يفرق بينها مثل هذا التفريق . وإنما هو خطأ الكاتب الأول كما قلنا آنفاً .
(١) هو المرحوم الشيخ محمد علي خلف الحسيني ، الذي أخرج المصحف بشكوه الحالي .

تهرب منه
رسم المصحف

حذف ألف
جمع المذكر
السالم

مخالفة شيخ
المقارئ لرسم
المصحف

منع الناس عن
قراءة القرآن

وذكر أيضا في كتابه عند « ما يجب على كاتب المصحف » : بأن
كتابه على مقتضى الرسم القياسى مخالف للأحاديث وخرق لإجماع الصحابة
وجميع الأمة ، وأن من لا يعرف هذا الرسم من الأمة يجب عليه ألا يقرأ
في المصحف حتى يتعلمه ، وأن الطعن في كتابة المصحف كالطعن في تلاوته .

تكفير من ينقص
أو يزيد
في الرسم

ولم يكتف بهذه المغالاة فقط ؛ بل ذكر عن بعضهم أن من نقص حرفا
أو زاد حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف كان كافرا !

وقد علم هو ومن نقل عنه أن نسبة الكفر إلى المسلم كفر ؛ لقوله عليه
الصلاة والسلام : « إِذَا قُلْتَ لِأَخِيكَ الْمُسْلِمِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُكُمَا » .

وهل إذا نقصت ألفا من قوله تعالى : ﴿ لَشَاءُ ﴾ . وجعلتها كما يرضى
العلم والعقل : ﴿ لَشِئْء ﴾ . أكون في عداد الكافرين ؟

وهل إذا زدت ألفا في قوله تعالى : ﴿ طَغِينَ ﴾ . وجعلتها كما ينطق
بها اللسان ، وتسمعها الآذان : ﴿ طَاغِينَ ﴾ . أكون فيمن استوجب الخلود
في النار ، ولم ينفعه دعاء الصالحين ، ولا شفاعة الشافعين !

من قال بعدم
جواز الكتابة
بالرسم الأول

ومن عجب أن يورد بعد ذلك رأى الإمام العز بن عبد السلام ، الذى
قال بعدم جواز كتابة المصحف بالرسم الأول^(١) لثلاث^(٢) يوقع في تغيير من الجهال .
ويرد عليه بأن هذا العلم أحد أركان القرآن ، ولا يصح تركه مراعاة لجهل
الجاهلين .

وقد فاته أن الجهل بالجهل علم ، وأن العلم بالجهل جهل . وأن ما قصده
العز بن عبد السلام بالجهل : هم الذين لم يحفظوا القرآن ، فياتبس عليهم

(١) وهو قول تقيس ، يوافق العلم والعقل والدين .

ذلك الرسم المشوش الذى ليس له ضابط ولا اصطلاح ولا نظام؛ ويقرأون الجمع مفردا، والمفرد جمعا، والنفى إثباتا، والإثبات نفيا. إلى ما لا نهاية له. وقد زعم أيضا أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذى أمر بكتابه على هيئته هذه بزيادة ما جاء فيه من زيادات، ونقصان ما جاء فيه من نقصان؛ وذلك لأسرار لا تهتدى إليها العقول إلا بفتح ربانى، وهو سر من الأسرار خص الله تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. فكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه معجز أيضا^(١).

النبي لم يأمر
بهذا الرسم
لأنه أمى

وهو كلام لا يحتاج إلى رد إطلاقا. فالرسول عليه الصلاة والسلام كما يعلم المسلمون جميعا أمى لا يقرأ ولا يكتب، ولم يخط بيده حرفا واحدا. وقد وصفه الله تعالى بذلك فى القرآن: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾^(٢). ولم يقل بعدم أميته سوى الكافرين والمعاندين، الذين قالوا باختلافه لهذا القرآن.

وليس من الحكمة فى شيء، ولا من الدين فى شيء أن يجعل الله تعالى إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم: إرساله بالقرآن مع أميته؛ فنوافق الكفار فى نفي الأمية عنه، وإثبات مظنة اختراع القرآن وتأليفه.

ومن أشنع ما يتصف به إنسان سليم العقل صحيح العرفان؛ ما ذكره الضباع هذا فى كتابه: من أن فوائد هذا الرسم كثيرة، وأسراره شتى. منها: عدم الاهتداء إلى تلاوته على حقه إلا بموقف، شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه. (كذا).

زعمهم بأن المراد
بالرسم عدم
الاهتداء للتلاوة

(١) انظر ما كتبناه عند «قول بعض المدافعين عن الرسم القديم».

(٢) سورة الأعراف. آية ١٥٧

يا للدهاية الدهياء ! لقد صار القرآن مثل علم اليازرجات ، واللوغارتمات ،
والطلسمات ، والاصطرلابات ، وضرب الرمل ، والتنجيم . وما شا كل
ذلك . من العلوم التي يزعمون تفاسيتها لما تحويه من أسرار لا تنال إلا بجهد
جهيد ، وتلقّ طویل الأمد .

القرآن الذي نزل ليفهمه سائر الناس ، لا يجوز تلاوته إلا إذا تلقيناه
عن بعض الناس .

والرسول عليه الصلاة والسلام الذي كلف بتبليغه لسائر الناس قد تأمر
عليه مع صحابته رضوان الله تعالى عليهم ، فأحاطوه بسيّاح كثيف من المبهمات ؛
لئلا يهتدى الناس إلى تلاوته حق التلاوة !

يا معشر القراء ، إن الرسول والاسلام منكم براء . حتى تتوبوا عن
هذا الهراء !

يقول الله تعالى لعباده : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ^(١) . وَأَتَمَّ تَرْعَمُونَ
أنه أبعدهم منه ، وأضلهم عنه ، فما أكبر هذا الزعم ، وما أعظم هذه الفرية !

لقد أرسل الله تعالى القرآن الكريم في أمة هي كالأنعام ، بل أضل
سبيلا منها ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ^(٢) ﴾ قد انصرفوا إلى عبادة الأصنام والأوثان ، وواد
البنين خشية الفقر ، والبنات خشية العار ، وبلغوا من التعصب والجاهلية

(١) سورة القمر . آية ١٧

(٢) سورة الفرقان . آية ٤٤

حدًا لا يقبل مزيدا . فهل إذا أراد أحد المخلوقين العقلاء أن يخاطبهم
في شئونهم ؛ ويصرفهم عما اعتادواه وألفوه ، ووجدوا آباءهم عليه ، وأشرب
حبه في عقولهم وقلوبهم ؛ أكان يكتب لهم بالأحاجي والمعميات ، ويرمز
لهم الرموز ، ويكنى لهم بالإشارات ؛ أم يكتب لهم بما يقرب من
أذهانهم ، وتستسيغه عقولهم ؟

لا شك أنه ما من أحد يقول إلا بالرأى الأخير المعقول المقبول . فإذا
كان هذا شأن العباد المخلوقين ، فما بالك برب الأرباب وأحكم الحاكمين !
(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) ^(١) .
وإليك ما احتواه الرسم القديم من تناقضات واضحة فاضحة :

(١) سورة الكهف . آية ٥

(١) سورة الكهف . آية ٥

(٢) سورة الكهف . آية ٥

النناقض الموجود في رسم المصحف

والناظر لهذا الاختلاف - الذي أوردنا بعضه - يرى أن الرسم القديم يقبل معاني الألفاظ ، ويشوهها تشويها شنيعا ، ويعكس معناها بدرجة تكفر قاريه ، وتحذف معانيه .

وفضلا عن هذا فإن فيه تناقضا غريبا ، وتنافرا معيبا ، لا يمكن تعليله ، ولا استطاع تأويله .

تحريف صيغة
التوكيد الى
صيغة النفي

وإلا فقل لي أيها المسلم المنصف : كيف يقرأ المتلقي للقرآن قوله تعالى : ﴿ لَا أَذْبَحْنَهُ ﴾^(١) ؟ وقد وردت بأداتى توكيد : لام القسم ، ونون التوكيد الثقيلة .

كيف يقرأها القارئ ، وهي مرسومة أمامه هكذا : ﴿ لَا أَذْبَحْنَهُ ﴾ ؟ بصورة نفى الذبح ، لا تأكيد .

هذا مع أن قوله تعالى : ﴿ لَا أَذْبَحْنَهُ ﴾^(٢) في نفس السورة ، وفي نفس الصفحة ، بل وفي السطر عينه ، مرسومة حسب النطق تماما ، بأداتى توكيدها .

فما السبب في اختلاف هذين الرسمين ، وتناقض هاتين الكلمتين ؟ وما حجة القراء ، والمتمسكين بالرسم القديم في هذا ؟

(١) سورة النمل . آية ٢١ (٢) سورة النمل . آية ٢١

وإذا كانت حججهم في بعض التناقضات ؛ هو احتمال بعض القراءات لها . فما حججهم الآن ؟

وهل يوجد قارئ يقرأ : ﴿لَاَذْبَحْنَهُ﴾ بنفى الذبح : ﴿لَا أَذْبَحْنَهُ﴾ كما ورد في الرسم القديم ؟

وقد جاء في بعض كتبهم دفاعا عن هذا : أنه إشارة الى أن الذبح لم يحصل .

وجوابنا على ذلك : ان التعذيب أيضا لم يحصل . فلم لا يزداد في : ﴿لَاَذْبَحْنَهُ﴾ ألف ، مثل : ﴿لَا أَذْبَحْنَهُ﴾ ؟

وجاء في سورة الفرقان لفظة : ﴿وَعَتُوا﴾^(١) بدون ألف أمام الواو ، في حين أنه في نفس السورة يوجد لفظنا : ﴿آتُوا﴾^(٢) و ﴿دَعُوا﴾^(٣) بآثبات الألف . وليس ثمت فرق في الحالتين .

نقص الألف
وزيادتها
بغير موجب

وجاء في سورة فاطر : ﴿يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾^(٤) بآثبات ألف أمام الواو ، مع أنها ليست بواو جماعة ، ولا داعي لزيادتها ، مهما انتحلنا لها من أعمار ، وتحلنا لها من علل .

هذا في حين أنها قد وردت كثيرا بصيغة الجمع بدون ألف . كقوله تعالى : ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٥) وقوله جل شأنه : ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾^(٦) .

- (١) سورة الفرقان . آية ٢١ «لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا» .
- (٢) سورة الفرقان . آية ٤٠ «ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا سوءا فلما يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا» .
- (٣) سورة الفرقان . آية ١٣ «وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا» .
- (٤) سورة فاطر . آية ٦ «إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير» .
- (٥) سورة البقرة . آية ٦١ (٦) سورة الأعراف . آية ١١٦

فقد رسمت في المصحف — رغم أنف علماء الرسم ، والتهجئة ، وذوى العقول — بدون ألف ، هكذا : ((جَاءُوا)) و ((بَاءُوا)) .

وجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى : ((مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ))^(١) ، زيادة ياء في ((نَبِيٍّ)) ، هكذا : ((نَبِيَّيْ)) .

زيادة أحرف
ونقصاتها في بعض
الكلمات دون
بعض

في حين أنه قد جاء في سورة القصص : ((مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى))^(٢) ، بدون هذه الزيادة .

وقد قالوا في ذلك : إن زيادة الياء في لفظة ((نَبِيٍّ)) من قوله تعالى : ((مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ)) ؛ إشارة الى قراءة حمزة وهشام : ((مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ)) في هذا الموضع فقط .

وجاء في سورة فصلت : ((فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ))^(٣) . بحذف الألف الأولى التي بعد الميم من : ((سَمَوَاتٍ)) . وإثبات الألف التي بعد الواو . في حين أنها محذوفة الألفين في سائر المصحف ؛ هكذا : ((سَمَوِيَّ)) .

وجاء في سورة النساء ، عند قوله تعالى : ((وَبَنَاتُكُمْ)) . ((وَبَنَاتُ الْأَخِ))^(٤) . بإثبات الألف في لفظة : ((بنات)) . في حين أنها في كثير من مواضع المصحف محذوفة الألف .

(١) سورة الأنعام . آية ٣٤ « ولقد جاءك من نبيل المرسلين » .

(٢) سورة القصص . آية ٣ « نتلو عليك من نبيل موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » .

(٣) سورة فصلت . آية ١٢

(٤) سورة النساء . آية ٢٣

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾^(١) ، فاذا قلنا : إن علة الحذف وجود أداة التعريف ؛ وجدنا قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾^(٢) . وقوله جل شأنه : ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾^(٣) ، مثبتة الألف مع وجود أداة التعريف . وفي هذا ما فيه من التناقض البين .

وجاء في سورة الكهف ، عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾^(٤) ، زيادة ألف في ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ ؛ هكذا : ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ .

في حين أنه قد جاء في سورة النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥) ، بدون هذه الزيادة .

وجاء في سورة الأعراف ، عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ ﴾^(٦) ، برسمها المعروف في الإملاء ، وهو الذي يوافق العقل أيضا .

غير أنه جاء في سورة طه ، هكذا : ﴿ قَالَ يَبْتَئِثُ ﴾^(٧) ، بهذا الرسم العجيب الذي لا يتفق مع الإملاء الحديث ، ولا الإملاء القديم ، ولا الإملاء المقبل إلى يوم القيامة .

وجاء في سورة البقرة : ﴿ وَإِلَى الدِّينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى ﴾^(٨) . باثبات الألف في ﴿ إِحْسَانًا ﴾ في حين أنه جاء في سورة النساء : ﴿ وَإِلَى الدِّينِ إِحْسَانًا وَيَذِي الْقُرْبَى ﴾^(٩) بحذف الألف من : ﴿ إِحْسَانًا ﴾ هكذا : ﴿ إِحْسَنًا ﴾ .

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة النحل . آية ٥٧ | (٢) سورة الصافات . آية ١٤٩ |
| (٣) سورة الصافات . آية ١٥٣ | (٤) سورة الكهف . آية ٢٣ |
| (٥) سورة النحل . آية ٤٠ | (٦) سورة الأعراف . آية ١٥٠ |
| (٧) سورة طه . آية ٩٤ | (٨) سورة البقرة . آية ٨٣ |
| (٩) سورة النساء . آية ٣٦ | |

وكأنى ببعض المتعصين للرسم القديم ، وقد قدح زناد فكره ، وسبح
في بحار أوهامه وخيالاته . ثم انبرى يدافع عن هذا التناقض الغريب .
فيقول : نعم إن هناك فرقا بين الكلمتين ، وشتان بين الإحسانين ؛ فالذى
جاء في سورة النساء : ﴿إِحْسَانًا وَبِذَى الْقُرْبَى﴾ . أما ما جاء في سورة
البقرة فهو : ﴿إِحْسَانًا وَبِذَى الْقُرْبَى﴾ . بدون الباء ؛ فوجب أن تعوض بإثبات
الألف ، ليتساوى القولان وتتعدل الآيتان .

وإلا فماذا يقال في مثل هذا المقام غير هذا الهراء ؟

وجاء في سورة البقرة : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي آمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾^(١) ،
بإثبات الألف في لفظة ﴿إِصْلَاحٌ﴾ .

في حين أنه قد جاء في سورة النساء : ﴿أَوْ إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢) ،
بمحذوف الألف هكذا : ﴿إِصْلَاحٌ﴾ .

ولعل المدافعين يقولون : إن السبب في ذلك أن أحدهما مجرور ،
والآخر مرفوع . أو أن أحدهما بمعنى الصلح ، والآخر بمعنى الإصلاح .

وجاء في سورة المائدة : ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) ، بمحذوف الألف من
﴿جَزَاءٌ﴾ هكذا : ﴿جَزْؤًا﴾ . مع زيادة الألف في آخرها بدون موجب .

وفي السورة نفسها : ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) ، بإثبات الألف كرمز
الإملاء الحديث .

(١) سورة البقرة . آية ٢٢٠ (٢) سورة النساء . آية ١١٤

(٣) سورة المائدة . آية ٢٩ (٤) سورة المائدة . آية ٨٥

ولعل مجتهدهم في ذلك أنه لا يستوى الجزاءان : جزاء الظالمين ،
وجزاء المحسنين ؛ فوجب إنقاص : ((جزاء)) الظالمين ، وإكمال ((جزاء))
المحسنين .

ولست أرى لهم حجة غير ذلك ، خصوصا إذا علمنا أن الألف محذوفة
أيضا في سورة الحشر عند قوله تعالى : ((وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ))^(١) . ومثبته
في سورة الزمر ، عند قوله عز من قائل : ((ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ))^(٢) .

فوضح لنا من هذا : أنهم ما قصدوا سوى إثباتها للمحسنين ، وحذفها
للفظالمين .

وجاء في سورة البقرة : ((وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ))^(٣) ، برسم لفظه :
((نِعْمَةً)) بالتاء المفتوحة هكذا : ((نَعَمَت)) ، في حين أنها جاءت في سورة
المائدة : ((وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ))^(٤) ، بالتاء المربوطة مع أن لفظ
الآيتين واحد لا اختلاف فيه .

رسم التاء
مفتوحة في بعض
الكلمات دون
بعض

وجاء أيضا في سورة فاطر : ((فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدِ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَحْدِ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا))^(٥) ، بالتاء المفتوحة في لفظ ((سنة))
في الثلاثة مواضع التي في هذه الآية . هكذا « سُنَّتْ ، لِسُنَّتِ » وفي مواضع
آخر من القرآن .

(١) سورة الحشر . آية ١٧ (٢) سورة الزمر . آية ٣٤

(٣) سورة البقرة . آية ٢٣١ (٤) سورة المائدة . آية ٧

(٥) سورة فاطر . آية ٤٣

هذا في حين أنها جاءت في سورة الفتح عند قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ^(١) ﴾ ، بالتاء المربوطة في هذين الموضعين من هذه الآية . وفي مواضع أخرى من المصحف .

وجاء في سورة الواقعة : ﴿ وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ ^(٢) ﴾ ، بالتاء المفتوحة هكذا : ﴿ وَجَنَّتٍ ﴾ ، في حين أنها في سائر القرآن بالتاء المربوطة .

وجاء في سورة آل عمران : ﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ^(٣) ﴾ ، بالتاء المفتوحة هكذا : ﴿ لَعْنَتٍ ﴾ .

وفي نفس السورة : ﴿ إِنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ^(٤) ﴾ ، بالتاء المربوطة . وهكذا في كثير من مواضع المصحف الكريم .

وجاء في مواضع كثيرة من المصحف ؛ هذه الألفاظ برسمها : ﴿ أَمَرَأتُ عِمْرَانَ ^(٥) ﴾ و ﴿ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ^(٦) ﴾ و ﴿ فِطْرَتِ اللَّهِ ^(٧) ﴾ و ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ^(٨) ﴾ و ﴿ شَجَرَتِ الرَّقُومِ ^(٩) ﴾ و ﴿ قُرْتُ عَيْنٍ ^(١٠) ﴾ و ﴿ رَحِمَتِ اللَّهِ ^(١١) ﴾ بالتاء المفتوحة .

(١) سورة الفتح . آية ٢٣ (٢) سورة الواقعة . آية ٨٩

(٣) سورة آل عمران . آية ٦١ (٤) سورة آل عمران . آية ٨٧

(٥) سورة آل عمران . آية ٣٥ « إذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا . »

(٦) سورة المجادلة . آية ٨ « وبتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول . »

(٧) سورة الروم . آية ٣٠ « فطرة الله التى فطر الناس عليها . »

(٨) سورة هود . آية ٨٦ « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين . »

(٩) سورة الدخان . آية ٤٣ « ان شجرة الرقوم طعام الأثيم . »

(١٠) سورة القصص . آية ٩ « وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك . »

(١١) سورة البقرة . آية ٢١٨ « أولئك يرجون رحمة الله . »

وفي مواضع أخرى كثيرة : هذه الكلمات نفسها بالتاء المربوطة ؛ كالإملاء
الحديث المعقول المقبول .

ومن العجيب أن علماء الرسم يتلمسون الأسباب الواهية لهذا الوضع
الغريب ، وينتحلون الأعذار الواهنة لهذا الخط . فيقولون : إن قراءة
حفص توجب النطق بالتاء في هذه المواضع وصلا ووقفا ؛ لذا وجب رسمها
بالتاء المفتوحة . وفي غير هذه المواضع توجب النطق بها وصلا لا وقفا ؛
لذا وجب رسمها بالهاء ^(١) .

تلبس الأسباب
الواهية لهذا
الاختلاف

وكانهم يقولون هذا ؛ يقررون أن القرآن ليس بعربي ، أو أنه أنزل بلغة
أخرى لا تمت للعربية بصلة ، وليس للنطق والبلاغة والعقل دخل فيها .

وإلا فلماذا يوقف على : ((نعمة)) التي في سورة البقرة بالتاء ، وعلى
((نعمة)) التي في سورة المائدة بالهاء ؟

مع أن نطق الآيتين واحد ، ولفظهما واحد ، لا فرق فيه مطلقا :
((وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ^(٢))) .

وهذا التحمل الذي يتمحلونه ؛ غاية في التكلف ، ونهاية في التعسف ،
ولم يقولوا به إلا حين وجدوا بالمصحف القديم لفظ : ((نعمة)) . أحدها
مرسوم بالتاء ، والآخر بالهاء .

(١) الجميع يقرأونها كذلك ، عدا ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، فانهم يقرأونها
بالتاء وصلا ، وبالهاء وقفا .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٣١ ، والمائدة . آية ٧

ونحن ننكر عليهم أن حفصا قد قرأ بالوقف بالتاء في مواضع ، وبالهاء في مواضع أخر ، مع تشابه الموضعين وتماثلهما .

فإن أصروا على إسنادها إلى حفص ؛ فنحن ننكر على حفص أيضا هذا التصرف ؛ إذ أن القرآن أسمى من أن يكون فيه اختلاف في ألفاظه ، أو معانيه ، أو نطقه ، أو صورته ، أو حروفه .

وذلك لأنه من وضع الخالق ، المتعالى عن النقص والاختلاف . وإنما الاختلاف في الرسم فقط ، وهو من وضع البشر وصنعهم .

وإذا كان النقص والاختلاف ليس من شأن بعض المخلوقين ؛ فما بالنا بأحسن الخالقين ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ^(١) ﴾ .

وقد جاء أيضا في المصحف لفظة ﴿ بَسْطَةً ﴾ بالسين ، عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ^(٢) ﴾ .

إبدال السين صادًا
في بعض المواضع

إلا أن هذه اللفظة بذاتها رسمت بالصاد هكذا : « بَصْطَة » ، عند قوله تعالى : ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ^(٣) ﴾ . بغير موجب .

وجاء أيضا لفظ ﴿ قال ﴾ بدون ألف هكذا : ﴿ قل ﴾ ، بغير ما سبب لهذا الحذف . وفي مواضع كثيرة بإثبات الألف .

حذف الألف
من « قال »
في بعض المواضع

فقد جاء عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ^(٤) ﴾ ، بحذف الألف من ﴿ قال ﴾ ، وفي نفس السورة : ﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ^(٥) ﴾ ،

(١) سورة النساء . آية ٨٢ (٢) سورة البقرة . آية ٢٤٧

(٣) سورة الأعراف . آية ٦٩ (٤) سورة المؤمنون . آية ١١٢

(٥) سورة المؤمنون . آية ١١٤

بحذف الألف أيضا ، وقوله جل شأنه : ﴿ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ^(١) 〉 ، بحذف الألف أيضا .

هذا في حين أنه قد جاء في نفس السورة ؛ عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ ^(٢) 〉 بإثبات الألف . وأيضا عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ^(٣) 〉 . و ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٤) 〉 . و ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ^(٥) 〉 . و ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ^(٦) 〉 . كل هذا بإثبات الألف .

وجاء في آخر السورة : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ^(٧) 〉 ، بحذف الألف . وجاء أيضا في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أُولَوْ جِئْتُمْ ^(٨) 〉 ، بحذف الألف أيضا .

هذا في حين أنه قد جاء في الآية التي تليها : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ ^(٩) 〉 ، بإثبات الألف .

ومثل هذا التناقض كثير جدا . وإذا سألتهم عن العلة في ذلك ، قالوا :
لاحتمال قراءة ﴿ قل ﴾ بصيغة الأمر ، لا بصيغة الماضي .

بطلان ما زعمه
القراء من احتمال
قراءة « قل »

هذا في حين أنها جاءت في مواضع كثيرة ؛ لا تحتمل هذا التأويل الفاسد ،
وهذا التوجيه الباطل .

- | | |
|-----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة الأنبياء . آية ٤ | (٢) سورة الأنبياء . آية ٥٢ |
| (٣) سورة الأنبياء . آية ٥٤ | (٤) سورة الأنبياء . آية ٥٦ |
| (٥) سورة الأنبياء . آية ٦٣ | (٦) سورة الأنبياء . آية ٦٦ |
| (٧) سورة الأنبياء . آية ١١٢ | (٨) سورة الزخرف . آية ٢٤ |
| (٩) سورة الزخرف . آية ٢٦ | |

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾^(١) ، بحذف الألف ، فإنها لا تحتل هذه القراءة ؛ إذ أن الآية التي تليها : ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾^(٢) . ولا يجوز أن يقول : ﴿ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . إلا بتقدير : قل كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عدد سنين . فقال لهم ذلك ، فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم . وهذا واضح البطلان .

وجاء أيضا عند قوله تعالى : ﴿ قَالَ أُولُو جُنُثُمْ ﴾^(٣) ، بحذف الألف ؛ مع أن تمام الآية يأبى قراءة ﴿ قل ﴾ بصيغة الأمر . وذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ قَالَ أُولُو جُنُثُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ . فإذا كان بصيغة الأمر ؛ احتاج إلى تقدير : قل أُولُو جُنُثُمْ بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . فقال لهم ذلك ، فقالوا : إنا بما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ .

وهذا التقدير نخل بنظم الكتاب الكريم ، وليس في الأمر أكثر من خطأ الكاتب الأول للمصحف .

وإذا قلنا — كما يزعم القراء — : إن كل رسم جاء في المصحف مخالف حذف الألف من « الآية » في بعض المواضع
رسم لفظة « الآية » هكذا : « لَيْكَةِ »^(٤) ؟

(١) سورة المؤمنون . آية ١١٢ (٢) سورة المؤمنون . آية ١١٣

(٣) سورة الزخرف . آية ٢٤ (٤) سورة الشعراء . آية ١٧٦ ، وهي اسم

القرية التي كانوا فيها ، أو هو اسم غيضة تنبت ناعم الشجر .

ورب مجيب من سادتنا القراء يقول : نعم إنها رسمت هكذا لموافقها
لإحدى القراءات « ليسكة »^(١) بحذف الهمزة .

وردنا على ذلك : وما الفرق بين قوله تعالى : (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ^(٢) الْمُرْسَلِينَ) ، في سورة الشعراء ، وقوله : (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبُع^(٣)) ، في سورة ق .

فإنها جاءت في سورة الشعراء هكذا : (أَلَيْسَ كَذِبًا) ، وفي سورة ق هكذا : (الْأَيْكَةِ) .

ولعلمهم يقولون : إن القارئ يقرأ هذه بالهمز، وتلك بدونه .

وهنا فقط نكون في حل من أن تقول لهم : رحماكم معشر القراء في كلام مولاكم ، رحماكم فإن ما تقولونه وتدعونه لغو وباطل وهذيان ، لا يقتره إنسان . ونعيد على مسامعكم قوله تعالى : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(٤)) .

وأنا أقول المؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله ، وأنه تعالى برىء مما تنسبونه له من التناقض والاختلاف .

وجاء أيضا عند قوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ^(٥)) ، بحذف نون (فَإِنْ لَمْ) هكذا : (فَلَمْ) . وجاء عند قوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ^(٦)) ،

حذف النون
من « فان لم »
في بعض المواضع

- (١) هي قراءة نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو جعفر : « ليسكة » بالفتح ، على أنها ممنوعة من الصرف : (٢) سورة الشعراء . آية ١٧٦
(٣) سورة ق . آية ١٤ (٤) سورة النساء . آية ٨٢
(٥) سورة هود . آية ١٤ (٦) سورة القصص . آية ٥٠

بإثباتها . مع أن الموقف واحد في الحالتين . وليس لذلك من تعليل ؛ إلا أن يقول المكابرون المتنفعون : إن النون قد أثبتت في الثانية ؛ لتحل محل ميم الجمع في الأولى .

وقد جاء في كتاب « فتح المنان ، على مورد الظمان » لابن عاشر ؛ وهو من أهم الكتب المعتمدة في الرسم :

اختلفت المصاحف في قوله عز وجل : ﴿ سَوَّاهُمَا ^(١) ﴾ . ففي بعضها بإثبات الألف ، وفي بعضها بالحذف ، وكلاهما حسن ؛ فليكتب الكاتب من ذلك ما أحب .

وقد أورد علماء الرسم في قوله تعالى : ﴿ تُكَذِّبَانِ ^(٢) ﴾ ، حذف الألف ، على خلاف بينهم ، وترجيح عدم إثباتها . ولكن القائمين بأمر طبع المصحف المصري ؛ رجحوا الرأي المرجوح ، وأثبتوا الألف ، متبعين الرأي الأضعف في نظر علماء الرسم ، وكأنهم بهذا قد اتبعوا ما استحسَنوه هم ، لا ما استحسَنه علماء الرسم الثقاة .

فأين رسم مصحف سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه ؛ الذي يريدون أن يفرضوا علينا اتباعه أيا كان ، وكيف كان ؟ وهل كتبه عثمان بالوجهين ؟ وإلا فماذا نفسر هذا التحسين وهذا التوجيه ؟

وعلم الله تعالى أن هذا الرسم لم يناقض بعضه بعضا ؛ إلا لنوهم الكاتب للمصحف الأول ، وقصوره في فن الهجاء ، وخطئه .

قصور كاتب
المصحف في الهجاء

أين رسم
مصحف عثمان

(١) سورة طه . آية ١٢١ . (٢) سورة الرحمن . آية ١٣ وما بعدها .

نعم أقولها واضحة جلية ، بدون موارد ، فالحق لا يقبل المجابة ،
ولا المداجاة .

لأن ذلك الكاتب من البشر ، وسائر البشر يحوز في حقهم السهو ،
والخطأ ، والنسيان ، والقصور .

وقد قال بذلك : عائشة ، وابن عباس ، وغيرهما من فضلاء الصحابة
الذين أخذنا عنهم الشريعة ، والدين ، والقرآن .

أما إنا نقول : إنهم بهجائهم هذا أدري منا في علم الرسم ، وأخبر في فن
الهجاء ، ونجعل هذا الرسم توقيفيا ، كأن الله تعالى أنزله برسمه هذا من
السماء ، وكأن هذا الاختلاف ضرب من ضروب إعجاز القرآن . كما قال
بعضهم ساعده الله ^(١) .

هذا مع العلم بأن الله تعالى قد أنزل القرآن على نبي أمي ، لا يقرأ
ولا يكتب . وهو أيضا مبعوث إلى أمة أمية ، لا تقرأ ولا تكتب . وقد
أنزله الله تعالى بلفظه ، لا بصورته ، وبمعناه ، لا برسمه .

ولا حرج مطلقا في أن يكتب المصحف كاتب ، أو يطبعه طابع ، بأي
هجاء شاء . ما دام لا يخرج عن النطق المطلوب ، كما أنزله الله تعالى ، وكما
تنطق به العرب .

جواز آية
المصحف وطبعه
بأي هجاء

وإذا تصوّرنا — مثلا — أن الرسول الأمي ، عليه أفضل الصلاة
والسلام ، أنزلت عليه آية من القرآن — وهو غير مستطيع للكتابة والقراءة

(١) انظر ما كتبناه عند « ما قاله بعض المدافعين عن الرسم القديم » .

طبعاً — فطلب من أحد كتبة الوحي كتابتها . فكتبها بأى صورة ، وعلى أى هجاء . ثم تلاها الكاتب على الرسول كما أملاها عليه ؛ أكان يقول له : أنت خاطئ ، أو أنت آثم . أو لم تكتبها بالألف دون الياء ؟ أو بالياء دون الألف ؟ .

طبعاً لا يختلف اثنان من المؤمنين المنصفين ، فى أن المراد بالقرآن هو ألفاظه ومعانيه ، ومقاصده ومراميه ؛ لا هجاؤه ورسمه وهيكله .

سبب الرسم
الأول للصحف

ولو تساءلنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ ، أو ليكون رمزاً ، ويظل طليساً^(١) ، يتناقله القراء وحدهم ، ويلقنونه لمن يريدون تلقينه ؛ ممن يتزلف إليهم بماله ونفسه ، ويمنعونه عنم يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاهاً ولا مالاً ؟ إذا بحثنا ذلك ؛ وجدنا أن القرآن الكريم ما رسم بهذا الرسم ، ولا كتب بهذا الهجاء ؛ إلا لأنه هو الهجاء المعروف المتداول فى العصر الأول .

ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه موجوداً فى هذا العصر ؛ لما وسعه إلا كتابة المصحف بالرسم الحديث ، والتهجئة الحديثة : الواضحة ، المعقولة ، المقبولة . التى يستطيع تلاوتها كل مسلم ، ويقوى على قراءتها كل مؤمن .

صعوبة قراءة
الرسم القديم
وتعسرها

وفضلاً عن ذلك ؛ فإن هذا الهجاء لم يتزل من لدن المولى جل وعلا ، ولم يلزمنا به الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وإنما هو من وضع المخلوقين ، لصالح المخلوقين .

(١) الظلم : الاشارات والخطوط التى يرسمها السحرة والمشعوذون ، فلا تفهم ولا تقرأ .

ونحن إذا أحضرنا شخصا — بالغاً ما بلغ من العلم والثقافة — وكلفناه قراءة بعض القرآن برسمه القديم ؛ لَمَّا استطاع أن ينطق به على وجهه ، بل وخلط فيه خلطاً شديداً ؛ وقرأ الجمع مفرداً ، والمفرد جمعا ، والإثبات نفياً ، والنفي إثباتاً . ولأخل بالمعنى إخلالاً بينا . ولا نقرب القارئ — لو آخذناه على نطقه — من التعبد إلى الكفر والعياذ بالله !

وقد رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ؛ الكثير من هذا . وشاهده وسمعه الكثيرون .

قال العلامة ابن خلدون — في سياق كلامه عن الخط العربي — ما نصه :

رأى ابن خلدون
في كتابه المصحف

فكان الخط العربي لأوّل الإسلام ، غير بالغ إلى الغاية من الإحكام ، والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط ؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع .

وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف ؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير محكمة في الإجادة ؛ بخالف الكثير من رسومهم ؛ ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها .

ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها ؛ تبركا بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه ؛ من كتاب الله تعالى وكلامه . كما يقتنى لهذا العهد خط وليّ ، أو عالم تبركا ، ويتبع رسمه خطأ أو صواباً .

وأين نسبة ذلك من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فيما كتبوه ، فاتبع ذلك وأثبت رسماً ، ونبه علماء الرسم على مواضعه .

ابن خلدون يقول
بتفعل علماء الرسم
وتحكمهم

ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين ؛ من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ، ليس كما يتخيل ؛ بل لكلها وجه .

ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿لَا أَذْبَحْنَهُ﴾^(١) أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع . وفي زيادة الياء في ﴿يَأْيَيْدُ﴾^(٢) أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك ؛ مما لا أصل له إلا التحكم المحض .

وما حملهم على ذلك ؛ إلا اعتقادهم أن في ذلك تزيها للصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ عن توهم النقص في قلة إجادة الخط .

وحسبوا أن الخط كمال . فزهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجارة من رسمه ؛ وذلك ليس بصحيح .

الخط ليس
كالا في حق
الامة العربية

واعلم أن الخط ليس بكال في حقهم ؛ إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، والكال في الصنائع إضافي ، وليس بكال مطلق ؛ إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ، ولا في الخلال . وإنما يعود على أسباب المعاش ، وبحسب العمران والتعاون عليه ، لأجل دلالة على ما في النفوس .

(١) سورة النمل . آية ٢١ انظر ما كتبناه في « تحريف صيغة التوكيد إلى صيغة النفي »

(٢) سورة الذاريات . آية ٤٧ .

وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أمياً ، وكان ذلك كمالاً في حقه ،
وبالنسبة إلى مقامه ، لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية ؛ التي هي أسباب
المعاش والعمران كلها .

الأمية كمال
في حق الرسول

وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن ؛ إذ هو منقطع إلى ربه ، ونحن
متعاونون على الحياة الدنيا ، شأن الصنائع كلها ، حتى العلوم الاصطلاحية ،
فان الكمال في حقه ؛ هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .
« انتهى كلام ابن خلدون »

ورأى العلامة ابن خلدون هذا : يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد ،
ويدل دلالة قاطعة ، على أن الرسم الإملائي للمصحف ؛ ليس على قاعدة علمية
صحيحة ، وليس على نظام قويم ، ولا يجوز أن يكون حجة ، ولا مرجعاً .
وكثيراً ما نجد بعض جهلة الكتاب ، وصغار المتعلمين ؛ يكتبون كلمات
ناقصة مبتورة ، وأخرى زائدة . ويرون أن ما يكتبونه هو عين الصواب ،
ونهاية الصحة .

رسم المصحف
ليس بحجة

ولقد رأيت من بعض العلماء من يكتب في خطابه ما يستوجب
السخرية ، ويشير الضحك . في حين أنه لم يتصف بالأمية ، كاتصاف
أفراد الأمة العربية .

والأعجب من هذا أن شيخ المقارئ المصرية^(١) — بعد أن حظر القراءة
في المصحف ، وأنكر كونها قرآناً ، وأنكر قرآنية المصاحف التي على غير الرسم
القديم — قال ما نصه :

إخلال رسم
المصحف
بأصول الرسم
العربي

(١) هو المرحوم : الشيخ محمد خلف الحسيني . الذي أشرف على إنتاج المصحف الجديد
برسمه الحالي .

ولو كان الأخذ من المصاحف كافياً ؛ لكان مقتضى الرسم العثماني صحيحاً في القراءة في كل موضع ، وليس كذلك . بل قد يُحِلُّ بها في مواضع خالف فيها خط المصحف ؛ أصول الرسم العربي إخلالاً بيننا .

وهذا القول من شيخ المقارئ رحمه الله تعالى ، يعتبر اعترافاً واضحاً ، وإقراراً صريحاً ؛ بأن المصحف العثماني قد أحل بأصول الرسم العربي إخلالاً بيننا . وهو الذي قزرناه ، وقلناه آنفاً .

ليس هناك
إجماع على
الرسم القديم

قد يقول قائل : وكيف نخالف الرسم الأول ، وقد أجمعت الأمة على وجوب اتباعه ؟

وجوابنا على هذا : ان الأمة الإسلامية ؛ لم تجمع مطلقاً على وجوب اتباع هذا الرسم . بدليل اختلاف تهجئة المصاحف ؛ باختلاف العصور ، وها هي دور الكتب ملاءى بالمصاحف المختلفة الخطوط ، والإملاء ، والتهجئة .

إن عقاد الإجماع
على مخالفة
الرسم القديم

بل ان الإجماع انعقد زمناً طويلاً على مخالفة الرسم القديم ، حتى عام ١٣٣٧ هجرية ، حيث طبع المصحف المصري بهذا الرسم ، الذي أشرف على وضعه ، وقام بكتابه : المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية . وعقد إجماع القراء عليه في الديار المصرية فحسب .

وقد كان ذلك بعد دعاية واسعة النطاق ، لم يقصد بها سوى احتكار تلقين القرآن الكريم وتلقيه .

الإجماع لا يكون
حجة على السنة

وإذا سلمنا جدلاً بانعقاد الإجماع على الرسم القديم ، فهل يكون الإجماع
حجة على السنة ؟ هل يكون إجماع الناس المعرضين للخطأ والزلل ؛ حجة على
قول الرسول الكريم المعصوم ، عليه الصلاة والسلام .

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم «نَحْنُ أُمَّةٌ أَمِيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ»
فهل معنى هذا الحديث : أننا نجعل هذه الأمة الأمية ؛ قدوة لنا في فن
الهجاء ، ومرجعاً في فن الإملاء .

يقول الرسول عليه السلام : يا أيها الناس نحن أمة لا نتقن الكتابة ؛
فلا تأخذوها عنا ، بل خذوها عن غيرنا ممن أحسنها وأتقنها . أما المعاني فلنا
فيها شأن وأى شأن ؛ فقد أوتيت جوامع الكلم .

فهل بعد هذا يحتاج إنسان بالإجماع على الرسم القديم ، وأنه أفضل
الهجاء ، وأحكم الإملاء .

وقد جاء أن عثمان رضي الله تعالى عنه ، قال — حين عرض عليه
المصحف في كَتَبَتِهِ الأَخيرة : — أرى فيه لحناً ، وستقيمه العرب
بألسنتها .

قول عثمان
بأن في كتابة
المصحف لحناً

ولا شك أن عثمان يقصد بذلك اللحن الذي ستقيمه العرب بألسنتها :
الخطأ البادى في الهجاء ، والتناقض الموجود في رسم المصحف القديم .

روى أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة
أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أنها قالت :

قول عائشة
بخطأ كاتب
المصحف الأول

ثلاثة أحرف في كتاب الله تعالى ، هي خطأ من الكاتب : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾^(١) ، و ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾^(٢) ، و ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾^(٣) .

أما وقد ثبت لنا الآن من قول عائشة رضي الله تعالى عنها ، ومن قول كثير من فضلاء الصحابة : خطأ الكاتب للمصحف الأول ؛ فلا معنى للتمسك بهذا الرسم ، الذي ثبت خطؤه بقول الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقول عثمان رضي الله تعالى عنه ، وقول عقلاء الأمة وأدبائها ومفكرها .

وقد كان هذا الرسم سببا في خطأ بعض القراء المشهورين ، كما سنبينه^(٤) في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

(١) سورة طه . آية ٦٣ .

(٢) سورة المائدة . آية ٦٩ .

(٣) سورة النساء . آية ١٦٢ — انظر ما كتبناه في « رأى عائشة رضي الله عنها » .

(٤) انظر ما كتبناه في « رأى الامام الزمخشري في بعض القراءات » .

نِلاوْخُ الْفَرَزْدَقِ قِرَاءَتُهُ

قِرَاءَتُهُ بِرِسَالَتِهِ خَيْرٌ مِنْ عَوْنِهِ

فصل تلاوة القرآن

لا ريب أن القرآن الكريم ، هو منبع الخيرات ، ومصدر البركات ،
ومهبط الرحمات ، وتلاوته من أفضل القربات ، وأعظم الحسنات ،
الموصلة الى أعلى الدرجات ، في نعم الجنات .

القرآن
منبع الخيرات

قال تعالى مثنيا على من كان دأبهم تلاوة القرآن : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾^(١) .

من جعلوا دأبهم
تلاوة القرآن

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي آئِنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ
اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ » .

وقال أيضا : « أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمِّي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » .

وجاء في الأثر : « مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَى عَنْ مَسَائِلِي ، أُعْطِيَ
أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » .

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ » .

شفاعة القرآن

وقال أيضا : « نَوِّرُوا مَنَازِلَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » .

القرآن نور
الدور والقصور

فالقُرآن الكريم ؛ هو نور الدور والقصور ، ونور القلوب والعيون ،
فيساعدة من جعل ديدنه ترتيله ، وشاغله تأويله . ويا فوز من اتخذ
إماما وسندا ، وهاديا ومرشدا ، وملاذا وملجأ ، وشفاعة ومنعة !

ويجب التعوذ قبل البدء في قراءة القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ
التَّعْذُودَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(١) .

وصيغة التعوذ التي أنبى عليها الإجماع ، هي : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ » .

وقد كان جماعة من فضلاء السلف ؛ يستحبون قول : « أَعُوذُ بِاللَّهِ
السميع العليم ، من الشيطان الرجيم » .

وعن حميد بن قيس : « أَعُوذُ بِاللَّهِ الْقَادِر ، من الشيطان الغادر » .

وعن أبي السمال : « أَعُوذُ بِاللَّهِ الْقَوِي ، من الشيطان الغوي » .

وعن قوم : « أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيم ، من الشيطان الرجيم » .

وعن آخرين : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إنه هو السميع
العليم » .

وقصارى القول : انه ليس لها حد ينتهى اليه . فمن شاء زاد ، ومن
شاء نقص . والأولى اتباع ما انعقد عليه الإجماع : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

(١) سورة النحل . آية ٩٨ .

ومن لطف الله تعالى بعباده ، ورأفته بخليقته ؛ أنه لم يكلفهم ما يشق
بهم ، ولم يلزمهم ما يعسر عليهم .

القراءات إنما
جعلت للتيسير
لا للتعسير

ألا ترى الى القراءات ووجوهها ، والقراء ومذاهبهم ؟ فهذا يرقق
الراء ؛ لأنها لغة إحدى القبائل ، وذلك يفخم اللام ؛ لأنها لهجة قبيلة
أخرى ، وهذا يسهل الهمز ، وهذا يقصر الممدود ، وآخر يمد المقصور .
وهكذا الى ما لاحصر له من التساهل ، والنزول الى حيث مدارك
الناس وأفهامهم - على اختلافها وتباينها - شفقة عليهم ، ورحمة بهم .

تَعَسُّفُ الْفُرَا، وَتَنْطَعُمُ

روى ابن قتيبة ، في كتابه عيون الأخبار : « حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ ، عَنْ
ضَرَّارِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ الْحَسَنِ ، قَالَ : قُرْءُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ أَخَذَهُ بَضَاعَةٌ
يَنْقُلُهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مِصْرَ ، يَطْلُبُ بِهِ مَا عِنْدَ النَّاسِ .^(١)
^(٢)

وقوم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، واستدروا به الولاية ، واستطالوا
به على أهل بلادهم^(٣) — وقد كثرت الله تعالى هذا الضرب في حملة القرآن
لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ —

ورجل قرأ القرآن ، فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه^(٤) ،
فسهر ليله ، وهمت عيناه . تسربلوا الخشوع ، وارتدوا الحزن ، وركدوا
في محاريبهم ، وجثوا في برانسهم . فبهم يَسْقِي اللَّهُ الْغَيْثَ ، وَيُنْزِلُ النُّصْرَ ،
وَيَرْفَعُ الْبَلَاءَ . وَاللَّهُ هَذَا الضَّرْبُ فِي حِمْلَةِ الْقُرْآنِ ، أَقْلُ مِنَ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ .

(١) « من مصر الى مصر » أى : من مدينة الى مدينة .

(٢) وهم أمثال القزاة في عصرنا الآن .

(٣) وهم حفظة القرآن اليوم ، الذين يتكسبون بتلقيه .

(٤) قال تعالى « وشفاء لما في الصدور » وهؤلاء هم الذين يتلون القرآن حق تلاوته
كما أنزله الله تعالى على نبيه صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وكما نطق به الصحابة والتابعون
رضي الله عنهم — فلم يتعسفوا في نطقه ، ولم يبالغوا في غشه ومدّه ، بل كان كل ديدنهم :
فهم معانيه ، وإدراك مراميّه ، والتعبد بما جاء فيه ، وقليل ما هم .

والقراءات — كما قدّمنا — إنما جعلت على السنة القبائل ولهجاتها ؛
تلفظا بالناس ، وتسميلا عليهم ، وتقريبا لأذهانهم .

إذا جازت
قراءة القراءات
فعلى أهلها

لأنهم إذا سمعوا القرآن بلهجة غير لهجتهم ؛ ثقل ذلك على أسماعهم ،
وإذا كلفوا قراءته بغير ما ألفوه ؛ شقّ على ألسنتهم .

فأراد الله تعالى — رحمة بعباده — ألا يكلم أحدا إلا باللهجة التي سكن
إليها ، ودرج عليها .

وليس معنى هذا : أن نأخذ قراءة أقوام ، فنسميها آخرين ؛ حيث
يثقل عليهم علمها وفهمها ، وإنما نقرأ لكل شعب من الشعوب ، وقبيلة
من القبائل ؛ بما يتناسب ونطقهم . هذا رغم تأكدنا من أن القراءات قد
نسخت جميعها بأمر عثمان رضي الله تعالى عنه ، حين جمع مصحفه ، ودعا
الناس الى قراءة واحدة ، وأقره سائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ^(١) .

ومسنود أمثلة من القراءات التي لو تليت على غير أهلها ؛ لأفسدت
معاني القرآن ، وشوّت طلاوته وعدووته :

أنظر — مثلا — الى القارئ المصرى ، حين يقرأ على عامة المصريين :
﴿ اهْدِنَا الزَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ . مكان : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٢) .

القراءات المشوّهة
لمعاني القرآن

(١) انظر ما كتبناه عند فصل « كتابة المصحف » .

(٢) سورة فاتحة الكتاب . آية ٦ والذي قرأ « الزراط » هو خلاد عن حمزة ، والأعجب
من هذا أن هذه الصاد تبدل زايًا في هذه اللفظة دون مثيلاتها في سائر القرآن . حتى اللفظة
الواردة في الآية التالية لهذه الآية .

فتكون قراءتهما « اهْدِنَا الزَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صراط الذين أنعمت عليهم » .
وقرأ خلف عن حمزة : جميع لفظ « صراط » في سائر المصحف بالزاي ، وكذا الصادات
الساكنة التي يعقبا دال . كقوله تعالى « أصدق » و « يصدر » هكذا « أزدق » و « يزدق » .

أو (إِنَّا نَبْشُرُكَ) . مكان : (إِنَّا نَبْشُرُكَ^(١)) . أو (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) .
و (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ) و (يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ) . مكان : (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ^(٢)) .
و (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ^(٣)) . و (يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ^(٤)) .

أو حين يقرأ — على طريقة من يسكت على الساكن قبل الهمزة، وعلى
المدود قبلها — مثل « هَا ... وَلَا ... ءِ » و « السَّمَاءُ ... ءِ » و « أُولَا ... ثُكَّ »
وأمثال ذلك .

انظر — مثلاً — الى القارئ حين يقرأ بهذه القراءة قوله تعالى :
(كَلَّا تُنْمِذُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ^(٦)) . فانه يقرأها هكذا :
(كَلَّا تُنْمِذُ هَا ... وَلَا ... ءِ وَهَا ... وَلَا ... ءِ مِنْ عَطَا ... ءِ رَبِّكَ) .

أو قوله جل شأنه : (مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ^(٧)) .
فانه يقرأها هكذا : (لَا ... إِلَى هَا ... وَلَا ... ءِ وَلَا ... إِلَى هَا ... وَلَا ... ءِ
وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) .

(١) سورة مريم . آية ٧ والذي قرأ « نبشرك » بفتح النون ، وسكون الباء ، وضم الشين
والراء هو حمزة . وتماها « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى » .

(٢) سورة النور . آية ٣١ « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .
والذي قرأ « أيه » في سائر مواضعها . هو ابن عامر .

(٣) سورة الرحمن . آية ٣١ « سنفرغ لكم أيها الثقلان » .

(٤) سورة الزمر . آية ٤٩ « وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك » .

(٥) وهي قراءة حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة .

(٦) سورة الإسراء . آية ٢٠

(٧) سورة النساء . آية ١٤٣

أو قوله عز من قائل : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ^(١) ﴾ . فانه يقرأها هكذا : ﴿ إِذْ ... أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْ... أَرْضِ وَإِذْ ... أَنْتُمْ ... أَجْنَةً ﴾ .

أو قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَسْكُونَ ^(٢) ﴾ . فانه يقرأها هكذا : ﴿ وَجَا ... ؤَا ... آبَاهُمْ عِشَا ... ءَ يَسْكُونَ ﴾ .

أو قوله جل وعز : ﴿ بَخَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ^(٣) ﴾ . فانه يقرأها هكذا : ﴿ بَخَا ... ءُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَا ... ءٍ قَالَتْ ... إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ ﴾ .

فانظر أيها المؤمن الى أى حد بلغ تشويه المعنى ، حين يصل القارئ الى قوله تعالى : ﴿ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ . وبعد السكت يقول : ﴿ ءٍ قَالَتْ ﴾ . فيصير كأنه يقول : ﴿ إِنَّ قَالَتْ ﴾ . بنطق « إن » الشرطية .

واذا قرأ القارئ بنفس هذه الطريقة ، قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ^(٤) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ . فانه يقرأها هكذا : ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ... إِنَّنِي ... أَنَا اللَّهُ ﴾ .

فانظر الى أى حد بلغ فساد المعنى ، حين يسكت عند قوله تعالى : ﴿ يُوحَىٰ ﴾ . ثم ينطق بقوله : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ ﴾ . وحين يسكت ثانية ، بعد قوله : ﴿ إِنَّنِي ﴾ . ثم ينطق بقوله تعالى : ﴿ أَنَا اللَّهُ ﴾ .

(١) سورة النجم . آية ٣٢ (٢) سورة يوسف . آية ١٦

(٣) سورة القصص . آية ٢٥ (٤) سورة طه . آية ١٣

أو حين يقرأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُهُمْ ﴾^(١) . فانه يقرأها : ﴿ لَا تَسْأَلُوا ... أَلُوا عَنْ ... أَشْيَاءَ ... إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُهُمْ ﴾ .

فانظر الى التحريف البالغ بسبب هذه القراءة ؛ حيث ينتقل المعنى من تقرير حصول الاساءة فعلا في حالة بدو هذه الأشياء المسئول عنها ؛ الى الاستفهام هكذا : ﴿ أَلِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُهُمْ ﴾ ؟ أى : هل تسؤكم إذا بدت ؟

وانظر أيضا الى القارئ ، حين يقرأ هذه الكلمة : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ . إدغام الهمز .
في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾^(٢) . هكذا : ﴿ وَإِئْمِيَّةٌ ﴾ .
إدغام النون في الميم الأولى ، والألف في الميم الثانية^(٣) .

وأیضا هذه الكلمة : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ . في قوله تعالى : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٤) . فان القارئ يقرأها هكذا : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾^(٥) . كأنه يقول : ﴿ من آمن بالله ﴾ . من النوم ، لا من الإيمان .

وإني أتحدى القراء أنفسهم : أن ينطق أحدهم هذه الألفاظ بمفردها مجردة عن باقى الآية بنطقها الصحيح ، أو يفهمها كما هي مرسومة .

وهذه القراءات ، معروفة متواترة . وقد قال بعضهم : بعدم تواترها ؛ وذلك لأنها عبارة عن كیفیات لأداء القرآن ، وكيفية الأداء لا تنضبط .

من قال بعدم
تواتر القراءات

(١) سورة المائدة . آية ١٠١ (٢) سورة فاطر . آية ٢٤

(٣) وهى قراءة ورش (٤) سورة المائدة . آية ٦٩

(٥) وهى قراءة ورش أيضا .

وقال آخرون : بأن المتواتر من القراءات ، هو غير الأداء منها ؛ كالمدة ،
والتسهيل ؛ لعدم الوقوف على كلفيته بالسمع ^(١) .

من دون القراءات ولم يزل القراء يتداولون القراءات وروايتها ، الى أن كتبت العلوم
ودوّنت ، فكتبت القراءات فيما كتب من العلوم والفنون ، وصارت
صناعة مخصوصة ، وعلمها منفردا .

مجاهد وتناقله الناس بالمشرق والأندلس جيلا بعد جيل ، الى أن ولي شرق
الأندلس مجاهد من موالى العامريين ^(٢) — وكان معتزيا بفنّ القراءات —
واختص بعد ذلك بإمارة دانية ^(٣) ، والجزائر الشرقية ، فنفتت بها سوق
القراءة ^(٤) .

أبو عمرو الداني وقد ظهر في عهده : أبو عمرو الداني ^(٥) ، وبلغ الغاية فيها ، ووقفت
عليه معرفتها ، وانتهت الى روايته أسانيدھا ، وتعددت تأليفه فيها ، وعوّل
الناس عليها ، وعدلوا عن غيرها .

وقد ألف فيما ألف : كتاب التيسير . وقد كتب أيضا في علم الرسم
كتبا عدة . أشهرها : كتابه « المقنع » وأخذ به الناس ، وعوّلوا عليه .
ونظمه أبو القاسم الشاطبي ^(٦) ، في قصيدته الرائية المشهورة .

الشاطبي

(١) قال بذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته ؛ عند الكلام في القراءات .

(٢) العامريين : نسبة الى المنصور بن أبي عامر .

(٣) دانية : بلد بالمغرب . (٤) تفتت : راجت .

(٥) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الداني .

(٦) نسبة الى شاطبة : بلد بالمغرب .

ثم ظهر بعد ذلك بأجيال : أبو القاسم بن فيره^(١) ، فعمد الى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه ؛ فنظم ذلك كله في قصيدة استوعب فيها فن القراءات استيعابا حسنا ، وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان ، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس .

وظهر من المتأخرين بالمغرب الخراز^(٢) ، ونظم أرجوزة أخرى ، زاد فيها على كتاب « المقنع » واختلف معه . واشتهرت هذه الأرجوزة بالمغرب ، واقتصر الناس على حفظها ، وهجروا بها سائر الكتب المتقدمة في هذا الفن .

وأمثال هذا كثير ، وكثير جدًا . وإنه ليضيق صدرى ، ولا ينطق لسانى ! ولست بقائل إلا ما قاله القراء : من أنها قراءة صحيحة معتمدة .

لا يجوز قراءة
القراءة التي
مات أهلها

ونحن إذا سامنا بهذا القول ؛ فانما نسلم به جدلا . ونقول : إن مثل هذه القراءة — التي تضيع من الألفاظ بهجتها ، وتسلب من الكلمات معانيها وعذوبتها — إذا صح سندها ، وحسنت روايتها ؛ فلا يصح استعمالها وقراءتها ؛ فقد مات أهلها ، ومن ينطقون بها .

وإذا كان أهلها على قيد الحياة ، فليس هذا مكانهم ، ولا هذه البلاد أوطانهم .

لا أصل
لهذه اللهجات

ولقد أجريت بنفسى أبحاثا خاصة ، لتعرف هذه اللهجات . فعلمت — بعد التحزى الزائد من أصدقاء لى بسوريا ، وفلسطين ، والعراق ،

(١) من علماء الرسم والقراءات . وكان من أهل شاطبة (إحدى بلاد المغرب) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم القاسم ، الشهير بالخراز .

وشرق الأردن ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وغيرها من البلاد —
بأنه ليس لأهل هذه اللهجات وجود إطلاقا . بل وأنكروا احتمال وجود
مثل هؤلاء في سابق الأزمان .

جاء عن الإمام ابن الجزرى ما نصه :

ساد بعض
القراءات لغة

وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو ، أو كثير منهم . ولم يعتبر
إنكارهم . كإسكان : (بَارِئُكُمْ)^(١) و (يَأْمُرُكُمْ)^(٢) وخفض (وَالْأَرْحَامِ)^(٣)
ونصب (لِيُجْزَى قَوْمًا)^(٤) والفصل بين المضافين في قوله تعالى :
(قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ)^(٥) . وغير ذلك .
« انتهى كلام ابن الجزرى »

(١) سورة البقرة . آية ٥٤ ، والذي قرأها أبو عمرو . والقراءة المشهورة « إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
بَاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ » بكسر الهمز . وحجة من أسكن الهمز : أنها لغة بني أسد
وتميم . طلبا للتخفيف ، عند اجتماع ثلاث حركات فقال من نوع واحد .

(٢) سورة البقرة . آية ٦٧ ، والذي قرأها أبو عمرو . والقراءة المشهورة « إِنْ أَقَامَ اللَّهُ بِأَمْرِكُمْ
أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً » بضم الراء .

(٣) سورة النساء . آية ١ ، والذي قرأها حمزة . والقراءة المشهورة « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » بفتح الميم .

(٤) سورة الجاثية . آية ١٤ ، والذي قرأها يزيد بن القعقاع . والقراءة المشهورة
« لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ، ومقتضى العربية في قراءة « لِيُجْزَى » بضمير الغائب :
أن تكون « لِيُجْزَى قَوْمَ » لا « قَوْمًا » .

(٥) سورة الأنعام . آية ١٣٧ ، وهي قراءة ابن عامر . والقراءة المشهورة « وَكَذَلِكَ زَيْنَ
لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ » أنظر ما كتبناه عند
« رأى الإمام الزنجشري في بعض القراءات » .

ويقاس على ما أورده ابن الجزرى قراءة من قرأ : ﴿ وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا ^(١) 〉 . وأمثال ذلك كثير .

وكان ابن الجزرى يريد بقوله هذا : أن القرآن ليس عربيا بجملة وتفصيله . فى حين أن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ^(٢) 〉 .

ونستطيع أن نقول — ونحن آمنون مطمئنون — إن هذه القراءات وأمثالها ليست صحيحة ؛ لمنافاتها اللغة العربية ، وبجفافها نظم القرآن الكريم . وان جميع ذلك من خطأ المتلقين فى سماعهم ، أو خطأ الكتّابين فى كتابتهم .

أخرج الحاكم فى مستدركه ، من طريق مُحمَّران بن أعين ، عن أبى الأسود الدؤلى ، عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه . قال : « جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ . فَقَالَ : لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ » .

ولكن القراء — أثابهم الله — يأبون إلا أن قراءة « نبىء » بالهمز . قراءة صحيحة ، متواترة . يأثم جاحدها ، ويكفر منكها .

وأنا أشهد الله تعالى وملائكته ورسله ؛ أنى بها أول الجاحدين ، ولكلام القراء أول المكذبين ، ولحديث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم — الذى أنزل عليه القرآن — أول المصدقين .

(١) سورة الإسراء . آية ١٣ ، القراءة المشهورة « ويخرج له يوم القيامة كتابا » ومقتضى العربية فى قراءة « ويخرج » أن تكون « ويخرج له يوم القيامة كتاب » لا « كتابا » .

(٢) سورة يوسف . آية ٢

(٣) قرأ بها نافع بن أبى رويم .

قراءة بعض الصحابة رضي الله عنهم

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قرأ من سورة الفاتحة :
 ﴿ صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَغَيْرِ الضَّالِّينَ ﴾ .

قراءة
عمر بن الخطاب

ومن سورة آل عمران : ﴿ اَللّٰهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .
 ومن سورة المدثر : ﴿ فِي جَنّٰتٍ يَتَسَاءَلُوْنَ يَا فُلَانُ مَا سَلَكَكَ فِي سَقَرٍ ﴾ .

وروى عن علي رضي الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة البقرة :
 ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ وَأَمَنَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

قراءة
ابن أبي طالب

وروى عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة النساء :
 ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَمَا تَوْهَنَ أَجُورُهُنَّ ﴾ .

قراءة
أبي بن كعب

(١) سورة الفاتحة . آية ٧ ، والقراءة المشهورة « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

(٢) سورة آل عمران . آية ١ و ٢ ، والقراءة المشهورة « الحي القيوم » . والقيام والقيوم : بمعنى . وهو الذي لا تدله .

(٣) سورة المدثر . آية ٤٠ — ٤٢ ، والقراءة المشهورة « في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر » .

(٤) سورة البقرة . آية ٢٨٥ ، والقراءة المشهورة « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » .

(٥) سورة النساء . آية ٢٤ ، والقراءة المشهورة « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن » .
 بغير زيادة : « إلى أجل مسمى » .

ومن سورة البقرة : (لِّلَّذِينَ يُقْسِمُونَ^(١)) . و (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ^(٢)
أَلَّا يَطُوفَ بِهِمَا) .

ومن سورة المائدة : (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِّتَّاعَاتٍ فِي كَفَّارَةِ الْيَمِينِ^(٣)) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : أنه قرأ من سورة النساء
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ^(٤)) .

ومن سورة آل عمران : (وَارْكَبِي وَاسْجُدِي فِي السَّاجِدِينَ^(٥)) .

ومن سورة البقرة : (مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَثُومِهَا^(٦)) .

وقرأ أيضا من سورة البقرة : (وَتَزَوَّدُوا وَخَيْرُ الزَّادِ التَّقْوَى^(٧)) .

و (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ فَابْتَغُوا حَيْثُ شِئْتُمْ^(٨)) .

(١) سورة البقرة . آية ٢٢٦ ، والقراءة المشهورة « للذين يؤلون » والإيلاء بمعنى القسم :
آلى ، وائتلى ، وتآلى : أقسم .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٨ ، والقراءة المشهورة « فلا جناح عليه أن يطوف بهما »
وهى فى معناها بتقدير « لا » كقراءة أبى بن كعب .

(٣) سورة المائدة . آية ٨٩ ، والقراءة المشهورة « فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم » .

(٤) سورة النساء . آية ٤٠ ، والقراءة المشهورة « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » والذرة :
التملة الصغيرة ، أو هى دابة أصغر منها . ولعل المقصود : الهباء المنتثر فى الهواء .

(٥) سورة آل عمران . آية ٤٣ ، والقراءة المشهورة « واسجدى واركعى مع الراكعين » .

(٦) سورة البقرة . آية ٦١ ، والقراءة المشهورة « وفومها » مكان « وثومها » والفوم : الثوم .

(٧) سورة البقرة . آية ١٩٧ ، والقراءة المشهورة « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

(٨) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا
من ربكم » . بدون هذه الزيادة .

قراءة عبدالله
ابن مسعود

و﴿ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ ﴾^(١) . و﴿ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَهُ ﴾^(٢) . و﴿ مَا تُنْسِكُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَخْهَا ﴾^(٣) .

ومن سورة المائدة : ﴿ بَلْ يَدَاهُ بَسْطَانِ ﴾^(٤) .

ومن سورة التوبة : ﴿ قُلْ أَذُنُ خَيْرٍ وَرَحْمَةٌ لَكُمْ ﴾^(٥) .

ومن سورة يونس : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِكُمْ ﴾^(٦) .

ومن سورة مريم : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾^(٧) .

ومن سورة العصر : ﴿ وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، وَإِنَّهُ فِيهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾^(٨) .

وروى عن ابن عباس قراءة ابن عباس : وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، أنه قرأ من سورة البقرة :

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾^(٩) . وكان يقول : لا تقولوا ﴿ بِمِثْلِ ﴾

- (١) سورة البقرة . آية ١٩٦ ، والقراءة المشهورة « وأتموا الحج والعمرة لله » .
- (٢) سورة البقرة . آية ١٤٤ ، والقراءة المشهورة « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .
- وشطره ، وقيله : بمعنى .
- (٣) من النسيان .
- (٤) سورة البقرة . آية ١٠٦ ، والقراءة المشهورة « ما ننسخ من آية أو ننسها » .
- (٥) سورة المائدة . آية ٦٤ ، والقراءة المشهورة « بل يدها مبسوطتان » .
- (٦) سورة التوبة . آية ٦١ ، والقراءة المشهورة « قل أذن خير لكم » .
- (٧) سورة يونس . آية ٢٢ ، والقراءة المشهورة « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم » .
- (٨) سورة مريم . آية ٣٤ ، والقراءة المشهورة « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق » ، ويمترو : يجادلون .
- (٩) سورة العصر . آية ١-٣ ، والقراءة المشهورة « والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .
- (١٠) سورة البقرة . آية ١٣٧ ، والقراءة المشهورة « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » .

فإن الله تعالى ليس له مثل . قولوا : ﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ ﴾
أو ﴿ إِنَّمَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾^(١) .

وقرأ أيضا من سورة البقرة : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن لَّا يَطُوفَ بِهِمَا ﴾^(٢) .
و ﴿ أَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلْبَيْتِ ﴾^(٣) . و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ ﴾^(٤) . و ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى
وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ﴾^(٥) .

ومن سورة آل عمران : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾^(٦) . و ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يَخَوْفُكُمُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾^(٧) .

ومن سورة النساء : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾^(٨) .
و ﴿ طَيِّبَاتٍ كَانَتْ أُحِلَّتْ لَهُنَّ ﴾^(٩) .

(١) يؤخذ من ذلك : أنه رضى الله تعالى عنه ، كان يجهز القراءة بالمعنى . وهو مذهب
بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . أنظر ما كتبناه عند فصل « من قرأ القرآن بالمعنى »
و « عدم جواز قراءته بالمعنى » .

وقد رد ابن أبي داود على هذا : بأن التعبير بالمثل جائز سائق في لغة العرب . وقد جاء بها
الكتاب الكريم في قوله تعالى : « ليس كذلك شيء » .

(٢) سورة البقرة . آية ١٥٨ ، والقراءة المشهورة « فلا جناح عليه أن يطوف بهما »
وهي في معناها بتقدير « لا » كقراءة ابن عباس ، وأبي بن كعب .

(٣) سورة البقرة . آية ١٩٦ ، والقراءة المشهورة « وأقيموا الحج والعمرة لله » .

(٤) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « في مواسم الحج » .

(٥) سورة البقرة . آية ٢٣٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « وصلاة العصر » .

(٦) سورة آل عمران . آية ١٥٩ ، والقراءة المشهورة « وشاورهم في الأمر » .

(٧) سورة آل عمران . آية ١٧٥ ، والقراءة المشهورة « إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه » .

(٨) سورة النساء . آية ٢٤ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « إلى أجل مسمى » .

(٩) سورة النساء . آية ١٦٠ ، والقراءة المشهورة « طيبات أحلت لهم » بغير « كانت » .

- ومن سورة يس : (يَا حَسْرَةَ الْعِبَادِ)^(١) .
ومن سورة النصر : (إِذَا جَاءَ فَتْحُ اللَّهِ وَالنَّصْرُ)^(٢) .

قراءة ابن الزبير

- وجاء عن عبد الله بن الزبير، رضى الله تعالى عنهما : أنه قرأ من سورة البقرة : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ)^(٣) .
ومن سورة آل عمران : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ)^(٤) .
ومن سورة المائدة : (فَيُصْبِحُ الْقُسَاقُ عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ)^(٥) .
ومن سورة الفاتحة : (صِرَاطٌ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)^(٦) .

مصحف

بعض الصحابة

وهذه القراءات التي قدمنها في هذا الباب ثابتة في مصاحف أصحابها، ومنقولة عنها .

وقد وجد اختلاف يسير ، في مصاحف أخر من مصاحف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ كمصحف عبد الله بن عمرو ، ومصحف أم المؤمنين عائشة ، ومصحف حفصة ، ومصحف أم سلمة .

- (١) سورة يس . آية ٣٠ ، والقراءة المشهورة « يا حسرة على العباد » .
(٢) سورة النصر . آية ١ ، والقراءة المشهورة « إذا جاء نصر الله والفتح » .
(٣) سورة البقرة . آية ١٩٨ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « في مواسم الحج » .
(٤) سورة آل عمران . آية ١٠٤ ، والقراءة المشهورة ليس فيها « ويستعينون بالله على ما أصابهم » .
(٥) سورة المائدة . آية ٥٢ ، والقراءة المشهورة « فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .
(٦) سورة الفاتحة . آية ٧ ، والقراءة المشهورة « صراط الذين أنعمت عليهم » .

وكذا مصاحف التابعين رضى الله تعالى عنهم ؛ فقد جاء فيها ما لا يخرج مصاحف التابعين
عما قدمناه في مصاحف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقراءاتهم .
وقد اكتفينا بما ذكرناه عن إيراد باقيه ؛ لضيق المقام .

وقد ذهب بعضهم إلى أن أغلب ما وجد من الخلاف ؛ إنما هو من الزيادات في
المصاحف تفسير
لبعض الكلمات
وضع بعض كلمات بين الأسطر ، تفسيراً لما في المصحف — فظنها
القارئ من جنس القرآن خطأ — وليست من القرآن .

وهذا القول لا بأس به فيما كان زائداً على الكلمات . أما الكلمة التي
أبدلت بكلمة أخرى من معناها ؛ فهي — ولا شك — قراءة أخرى ؛
وليست بتفسير .

وقد تنوّل تفسير بعض القرآن الكريم عن الصحابة رضوان الله عليهم ،
وتداول ذلك التابعون من بعدهم ، ونقل ذلك عنهم ، ولم يزل ذلك متناظراً
في الصدر الأول ، حتى صارت المعارف علوماً ، ودونت الكتب . فكتب
الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . واتهى
جميع ذلك إلى أئمة التفسير . أمثال : الطبري ، والواقدي ، والثعالبي ،
وأضرابهم . فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه . وقد جمع المتقدمون في ذلك
الشيء الكثير . إلا أن كتبهم اشتملت على الغث والسمين ، والمقبول والمردود .^(١)

(١) وهذا واضح في شتى كتب التفسير من إيرادهم لفصوص اليهود وإفكهم : كقصة زينب
بنت جحش ، وقصة داود عليه السلام ، والغرائق ، وأمثال ذلك مما يكاد إجماعهم أن ينعقد
عليه رغم ظهور بطلانه . وذلك للأسباب التي ذكرناها ، والتي أشار إليها العلامة ابن خلدون عند
الكلام في التفسير .

سبب تسميهم الخطأ
إلى التفسير

وسبب هذا : أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ، ولا علم . وإنما غلبت عليهم البدادة والأمية . فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تنوق إلى معرفته النفوس البشرية ، في أسباب المكنونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ؛ فإنهم يسألون عنه أهل الكتاب . ويستفيدونه منهم (وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى) وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ كانوا من أهل البادية أمثالهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب . ومعظمهم من حمير ، الذين كانوا على دين اليهودية^(١) ، فلما أسلموا ؛ بقوا على ما كان عندهم من الأكاذيب والأباطيل ، فامتثلت كتب التفاسير مما نقل عنهم ، وتساهل في أخذه المفسرون . عدا بعض أئمة التفسير والعربية : كالإمام القرطبي ، فإنه قد ألف تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » فلم يدون به ما أخذ من اليهود ، ودقونه المفسرون في كتبهم (وهذا الكتاب من أجل كتب التفسير) والإمام الزنجشري في تفسيره « الكشاف » غير أن بعض من تسموا بأهل السنة ، يأخذ عليه الاعتزال في العقائد ، وفي قولهم نظر .

كتب التفسير
الصحيحة

ولسنا الآن بسبيل مخالفته أو تأييده . وكل ما نستطيع أن نقوله : إن هذا التفسير تنتهى إليه ضروب البلاغة والإعجاز ، وقد أحاط بكل ما يراد معرفته من فنون اللغة وآدابها . وقد نقله بأحرفه الإمام النسفى ، وأدعى تأليفه ، بعد أن أسقط منه ما ادعوه من الاعتزال .

(١) وهم : كعب الأحبار ، وروهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم .

وروى ورقاء ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي
ابن كعب ، أنه كان يقرأ قوله تعالى : (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ^(١)) :

(لِلَّذِينَ آمَنُوا آمَهُلُونَا) ، (لِلَّذِينَ آمَنُوا أَخْرُونَا) ، (لِلَّذِينَ آمَنُوا
ارْقُبُونَا) .

وكان يقرأ قوله تعالى : (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ^(٢)) :

(مَرَوْا فِيهِ) ، (سَعَوْا فِيهِ) .

قال الطحاوي في ذلك :

إنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات . وذلك
لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش ، وقراءة رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لعدم علمهم بالكتابة والضبط ، وإتقان الحفظ .
وهذه الرخصة كانت في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر ، وتيسر
الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة .

شذوذ هذه
القراءات

وقد انعقد إجماع القراء على أن هذه القراءات المتقدمة شاذة ، ولا تصح
تلاوتها لعدم تواترها ، وهذا بالرغم من ورودها في أمهات كتب الحديث
الصحيحة المعتمدة .

(١) سورة الحديد . آية ١٣

(٢) سورة البقرة . آية ٢٠

(٣) أنظر ما كتبناه عند فصل « نزول القرآن على سبعة أحرف » .

وهذه القراءات مهما تنوزع فيها ، وقيل بشأنها ؛ فإنها لا تختلف في الحدود ، ولا الفرائض ، ولا شيء من شرائع الإسلام - قل أو أكثر - بل هي مما اقتضته الفطرة اللغوية ، واختلاف اللهجات والألسن ؛ مما قام وقت نزول القرآن ، ولم تعد للناس به حاجة ، خصوصا بعد إجماع عثمان وسائر الصحابة على تركه .

القراءات لم تختلف في التشريع

وقد اشتهر من القراء في صدر الإسلام سبعة . وهم : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري . وعندهم أخذ كثير من الصحابة والتابعين . ومن عجب أن للقراءات الشاذة أئمة عرّف بهم التاريخ والمؤلفون ؛ فهناك ابن سَنبُؤَدَ المتوفى سنة ٣٢٨ ، وكان رجلا كثير اللحن ، قليل العلم ، في سلامة وحمق وغفلة ؛ فكان من أشهر قراء الشواذ .

القراء في صدر الإسلام

أئمة قراء الشواذ

ثم أخذ في سبيله أبو بكر العطار النحوي المتوفى سنة ٣٥٤ ، وكان من أئمة نخاة الكوفيين ، ومن أعرف الناس بالقراءات ، وإنما أفسد عليه أمره أنه من نخاة الكوفيين . فخالف الإجماع ، واستخرج لقراءته وجوها من اللغة والمعاني ما أنزل الله بها من سلطان .

فمن ذلك قراءته في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾^(٢) ، فإنه قرأها ﴿ نُجْبًا ﴾ ، فأزال بذلك الآية عن أحسن وجوه البيان العربي . وقد انفرد في سائر قراءته ؛ كعادة الكوفيين في الرواية .

(١) أي أنه كان يعتقد صحة ما يقرأه ؛ رغم بطلانه عقلا ونقلا .

(٢) سورة يوسف . آية ٨٠ .

هذا وقد أورد ابن النديم في كتابه « الفهرست » أسماء كثيرة من أهل الشواذ في كثير من الأمصار .

وقد أجاز بعض المتقدمين قراءة القرآن بالمعنى ، لمن لا يحسن القراءة ؛ ويسىء فهم بعض الكلمات .

فمن ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ؛ أنه كان يلقن أعرابيا قوله تعالى : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ »^(١) . فكان الأعرابي يقول : « طَعَامُ الْيَتِيمِ » . فلما رأى عمر منه عدم استطاعة النطق بلفظ : « الْأَثِيمِ » . قال له : « طَعَامُ الْفَاجِرِ » . فقرأها الأعرابي : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْفَاجِرِ » . على معنى أن الفاجر هو الأثيم ، والأثيم هو الفاجر .

ولسنا في هذا المقام ندعو الى قراءة القرآن بالمعنى ؛ فقراءته يجب أن تكون بالفاظه وحروفه التي نزل بها . ولكنا نريد أن نثبت أن القراء أبعد الناس عن فهم القرآن ، وأنهم يتعسفون كل التعسف ، ويخطئون كل الخطأ ، ويأثمون كل الإثم ؛ بتضييقهم على عباد الله ، وبتصعيبهم كلام الله ، وجعله مقيدا بقيود ثقيلة ، مشروطا بشروط مرهقة ما أنزل الله بها من سلطان .

قد يقول بعض القراء : إن الذى حدا بك الى ما تقول ؛ هو جهلك بما نعلمه ، والإنسان بطبعه عدو لما يجهل .

وجوابى على هذا : أننى — بفضل الله تعالى — قد علمت ما تعلمون ، وفوق ما تعلمون ، ودرست ما درستوه ، وفوق ما تدرسون . ولكنكم

(١) سورة الدخان . آية ٤٣ و ٤٤

عدم جواز
القراءة بالمعنى

جهل القراء .

أنتم الذين تجهلون ما أقول ولا تفهمونه ، فاتم الأعداء لما تجهلون وما تعلمون .

ويعلم الله تعالى والعقلاء أن القرآن الكريم ما نزل لتلقاه عنكم ، وتأخذه منكم . بل لناخذه عنمن أنزل اليه ، وكما أنزل اليه .

ولعلمكم تقولون : هكذا أنزل ، وهكذا الينا وصل ، فهو كما نتلوه عليكم بحركاته وسكاته ، لا كما تقول أنت من التفريط والمساهلة .

وجوابي على هذا أيضا : أني لا أطلب إلا بقراءته كما أراد منزله تعالى ، وهو القائل : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ^(١) ﴾ . وكما أراد من نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكما تنطق العرب بلهجاتها ولغاتها . وهم ينكرون الكثير مما تدعونه من القراءات ، كما بينا ونبين .

قال الإمام الزمخشري في تفسيره « الكشاف » عند قوله تعالى :

رأى الزمخشري
في بعض القراءات

﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ^(٢) ﴾ :

وأما قراءة ابن عامر : ﴿ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ برفع القتل ، ونصب الأولاد ، وجر الشركاء ، على إضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان في مكان الضرورات — وهو الشعر — لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد :

* زَجَّ الْقُلُوصَ أَيَّ مَرَّادَهُ *

(١) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠

(٢) سورة الأنعام . آية ١٣٧

فكيف به في الكلام المنشور ، فكيف به في القرآن ، المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذى حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف : (شُرَكَائِهِمْ) مكتوبا بالياء^(١) . ولو قرأ بيجز الأولاد والشركاء — لأن الأولاد شركائهم في أموالهم — لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب .

وقال الإمام الزمخشري أيضا في تفسيره ، عند قوله تعالى : (فَيَغْفِرُ^(٢) لِمَن يَشَاءُ) :

ومدغم الراء في اللام : (فَيَغْفِلَمَن يَشَاءُ) لآحن ، مخطئ خطأ فاحشا ، وراويه عن أبي عمرو ، مخطئ مرتين : لأنه يلحن ، وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم .

والسبب في نحو هذه الروايات : قلة ضبط الرواة . والسبب في قلة الضبط : قلة الدراية .

« انتهى كلام الزمخشري بلفظه » .

والذى نستخلصه من كلام الإمام الزمخشري رضى الله تعالى عنه : أن من القراءات المعتمدة ، التى بلغت مبلغ التواتر والصحة ، ما هو خارج عن المعقول ، وغير جائز لغة . بل وباطل سمج مردود .

ويؤخذ منه أيضا : أن الرسم الأول ، كان سببا في خطأ ابن عامر . وهو أحد القراء السبعة ، المشهود لهم بالحفظ والدقة والدراية ، ومعرفة العربية .

(١) أى أن الذى حمل ابن عامر على الوقوع في هذا الخطأ هو انحراف الرسم ، وتكتابة لفظ « شركائهم » بالياء ، وأمثال ذلك كثير في المصحف .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٨٤

قلة ضبط الرواة
وقلة دراية القراء

فكيف بنا الآن بعامة هذه الأمة في هذا العصر ، حين نكلفهم بأخذ القرآن عن هذا الرسم العقيم ، وبهذا الإملاء السقيم ، وبهذه القراءات الفاسدة المتناقضة .

وقد قال الأخفش — وهو من كبار أئمة العربية — حين سمع قراءة أبي عمرو لقوله تعالى : ﴿ فَرَهَنَ مَقْبُوضَةً ﴾^(١) بإسكان الهاء : إنها قبيحة شاذة . كما أنكرها كثير من فضلاء المتقدمين .

انكار الأخفش
لإحدى القراءات

وقد علمت مما سبق أننا أن عثمان رضي الله تعالى عنه ؛ لم يكتب المصحف إلا خشية الاختلاف في القراءات ، والتغالي فيها ، وتفضيل إحداها على الأخرى .

وجوب اتباع
قراءة قریش

لذا وجب علينا اتباع القراءة التي كتب عليها المصحف لا غير . وهي القراءة التي تتفق ولغة قریش — التي نزل بها القرآن الكريم — حيث قال عثمان رضي الله تعالى عنه لمن انتدبهم لكتابة المصحف ، من أجلاء القراء ، وكتابة الوحي : إذا اختلفتم في شيء فردوه الى لغة قریش ، فإنما نزل القرآن بلسانها .

وعثمان رضي الله تعالى عنه ، لم يجمع القرآن الكريم ؛ لغرض جمعه بعد أن كان مفرقا ؛ بل بقصد جمع الناس على قراءة واحدة .

لم يجمع عثمان القرآن
إلا لتوحيد القراءة

وإنما جمعه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

(١) سورة البقرة . آية ٢٨٣ ، والقراءة المشهورة : « فرهان مقبوضة » .

(٢) أظن ما كتبناه في « جمع القرآن في زمان أبي بكر رضي الله تعالى عنه » .

قال الحارث المحاسبى : المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد ، على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار ، لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات^(١) .

فأما قبل ذلك ؛ فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات ، على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن .

فأما السابق إلى جمع الجملة ؛ فهو الصديق رضى الله تعالى عنه .

وقد قال على كرم الله وجهه : لو وليت ؛ لعملت بالمصاحف الذى عمل بها عثمان^(٢) .

ويرجع تاريخ الاختلاف في القراءات ، إلى زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وهو الذى حدا بعثمان رضى الله تعالى عنه إلى كتابة مصحفه ، وجمع الناس على قراءة واحدة .

وقد أخرج ابن أبى داود — بسند صحيح — عن سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ ، قال : قال على رضى الله تعالى عنه : لا تقولوا في عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل الذى فعل في المصاحف ، إلا عن مَلَأٍ مِنَّا . قال : ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك . وهذا يكاد يكون

(١) أنظر ما كتبناه في « اختلاف الناس في القراءات » .

(٢) أى : لو وليت الخلافة ؛ لعملت في المصاحف مثل عمل عثمان بها ، من توحيد

القراءة ، وجمع الناس عليها ، ورفض ما عداها .

من أين بدأ
الاختلاف
في القراءات

إجماع الصحابة
على قراءة واحدة

كفرا . قلنا : فما ترى ؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد ،
فلا تكون فرقة ولا اختلاف . قلنا : فينعم ما رأيت !

ولسنا نحن بأفضل من عثمان ، ولا بأعلم منه ، ولن يسعنا — وقد بلغ
الاختلاف في القراءات الآن حدًا لا مزيد عليه — إلا ما وسع عثمان رضي الله
تعالى عنه ، في الدعوة إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وفي مصحف واحد .

وقد قال كثير من أئمة المحدثين بأن جمع أبي بكر رضي الله تعالى عنه
للمصحف ؛ إنما كان خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حفظه ،
لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد ، بل كان متفرقا ، فجمعه في صحائف ،
ورتب آياته وسوره ، على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

أما جمع عثمان رضي الله تعالى عنه ، فلم يكن إلا لكثرة اختلافهم
في وجوه القراءة ، حتى أنهم قرأوه بسائر لغاتهم ، على اتساع تلك اللغات ؛
فأدى ذلك إلى اختلافهم ، وتخطئة بعضهم بعضا ، فلما خشي عثمان تفاقم
الأمر ، واختلافهم على الكتاب المجيد ، كما اختلفت اليهود والنصارى
على كتبهم جمع المصحف مقتصرًا على لغة قريش ، محتجا بأنه قد نزل
بلغتهم ، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم ، دفعا للرجع والمشقة
في ابتداء الأمر .

وقد رأى عثمان أن الحاجة لتلك التوسعة قد انتهت ، ولم تعد فائدة
في بقائها ، ولم يسبق إلا ما خلفته من ضرر محقق ، وهو الاختلاف ؛
فاقتصر على لغة واحدة .

وجوب اتباع
رأى عثمان

وليس لإنسان ، كائناً من كان ، أن يضرب برأى عثمان بن عفان عرض الحائط — وهو من أجلاء الصحابة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، الواجب الاقتداء بأقوالهم وأفعالهم — وينادى بوجوب قراءة القرآن بالقراءات المختلفة ، واللغات المتباينة ، واللهجات التي بادت قبائلها ، ولم يوجد منها متكلم ، وليس لها سامع ولا فاهم .

زعم القراء بأن
اختلاف رسم
المصحف لأوجه
القراءات

قد يقول قائل : إن عثمان رضي الله تعالى عنه قد كتب المصحف برسم وهجاء ، يحتمل الكثير من القراءات المعتمدة المتواترة .

وجوابنا على هذا : أن سبب كتابة عثمان للمصحف ، هو رغبته في توحيد القراءة لاختلاف المسلمين فيها ، وخشية تطاول هذا الاختلاف ، فيكون كالاختلاف اليهود والنصارى .

فلا يعقل أن يهرب من اختلاف القراءات ، الى اختلاف أشد منه في القراءات . وإذا قلنا بذلك ، فما معنى تصريحه لكتابي المصحف بأنهم إذا اختلفوا في شيء فليردوه الى لغة قريش ؟

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه الى أنه رضي الله تعالى عنه أحرق ما عدا ذلك من المصحف المدون بها اختلاف القراءات . وعلى هذا أجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً .

وقد كان القرآن الكريم مجموعاً من عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه — كما قدمنا — ولا حاجة لإعادة جمعه من جديد . بل الذي فعله عثمان هو توحيد القراءة فقط ، وإيجاب قراءة واحدة بلغة قريش .

قد يقول بعض القراء : إن القراءات نفسها داخلية في لغة قريش .
 وجوابنا على هذا : قد يكون ما يقولونه حقاً ، إلا أن ثمة اختلاف
 في القراءات بين قريش نفسها ، على عهد عثمان رضي الله تعالى عنه ، وقد
 سعى لإزالة أسباب هذا الاختلاف ، بتوحيد القراءة ، بموافقة جل الصحابة
 رضوان الله تعالى عليهم ، كما بينا .

والذي حدا ببعض القراء إلى قراءة ما يقرأونه ، هو اختلاف رسم
 المصحف .

فقد التبس على بعضهم رسم بعض الكلمات بالياء ، مكان الألف ،
 كقوله تعالى : ((مَجْرِيهَا)) و ((مُوسَى)) و ((يَحْيَى)) و ((الضُّحَى)) و ((سَبَّحْ))
 و ((قُلْ)) و ((يَقْنُتِي)) و ((تَجَلَّى)) و ((الْأَشْقَى)) و ((الْكُبْرَى)) و ((ضُحَاهَا))
 و ((تَلَّهَا)) . وأمثال ذلك . فأراد أن يتوسط بين الألف والياء ، فأمال ،
 واتبعه الكوفيون .

اختلاف رسم
 المصحف أدى
 إلى اختلاف القراء.

الإمالة

وأخرج ابن أشتة عن أبي حاتم ، قال : احتسج الكوفيون في الإمالة
 بأنهم وجدوا في المصحف : الياءات في موضع الألفات ، فاتبعوا الخط
 وأمالوا ، ليقربوا من الياءات .

- (١) جميع هذه الكلمات رسم إملاء بالياء ، وتنطق بالألف . ولعل القارئ الذي قرأ بالإمالة
 غاب عنه ذلك ، فأمال كل ما هو مرسوم بالياء ، منطوق بالألف .
- (٢) هكذا رسمت في المصحف . وصحفتها في الإملاء : « ضحاها وتلاها » .
- (٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وغيرهما .

أما من قال من القراء بأن الفتح لغة أهل الحجاز ، والامالة لغة أهل نجد ، فهو غير صادق في دعواه . وها هي نجد تنطق بالفتح ، وليس فيها من يميل مطلقا ، وهكذا تلقوا لغتهم عن آبائهم وأصولهم .

رأى الزركشى في
القرآن والقراءات

قال الإمام الزركشى في كتابه « البرهان » :

القرآن والقراءات : حقيقتان متغايرتان . فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، للبيان والإعجاز .
والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها ؛ من تخفيف وتشديد وغيرهما .

تواتر القراءات
السبع

والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . وقيل : بل مشهورة . والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة^(١) .

أما تواترها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه نظر .

« انتهى كلام الزركشى »

وقول الزركشى : ان تواتر القراءات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه نظر . دليل على أن القراءات متواترة من أصحابها إلينا فقط .

أما تواترها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم ؛ فهو ما لا يوافق عليه ، ولا يقره ، أو هو على الأقل موضع شك ، وبحث ، ونظر .

القراءات لا يجوز
قراءتها على غير
أهلها

وليس فيما قدمنا منقصة ، أو طعن في القراءات الصحيحة الثابتة ،
فأشأ أن ننكر ما أجمعت عليه الأمة .

(١) يعني هم القراء السبعة .

إلا أن القراءات: إذا صح بعضها، بالإجماع عليها، وتواتر روايتها، وجاز
تلقيها وعلمها وحفظها، فإنه لا يجوز أن تقرأ على غير أهلها—وأين هم؟—
إذ ليس من الحكمة في شيء، أن نجعل ما أنزله الله تعالى للتيسير على عباده؛
سبباً في التعسير عليهم.

وقد قال أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتابه «الإبانة»: ومنع
عثمان رضي الله تعالى عنه القراءة بما خالف خط المصحف، وساعده على
ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين، وكان المصحف قد كتب
بلغة قريش، وعلى حرف واحد، لينزل الاختلاف بين المسلمين.

منع القراءة بما
يخالف خط
المصحف

نزول القرآن على سبعة أحرف

روى البخارى فى صحيحه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ،
 أنه قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ فى صلاته سورة الفرقان ، فاستمعت
 لقراءته ، فإذا هو يقرأ قراءة لم يقرئها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ،
 فكذت أساوره فى الصلاة . فصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه ، وقلت :
 من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم . فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان
 على حروف لم تقرئنيها . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أرسله .
 وقال له : اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ . فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال لى : اقرأ يا عمر . فقرأت
 القراءة التى أقرأني . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : كذلك
 أنزلت « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَقْرَأُوا مَا تيسر منه » .

(١) أساوره : أى أخذ برأسه .

(٢) فلببته بردائه : أى جمعت ثوبه عند نحوه . كما يفعل الناس بأعداثهم عند الخصومة .
 والمعنى : أنه خنقه بثوبه ، حقاً وغيظاً .

(٣) أرسله : أى أتركه . ودع إمساكك بخناقه .

قال أبو عبيد : معنى « أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ » : أى أنزل على سبع لغات ، لسبع قبائل . وهم : قريش ، وكنانة ، وأسد ، وهذيل ، وبنو تميم ، وضبة ، وقيس .

رأى أبى عبيد في نزول القرآن على سبعة أحرف

وهم الذين انتهت إليهم الفصاحة ، وسلمت لغاتهم من الدخيل بسبب مخالطة الأعاجم .

وقال الإمام الكرمانى فى شرحه على البخارى ، عند ذكر هذا الحديث : وسبعة أحرف : أى لغات . وقيل : الحرف الإعراب . يقال :

رأى الكرمانى فى ذلك

فلان يقرأ بحرف عاصم . أى بالوجه الذى اختاره من الإعراب . وقال الأكترون : هو حصر فى السبعة . وقيل : هو فى صورة التلاوة من إدغام ، وإظهار ، ونحوهما . ليقراً كل بما يوافق لفته ؛ فلا يكلف القرشى : الهمز . ولا الأسدى : فتح حرف المضارعة . وقيل : بل السبعة كلها لمضر وحدها . « انتهى كلام الكرمانى »

وقال القاضى عياض : هى توسعة ، وتسهيل ، لم يقصد به الحصر .

رأى القاضى عياض

وقال ابن قتيبة : قد تدبرت وجود الاختلاف فى القراءات ، فوجدتها سبعة أحرف :

رأى ابن قتيبة

أولها : الاختلاف فى إعراب الكلمة ، وفى حركات بنائها ؛ بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتابة ، ولا يغير معناها .

اختلاف القراءة بغير تغيير معناها وبقاء صورة الكتابة

نحو قوله تعالى : (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)^(١) و (أَطْهَرُ لَكُمْ)^(٢) .

(١) سورة هود . آية ٧٨ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٢) وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وغيرهما .

و (هَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ) ^(٢) و (هَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ) ^(٢) و (يَأْمُرُونَ ^(٦) النَّاسَ بِالْبُخْلِ) ^(٣) و (بِالْبُخْلِ) ^(٤) و (نَظَرَةً إِلَى مَيْسَرَةٍ) ^(٥) و (إِلَى مَيْسَرَةٍ) ^(٦).

والوجه الثانى : أن يكون الاختلاف فى إعراب الكلمة ، وحركات بنائها ، بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها فى الكتابة :

نحو قوله تعالى : (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) ^(٨) و (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) ^(٩) و (إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ) ^(١٠) و (تَلَقَوْنَهُ) ^(١١) و (أَذْكُرْ بَعْدَ أَمَةٍ) ^(١٢) و (بَعْدَ أَمَةٍ) ^(١٣).

- (١) سورة سبأ . آية ١٧ ، وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وغيرهما .
- (٢) وهى القراءة المشهورة « حفص » .
- (٣) سورة النساء . آية ٣٧ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .
- (٤) وهى قراءة حمزة ، والكسائى ، وخلف .
- (٥) سورة البقرة . آية ٢٨٠ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .
- (٦) وهى قراءة نافع .
- (٧) سورة سبأ . آية ١٩ بصيغة الطلب والدعاء . وهى القراءة المشهورة « حفص » .
- (٨) بصيغة الماضى . وهى قراءة يعقوب . وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وهشام « بعد » بشديد العين المكسورة ، من التبعيد .
- (٩) سورة النور . آية ١٥ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .
- (١٠) ولقى : بفتح اللام . يلقى بكسرهما : أسرع . و « إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ » بكسر اللام أى : تسرعون فى قرأته بالسنتكم . وهى قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء .
- (١١) سورة يوسف . آية ٤٥ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .
- (١٢) الأمة : بفتح الألف والميم : التسيان . وهى قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وهى شاذة لم يقرأ بها أحد .

اختلاف القراءة
مع تغيير المعنى
والحروف وبقاء
صورة الكتابة

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة، دون إعرابها،
بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ ^(١) و ﴿ نُنْشِرُهَا ﴾ ^(٢) .
وقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٣) و ﴿ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٤) .

اختلاف القراءة
بتغيير صورة الكتابة
وعدم تغيير المعنى

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها
في الكتابة، ولا يغير معناها :

نحو قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٥) و ﴿ زَقِيَّةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٦)
و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَتَّقُوشِ ﴾ ^(٧) ، و ﴿ كَالْعِهْنِ ﴾ ^(٨) .

اختلاف القراءة
بتغيير المعنى
وصورة الكتابة

والوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها:
نحو قوله عز وجهه: ﴿ وَطَلَعَ مَنْضُودٌ ﴾ ^(٩) في موضع ﴿ طَلَحَ مَنْضُودٌ ﴾ ^(١٠) .

(١) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، و « نشرها » أى : نحيبها . وهى قراءة ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما . و « أنشره » الله تعالى : أحياء . ومنه قوله تعالى : « ثم إذا شاء أنشره » .

(٢) « النشر » بسكون الشين : المكان المرتفع . و « إنشاز » عظام الميت : رفعها إلى
مواضعها ، وتركيب بعضها على بعض . وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٣) سورة سبأ . آية ٣٣ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٤) وهى قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد .

(٥) سورة يس . آية ٢٩ ، وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٦) « زقية » : أى صيحة . وهى قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من القراء .

(٧) سورة القارعة . آية ٥ ، وهى قراءة شاذة .

(٨) « العهن » : الصوف . وهى القراءة المشهورة « حفص » .

(٩) سورة الواقعة . آية ٢٩ ، « والطلع » : ما يطلع من النخلة ، ثم يصير تمرا . وهى قراءة

شاذة ، لم يقرأ بها أحد .

(١٠) « الطلح المنضود » : الموز المرصوص . وهى القراءة المشهورة « حفص » .

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير .
 نحو قوله عز وجل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ^(١) ﴾ في موضع
 ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ^(٢) ﴾ .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان .
 نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ^(٣) ﴾ . ﴿ وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ^(٤) ﴾ .
 وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ^(٥) ﴾ . و ﴿ إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ^(٦) ﴾ .
 وقرأ بعض السلف ، رضوان الله تعالى عليهم : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ
 وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْثَى ^(٧) ﴾ . و ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ
 أَظْهَرُكُمْ عَلَيْهَا ^(٨) ﴾ .

« انتهى كلام ابن قتيبة »

وحكى الباقلاني عن بعض العلماء : أن وجوه القراءات ترجع إلى
 سبعة أشياء :

منها ما تتغير حركته ، ولا تتغير صورته ولا معناه . مثل : ﴿ وَيَضِيقُ ^(٩)
 صَدْرِي ﴾ . ﴿ وَيَضِيقُ ^(٩) ﴾ .

- (١) سورة ق . آية ١٩ ، وهي قراءة شاذة .
- (٢) وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- (٣) سورة يس . آية ٣٥ ، وهي قراءة عامر ، وحزة ، والكسائي .
- (٤) وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- (٥) سورة لقمان . آية ٢٦ ، وهي القراءة المشهورة « حفص » .
- (٦) وهي قراءة نافع ، وابن عامر .
- (٧) سورة ص . آية ٢٣ ، وهي قراءة شاذة . والقراءة المشهورة بدون لفظ « أنثى » .
- (٨) هي ليست بقراءة ، وإنما هو تفسير كتبه الكاتب . فظن الناقل أنه من القرآن خطأ .
- (٩) سورة الشعراء . آية ١٣ ، والقراءة المشهورة بالرفع . وقرأ يعقوب بالنصب ، على أنه عطف على « أن يكذبون » .

ومنها ما لا تتغير صورته، ويختلف معناه . مثل : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ . و ﴿ بَاعِدْ ^(١) ﴾ .

وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف . مثل : ﴿ نُثْثِرْهَا ﴾ . و ﴿ نُثْثِرْهَا ^(٢) ﴾ .

أو بالكلمة مع بقاء المعنى . مثل : ﴿ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ و ﴿ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ ^(٣) ﴾ .

أو باختلاف الكلمة ، واختلاف المعاني . مثل : ﴿ وَطَلَعَ مَنْضُودٌ ﴾ . و ﴿ طَلَعَ مَنْضُودٌ ^(٤) ﴾ .

أو بالتقديم والتأخير . مثل : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ . و ﴿ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ^(٥) ﴾ .

أو بالزيادة . مثل : ﴿ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجْةً أَنْتَى ^(٦) ﴾ . و ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ ^(٧) ﴾ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ لَهْدَنٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(٨) ﴾ .
« انتهى كلام الباقلاني »

(١) سورة سبأ . آية ١٩ ، والقراءة المشهورة « باعد » بصيغة الطلب والدعاء . و « باعد » بالفعل الماضي ، قراءة يعقوب .

(٢) سورة البقرة . آية ٢٥٩ ، وهي قراءة ابن عباس ، والقراءة المشهورة بالزاي .

(٣) سورة القارعة . آية ٥ ، والقراءة المشهورة « كالهن » والصوف : هو العهن أيضا .

(٤) سورة الواقعة . آية ٢٩ ، والقراءة المشهورة « وطلع » بالحاء . أما بالعين فقراءة شاذة .

(٥) سورة ق . آية ١٩ ، والقراءة المشهورة « سكرة الموت بالحق » أما الأخرى فشاذة .

(٦) سورة ص . آية ٢٣ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « أنتى » .

(٧) سورة الكهف . آية ٨٠ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « كافرا وكان » .

(٨) سورة النور . آية ٣٣ ، والقراءة المشهورة بدون زيادة « لهن » .

ما قيل في معنى
الأحرف السبعة

وقال قوم : إنها : الحلال ، والحرام ، والمحكم ، والمتشابه ، والأمثال ،
والإنشاء ، والإخبار .

وقال غيرهم : إنها : الناسخ ، والمنسوخ ، والخاص ، والعام ،
والجمل ، والمبين ، والمفسر .

وقال آخرون : إنها : الأمر ، والنهي ، والطلب ، والدعاء ،
والخبر ، والاستخبار ، والزجر .

وقال جماعة : إنها : الوعد ، والوعيد ، والمطلق ، والمقيد ،
والتفسير ، والإعراب ، والتأويل .

القراءات ليست
هي السبعة أحرف

وقد زعم بعض القراء : أن معنى حديث « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى
سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ » هو القراءات السبع .

وهذا القول إن دل على شيء ، فلا يدل إلا على سعة جهل قائله ،
وقلة تبصرهم .

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن ، هي التي
أريدت في الحديث . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن
ذلك بعض أهل الجهل .

القراءات ليست
هي السبعة أحرف

وقال مكي : من ظن أن قراءة هؤلاء القراء ؛ ككافع ، وعاصم ،
وأماهم ؛ هي الأحرف السبعة التي في الحديث ، فقد غلط غلطا عظيما .

كانت القراءات
للتيسير

والذي يدل تمام الدلالة على أن القراءات لم تكن إلا للتيسير : ما رواه
الترمذي ، عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه . قال : « لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل ، فقال : يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين ، منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط . قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

ومعنى ما تقدم من الأحاديث في هذا الباب : أن القرآن قد أنزل بسبعة أوجه ، وذلك بسبب اختلاف ألسنتكم ، ولهجاتكم ، وضعفكم ، وأميتكم . فاقروا ما تيسر لكم من هذه الأوجه ، وما كان سهلاً عليكم ، قريباً من نطقكم وفهمكم .

وذلك لأنه لو أراد كل فريق من المسلمين ، أن يزول عن لفته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً ، وناشئاً ، وكهلاً ، لأشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ثم لم يمكنه ذلك ، إلا بعد رياضة طويلة للنفس ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة . فأراد الله عز وجل بطفه ورحمته : أن يجعل لهم متسعاً في اللغات ، ومتصرفاً في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين .

ومن عجب أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « فاقروا ما تيسر منه » ، ونحن نأبى إلا أن نقرأ ما تعسر منه على ألسنتنا ، وشذ على أسماعتنا ، وشق على أفهامنا .

ويؤخذ أيضاً من معاني الأحاديث التي تقدمت في هذا الباب ، ومما قدمناه : أن هذه القراءات ، جعلت للتسهيل والتيسير .

قراءة القرآن
حسب الاستطاعة

(١) هو بحرفه في الحديث الذي قدمناه في « اختلاف عمر مع هشام بن حكيم في القراءة » وهو بلفظه في القرآن الكريم سورة المزمل . آية ٢٠

بل وأكثر من هذا فقد جاء في الحديث الأخير ، الذى رواه الترمذى ،
ما يفيد جواز قراءة الأُمى — الذى لم يقرأ كتابا قط — للقرآن ، قدر طاقته
وحسب استطاعته .

ويكون المقروء قرآنا ، له حرمة ومكانته . ويصح العمل به ، والتعبد
بتلاوته .

وبهذا يبطل ما يدعيه القراء ، من وجوب القراءة بطرق معينة ،
ومدود مقدرة ، وقفلة ، وإدغام ، وإشمام . إلى غير ذلك مما هو مدون
في كتبهم أراحنا الله تعالى منها .

تضييق القراء
وتعسفهم

وقد بلغ من تضييق القراء وتعسفهم : أن جعلوا القرآن الكريم ، السهل ،
السمح ، الميسر للتدبر والتفكر : صعبا ، شديدا ، مغلقا ، مبهما .

لقد شددوا تشديدا كبيرا ، وضيقوا تضييقا بالغا ، بدرجة جعلت قراءة
القرآن وقفا عليهم هم . في حين أنه قد نزل لسائر الناس ، وطلب العمل
بما فيه من سائر الناس .

لقد صعبوا كتابته ، وتلاوته ، والنطق به . مع أنه لم يزد عن كونه
كلاما عربيا ، يتركب من الأحرف التى يتركب منها سائر كلام العرب ،
ويُنطق به كما تنطق العرب بكلامها : ﴿ الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ ، الـرَّتِلْكَ
آيَاتُ الْكِتَابِ ، المرَّتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾^(١) .

(١) أى : إن هذا الكتاب المعجز ، وتلك الآيات البليغة : لا تخرج عن كونها مكتوبة
من أحرف كحروفكم تماما : من ألف ، ولام ، وميم . وألف ، ولام ، وراء . وألف ، ولام ،
وميم ، وراء ، وهكذا .

وقد بلغ من تضيقهم : أن جعلوا بآخر المصحف ^(١) تعريفا لإرشاد القراء إلى الأحرف المزيدة ، والأحرف التي تزداد وصلا لا وقفا ، والإدغام ، والإشمام ، والإخفاء ، والمد ، والإمالة . إلى ما لا نهاية له من العنت والضيق ، والتحكم .

وسنورد مثالا لذلك ليعلم القارئ الحكيم ، مقدار عبثهم واستبدادهم :

جاء في تعريف الإشمام — بآخر المصحف — ما يأتي :

الإشمام

ووضع النقطة الخالية الوسط ، فوق آخر الميم ، قبيل النون المشددة ، من قوله تعالى : ﴿ مَالِكٌ لَا تَأمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ^(٢) ﴾ . يدل على الإشمام . وهو ضم الشفتين ، كمن يريد النطق بضممة ، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق .

فبربك أيها القارئ المنصف : ما لزوم ضم الشفتين ، كمن يريد أن ينطق بضممة ، من غير أن يظهر أثر ذلك في النطق ؟

أريد القراء أن يقوم المسلمون — أثناء تلاوتهم قانونهم الأسمى ، وكتاب ربهم الأعلى — بحركات بهلوانية ، غير مفهومة ، وغير معلومة . بل وغير لازمة ، لحركات القردة والمهرجين ؟

وإلا فما معنى أن ينطق الإنسان بالحرف مفتوحا ، ثم يطم شفتيه كمن يريد أن يضم الحرف ، بشرط ألا يظهر أثر ذلك الوضع العجيب في النطق ؟

(١) وهو المصحف الذي طبع بمصر ، وأشرف على طبعه ووضعه شيخ المقارئ السابق المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني .

(٢) سورة يوسف . آية ١١

إنني أقولها في صراحة الحق ، وجرأة الحق : إن ما يقولونه — ويريدون أن يلزموا به سائر المسلمين — باطل ، مردود ، سمج ، مردول ، ممجوج . لا يرضى به منزل القرآن جل وعلا ، ولا من نزل عليه القرآن ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، ولا من نزل إليهم القرآن من العقلاء المكلفين .

وهو من العبث ، الذي يجب أن تصان عنه أفعال الراشدين .
ومن العجيب أن يصرح شيخ المقارئ المصرية السابق — في مؤلف^(١) له — بأن أخذ القرآن من المصحف لا يجوز ، ولو كان مضبوطا . وهذه جرأة عظيمة على الحق ، واحتكار لكتاب الله تعالى الذي أنزل للعامة قبل الخاصة ، ولجهال قبل العلماء ، وللأشقياء قبل الأتقياء .

وقد قرأت له أيضا مقالا بجريدة الأهرام الصادرة في ٢٧ شوال عام ١٣٥٦ ذكر فيه ما نصه :

ولا ينبغي أن الشيء ينعدم بانعدام ركنه ، فلا يكون المكتوب بغير الرسم العثماني ، ولا المطلوبدون مشافهة ، ممن تلقاه بالسند المتصل بالحضرة النبوية ، قرآنا . وتاليه كذلك آثم ، لأنه أخرجه عن قرآنيته .

« انتهى كلام الشيخ رحمه الله »

وهو بقوله هذا يقتزر أن المكتوب في سائر المصاحف — عدا المصحف الذي قام بوضعه — ليس قرآنا ، وأن القارئ في المصحف — سواء في ذلك المصحف العثماني أو غيره — ليس بقارئ للقرآن ، ولا يكون القرآن

(١) هو المرحوم الشيخ محمد خلف الحسيني ، الذي أشرف على إخراج المصحف الجديد برسمه الحالي .

ما يقوله القراء
باطل مردود

رأى كبار القراء
في قراءة القرآن
ورسمه

قرآنا ؛ إلا إذا تلقيناه عن أحد شيوخ المقارئ ، أو من في حكمهم ، وأن القرآن لا يكون قرآنا ؛ إلا إذا كتب بالرسم الذى ابتدعه شيخ المقارئ ابتداء ، واختره اختراعا ، وأراد أن يلزم به المسلمين قاطبة ، ويضطرهم إليه . وهذا ما لم يقل به أحد ممن يُعتمدُ برأيه ، ويهتدى بهديه .

وها هى دار الكتب المصرية ، ودور الكتب العامة فى سائر الأقطار والأمصار ، ملأى بنسخ من المصحف الكريم ، يرجع تاريخها إلى أقدم العصور ، وخير القرون . ولا توجد بها هذه الأوضاع السقيمة ، وتلك الرموز العقيمة .

نسخ المصحف
بسائر الأقطار
ليست كصحفنا

وكيف يجوز لإنسان بالغ ما بلغ ، وكائنا من كان ؛ أن يجعل القرآن المكتوب — على غير ما رسمه هو — ليس بقرآن ، والقرآن المتلو — على غير تلاوته هو — ليس بقرآن .

وليس معنى هذا : أنا نجيز قراءة القرآن لمن لم يتعلم القراءة والكتابة على وجهها الأكمل ؛ فمثل هذا لا تصح قراءته للقصص والجرائد — فضلا عن القرآن الكريم — أما من استطاع القراءة فى الكتب العربية وتفهمها ، فلا حرج عليه مطلقا ، فى أن يقرأ القرآن جهدا طاقته ، وأن يتعبد بتلك القراءة ، وأن يقرئها غيره ، من الأميين الذين لا يقرأون ، ولا يكتبون .

كيفية قراءة
القرآن

من المعلوم بالضرورة : أن الحروف ما جعلت إلا لتتكون منها الكلمات ، والكلمات ما جعلت إلا للدلالة على معانٍ مخصوصة . وليس للحروف ، ولا للكلمات وظائف غير ذلك .

تنطق الفزاء
فى مخارج الحروف

فمن التناطح السميع ، والتعسف البارد : أن يتمسك القراء بخارج خاصة للحروف ، غير المخارج الطبيعية ، بدرجة لا تمكن الإنسان من النطق . اللهم سوى من روض نفسه ، وعود لسانه ، على إخراج أحرف معينة ، بصعوبة شديدة ، ليس من الدين ، ولا من القرآن في شيء ، التمسك بها ، وإبطال ما عداها .

وإذا شئت أيها المتأمل المنصف ؛ دليلاً على ما أقول ، فما عليك إلا أن تراقب بعض الناس في صلاتهم ، عند ما يصلون من الفاتحة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فإنك تجد أكثرهم وقد رددها هكذا «وَلَا الضُّ ... وَلَا الضُّ ... وَلَا الضُّ ...» وهكذا يظل يردد ، إلى أن يفتح الله تعالى عليه بإخراج باقي الكلمة ، لا من لسانه فقط ، ولا من فمه وحلقه فحسب ؛ بل من قعر بطنه . ويصير مثله في ذلك ، كمثل من يريد أن يتقياً ، لا أن يقرأ القرآن ، ويتقرب للرحمن .

ويظل المصلى في صلاته هكذا : يراعى مخارج الحروف المتعسفة . كأنه يشتغل بصناعة فنية ، متعبة ، مؤلمة . حتى يخرج بذلك عن معنى الصلاة ، وعن معنى قراءة القرآن ، وعن معنى العبادة ، وعن معنى الوقوف بين يدي الله تعالى . وتنصرف عنه ، وعن قلبه ، وعن ذهنه كل هاتيك المعاني ، ولا يبقى معه سوى الصناعة الرديئة ، والإجادة المتكلفة .

وعلم الله تعالى ، أن هذه ليست بصناعة ولا بضاعة ، وليست بإجادة ولا إفادة .

أثر تعسف القراء
في صلاة العامة

وهل من القرآن : الخروج عن معاني القرآن ، والتمسك بالفاظه
ومخارج حروفه ؟

وهل من العبادة : الانشغال عن لب العبادة ، والتمسك بقشورها ؟
وهل من آداب الوقوف بين يدي الله تعالى : الانصراف عنه بمثل هذه
الصورة ، التي تدل على عدم المعرفة به ، والجهل بآداب الوقوف بين يديه ؟

قال الغزالي رضي الله تعالى عنه : أكثر الناس قد منعوا من فهم
القرآن ، لأسباب ومُجِبِّ سُدِّهَا الشيطان على قلوبهم ، فعميت عليهم
عجائب أسرار القرآن .

رأى الغزالي

منها : أن يكون لهم منصرفا إلى تحقيق الحروف ، بإخراجها من
مخارجها ، وهذا يتولاه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم عن فهم معاني كلام
الله تعالى .

صرف الشيطان
عن معاني القرآن

فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف ؛ يُحَيِّلُ إليهم أنها لم تخرج من
مخارجها . فلهذا يكون تأملهم مقصورا على ذلك ، فأني تنكشف لهم المعاني ؟
وأعظم ضحكة للشيطان : من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس .

ثم قال : وتلاوة القرآن حق تلاوته : أن يشترك فيه اللسان ،
والعقل ، والقلب .

تلاوة القرآن
حق تلاوته

فخط اللسان : تصحيح الحروف ، وحفظ العقل : تفسير المعاني ، وحفظ
القلب : الاتعاظ ، والتأثر ، والانزجار ، والانتهاز .
فاللسان يرتل ، والعقل يتزجر ، والقلب يتعظ .

وقد أجمع علماء القراءات، على أن التجويد : هو عدم الإخلال بالمعنى والإعراب^(١).

وهذا بخلاف ما يزعمه قراء اليوم، من أن التجويد : هو ما يزعمونه من الغنّ، والمدّ، والقلقلة، والإشمام، وغيره.

ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم "رُبَّ قَارِيٍّ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ"^(٢).

وقد غاب عنهم أن القرآن يلعن غير العاملين به وبأحكامه، ويلعن أيضا المذنبين عن معانيه ومبانيه، وأوامره ونواهيه، بخزعاتهم وترهاتهم.

وهناك ما أسموه تسهيفا. وهو من أصعب الصعب : فلو أن مسلما قرأ في مصحفهم قوله تعالى : ﴿الْعَجْمِيُّ وَعَرَبِيٌّ﴾^(٣) بإظهار الهمزتين، أو ﴿الْعَجْمِيُّ وَعَرَبِيٌّ﴾^(٤) بإبدال الهمزة الثانية ألفا : يكون في نظرهم مخطئا وآثما.

تعسف القراء.
في التسهيل

وذلك لأن القراء يحتمون — وأقول القراء، لأنني على تمام اليقين أن هذا التحتم من القراء فحسب، لا من الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه، ولا من منزل القرآن جل وعلا — يحتمون قراءة هذا اللفظ، بهيئة مخصوصة، ونطق معين، لا يستطيع أداءه سواهم. وهذا ما لم يقل به أحد من عقلاء المؤمنين.

(١) وقد قال بذلك : شيخ الاسلام زكريا الأنصاري وغيره.

(٢) سورة فصلت . آية ٤٤، وهي قراءة حمزة، والكسائي، وشعبة.

(٣) وهي قراءة ورش.

(٤) وذلك بالنسبة لقراءة حفص.

فالقراء يريدون أن ينطق المسلمون جميعا بهذه الكلمة — كما رسموها في مصحفهم — هكذا : ﴿اعْجَمِي^(١)﴾ بشرط ألا يكون نطقها ﴿اعْجَمِي^(٢)﴾ باظهار الهمزتين ، ولا ﴿اعْجَمِي^(٣)﴾ بتسهيل همزة الاستفهام ، ولا ﴿اعْجَمِي^(٤)﴾ بإبدال الهمزة الثانية هاء ، ولا ﴿اعْجَمِي^(٥)﴾ بإسقاط الهمزة الأولى .

وإني أتحدى سائر القراء أن يوجدوا لنا واحدا من البشر ؛ يستطيع أن ينطق هذه الكلمة كما يريدون .

وحيث أننا وصلنا إلى هذه الدرجة من التعسف ، والمشقة ، والعنت ؛ فلا أقل من أن نجاهر بأن هذا لا يرضى به الله تعالى ؛ وقد أنزل كلامه لسائر البشر . فلا يرضيه أن يظل القرآن موقوفا على طائفة مخصوصة ، لا يبلغ عددها واحدا في كل عشرة من الملايين . وهو القائل : ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلَّذِ كُرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ^(٦)﴾ .

ولا يخفى أن معنى تيسيره : تيسير قراءته ، وتيسير فهمه ، وتيسير كتابته ، وتيسير نطقه ، وتيسير حروفه .

وتعالى الله من أن يكلف عباده ما يحرجهم ، أو يشق عليهم . وترى القراء — أثابهم الله — يلزمون القارئ للقرآن ؛ بأشياء مرهقة ، لم ينزل الله تعالى بها سلطانا : كالإظهار ، والإدغام ، والإقلاب ، والإخفاء ،

تعسف القراء
في المذ وغيره

(١) وهي القراءة المشهورة « حفص » .

(٢) وهي قراءة حمزة ، والكسائي ، وشعبة .

(٣) وهي قراءة ورش .

(٤) لم يقرأ بها أحد من العشرة . (٥) وهي قراءة ابن عامر برواية هشام .

(٦) سورة القمر . آية ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠ .

والإشتمام ، وغير ذلك مما لا حاجة لأحد في حفظ اسمه ؛ فضلا عن إتقانه وعلمه ، ودراسته وإجادته .

ويلزمونهم أيضا بمدود معينة ، قد وزنها بموازين في أدمغتهم ، ليس لها أصل في العلم أو الدين ، ولم يقل بها أحد من السلف الصالح ، أو الخلف الراشد .

ويفرطون في هذه المدود إفراطا معيبا ، بل ويجعلونها واسطة لأداء النعمات على وجهها ، ضارين صفحا عن صحة الأداء ، وإظهار معاني الكلمات ، مضيعين بذلك بهجة الألفاظ ورونقها .

فمن ذلك إفراطهم في المدة الذي قبل الهمز ؛ وهو في الواقع لا أصل له إطلاقا . بل كل ما يطلب من القارئ أن يمد بالقدر الذي يكفي لإظهار الهمز ، وإخراجه من مخرجه . وهذا لا يحتاج إلا لمدة قليل جدا ، لا يبلغ عشر ما يفعلونه ، وما هو مدون في كتبهم .

ويقررون أن من هذه المدود ما هو متصل : وهو الذي يقع قبل الهمزة متصلا بها في نفس الكلمة . نحو : (جَاءَ) ، و (قُرُوءٌ) ، و (سَمَاءٌ) .

ومنها ما هو منفصل . وهو الذي يقع قبل الهمزة منفصلا عنها في كلمة أخرى . نحو : (قُولُوا آمَنَّا) و (فِي آمَنَّا) .

ومنها ما هو لازم ، وينقسم ذلك المدة اللازم إلى قسمين : كليي وحرفي ، وهما مُتَقَلَّانَ وَمُخَفَّفَانِ ، وغير ذلك مما هو مدون في كتبهم ، منتثلة به أدمغتهم ، ناطقة به ألسنتهم .

مقادير هذه المدود

ويقدرّون كل نوع من هذه المدود بمقادير معينة ، وحركات خاصة ، يعدّونها على أصابعهم بهيئة تتناهى مع إنسان عاقل رشيد ، يقرأ كتاباً عربياً ، سهلاً ، سمحاً ، غضياً .

فالمتصل : يقدرّونه بأربع أو خمس حركات . والمنفصل أيضاً بأربع أو خمس . واللازم بست حركات .

ويظلّ القارئ يتلو القرآن ، حتى يصل بقراءته إلى أحد هذه المواضع ، فيعدّ على أصابعه تارة ، وينحسّر العدد المطلوب أخرى . ويدع التأمل في معاني ما يقرأ ، ويشغل نفسه وحسه ، في مراعاة المدّ تارة ، والغنّ أخرى ، والإعلال ، والإبدال ، والإدغام ، والإشتمام . إلى ما لا نهاية له من الأشياء التي لم يلزمنا الله تعالى بها ، ولم يأمرنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه باتباعها .

المبالغة في الغنّ

وتراهم أيضاً يبالغون في الغنّ بدرجة كبيرة ، تجعل القارئ يطقّ كطين الذباب . ويرون أنهم بغير هذا لا يكونون قد أدّوا القراءة على وجهها الأكمل .

وقد روى عن حمزة — وهو من كبار القراء ، وأحد السبعة — أنه قال لقارئ سمعه يبالغ في الغنّ — وربما كان دون غنّ كثير من قرائنا الآن — قال له : أما علمت أن ما فوق البياض برص ، وما فوق الجعودة ^(١) ققط ^(٢) ، وما فوق القراءة ليس بقراءة .

(١) الشعر الجعد : الذي فيه النواء وتقبض . وهو خلاف المسترسل .

(٢) شعر ققط : شديد الجعودة . وفي التهذيب : الققط : شعر الزنجي .

ونحن إذا وافقنا القراء فيما ذهبوا إليه : لتركنا الحكمة التي من أجلها
نزل القرآن . وهي التأمل والتدبر ، والتذكير والتذكرو ، والتفكير في معانيه ،
والبحث في مرامييه ، والعمل بما جاء فيه .

وإلا فالفائدة من المحافظة على هذه الأشياء الشكلية المتكلفة ؛ إذا
نحن تركنا روح القرآن ولبه ، والتفهم لعباراته ، والتنبيه لإشاراته .

فالقرآن الكريم لم ينزل لمحض التبسك به في المنازل ، واستجلاب
الرحمات به في المقابر ، والتحنن به في سهرات المآتم ، وترديد كلماته ،
وسرد صفحاته ، وتعداد آياته ، ومراعاة مدوده ، والمحافظة على غنائه ،
وملازمة سكتاته .

إنما نزل القرآن لتقف على أسرارده ، ونسير في أضوائه وأنواره !

ونحن إذا سامعنا جدلا بصحة جميع ما يقرأ من القراءات ؛ فإننا لا نسلم
بجواز تلاوتها على من لا يعرفونها ، ولا يدرونها .

والقراءات — كما قدمنا — نزلت على ألسنة القبائل ولهجاتهم ، تلطفا
بهم ، وتسهيلا عليهم ، وتقريبا لأذهانهم . لأنهم لو سمعوا القرآن بلهجة غير
لهجته ، ربما ثقل ذلك على أسماعهم ، فأراد الله تعالى — رحمة بعباده —
ألا يكلم أحد إلا باللهجة التي سكن إليها ، ودرج عليها .

غير أن قراء مصر — أنابهم الله تعالى — قد تباؤوا في إسماع بنيها ما لم
يعتادوه ، ولم يألوه . بل ولم يستطيعوا نطقه من القراءات ؛ التي هي بعيدة
كل البعد عن لهجة مصر ، ولغة مصر .

حكمة نزول القرآن

عدم جواز القراءة
على من لا يعرفونها

القراء في مصر

والذى يناسب مصر من القراءات : هى قراءة حفص^(١) ، غير بضع كلمات قرئت بالإمالة .

ما يناسب كل قطر
من القراءات

وهى تناسب أيضا تركيا ، والهند ، وجاوه ، وأغلب البلدان الشرقية .

كما أن قراءة ورش^(٢) تناسب بلاد المغرب .

وقراءة أبى عمرو^(٣) تناسب بلاد السودان .

وهكذا كل قراءة من القراءات : تناسب طائفة من الناس ، وقطرا من الأقطار .

وهذا لا يناق ما قدمناه من نقد بعض القراءات ، التى ثبت عدم صحتها لغة ، وعدم وجود من يقرأ بها ماضيا وحاضرا .

فما بال القراء يلزموننا سماع تلك القراءات ؟ ويتعبون العامة بتكليفهم قراءتها فى مصر ، فهم ما لم يكلفهم الله تعالى به ؟

وما لنا وتفخيم اللامات ، وترقيق الراءات ، وإبدال الأحرف مكان الأخرى ، وإدغامها فى بعضها ، حتى ليكاد السامع لا يفهم ما يقال ، وهو من أرقى الكلام ، وأحسن النظام !

(١) هو حفص بن سليمان الكوفى ، وهو غير حفص الدورى ، الراوى عن أبى عمرو ، والكسائى .

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عدى المصرى ، وقد كان من كبار القراء والفقهاء . وقد بلغ نهاية الصلاح والتقوى . وغلب عليه لقب ورش . وأصله من القيروان (مدينة بالمغرب) ومولده ووفاته بمصر .

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء .

هذا غير تعسفهم في الفن والمد ، بما يخرج الكلام عن تلاوته ،
واللفظ عن حلاوته .

فتراهم يمحطون الأحرف ، ويمضغون الكلمات . وهم في كل ذلك
مقيدين بفن القراءة — في عرفهم — ولا يزالون يجودون ، ويعتدون المد
على أصابعهم ، ويصرفون كل همهم ، ويبدلون كل همهم في ذلك ؛
بحيث يشغلهم عن تدبر معاني كتاب الله تعالى ، ويصرفهم عن الخشوع
في تلاوته .

ويعلم الله تعالى أن القرآن لم ينزل لتسخذه فئة من الناس صناعة لهم ،
فيقرأون بما لا يفهم الناس ، ولا يفهمونه هم أنفسهم ، ويعتقدون أنه هو
القرآن . وإذا قرأه غيرهم بما لا تهوى أنفسهم ؛ قالوا : انه ليس بقرآن ،
وليس له حرمة القرآن .

ويستدلون على تفننهم في هذه القراءة ، وغنم ، ومدهم ، وإدغامهم ،
وتمطيظهم ، وقلقلتهم ، بقوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ^(١) ﴾ .

وقد غاب عنهم أن هذه الآية بعيدة كل البعد عما يرمون إليه ، لأن
المقصود منها : القراءة ببطء وتأناً ؛ حتى تفهم وتعلم . أو المراد : كثرة
التلاوة ، والدأب على القراءة .

أفرايتم لو أن أعرابياً أراد أن يقول : هؤلاء القوم . أو : يا أيها
الناس ، أو ما أشبه ذلك ؛ أكان يمد في قوله هذا ، كما يمد هؤلاء القراء ،

القراءة يجب أن
تكون كما تنطق
العرب

(١) سورة المزمل . آية ٤

الذين قسموا مدتهم الى اقسام : متصل ، ومنفصل ، وكلي ، وحرفي ،
ومثقل ، ومخفف ، وغير ذلك مما يعي الذهن ، ويوهن العقل .

لقد أنزل الله تعالى القرآن عربيا ، وهياها للتلاوة ، ويسره للذكر ،
وقال يا معشر الناس : لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر .

فانظروا كيف تنطق العرب بكلامهم ، وانطقوا بالقرآن بمثل
ما تنطق ، وإلا فما تقرأون به هو الخطأ ، وما تتكلم به العرب هو الصواب .

لقد بلغ من تعسف القراء أنه لو قرأ القرآن أمامهم مسلم ، ونقص
في أحد المسدود ، أو زاد فيها ، أو قصر في غن ، أو إثم ، أو إبدال ،
عنفوه وأسكتوه ، ونسبوه — لا للخطأ فحسب — بل للكفر والعصيان ،
والخروج على تعاليم الرحمن . ويعلم الله تعالى أيهما الحق ، وأيهما المبطل ،
وأيهما المخطئ ، وأيهما المصيب !

القراء يكفرون
من لا يقرأ على
قواعدهم

ومن عجب أن يقول القرآن للمسلمين : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) ، وذلك لتعليمهم كيف
يجادلون الكفار وأهل الكتاب . ويزعم القراء أن سائر المسلمين آثمين
لعدم قراءتهم القرآن بطريقهم التي اخترعوها وابتدعوها .

وهل لو تكلم أمانا عربي فخ فصيح — وهو الذي يعتبر بحق حكما
في النطق بالألفاظ ، ومرجعا في الأداء — أكان يمد في ألفاظه بمثل
ما يمدون ، ويتعسف بمثل ما يتعسفون ؟

كلام العرب

ولو أن أعرابيا . قال — مثلا — : هؤلاء القوم . أكان يقولها كذلك ، أم كان يقولها : « هـ ... هؤلاء القوم » كما يزعم القراء ؟

ومن عجب أنهم يتغالون في التمسك بما يسمونه (القلقلة) ويحددون حروفها بخمسة ، يجمعها لفظ « قطبجد » فأى حرف جاء ساكنا من هذه الأحرف وجبت إمامته الى الكسر .

نعم ان هناك أحرفا لا يستطيع الإنسان النطق بها سهلة ، إلا إذا قلقلها من تلقاء نفسه بدون إرشاد .

وتوجد بالقرآن كلمات تنطبق على قياسهم المتقدم ، إلا أنها تشوه تشويها كبيرا لو نطق بها مقلقلة .

وذلك كقوله تعالى : ((بِالْعَدْلِ)) و ((تَطَّلِعْ)) و ((يَطْهَرْنَ)) . فإن هذه الأحرف لو قلقلت ؛ لصارت ثقيلة على اللسان والآذان ، محزنة في النطق .

وقد تغالى جلّ القراء — إن لم يكن كلهم — في القلقلّة ، حتى أنهم ليكسروا الحرف كسرا ، وبلغ من تعسفهم أنهم لو سمعوا قارئاً ينطق بالحرف ساكنا حركته الأصلية ؛ خَطَّؤُوهُ وأسكتوه ، بل وكَفَّروهُ . في حين أنهم يسمع بعضهم بعضا في القراءة وهم ينطقون بالحرف المقلقل ظاهر الكسر ، فلا يعيب أحدهم على ذلك . مع أن هذا فيه فساد للبنى ، وللنطق ، وللعربية التي نزل بها القرآن .

وتراهم أيضا لا ينطقون الجيم من مخرجها الطبيعي ، المعروف المعتاد ، بل يقولون بوجوب تعطيشها .

تعسف القراء .
في تعطيش الجيم

وتعطيشها عندهم : أن يُمِيلُونَهَا إلى الشين . فتصير **يَيْنَ يَيْنَ** . إلا أنهم يتغالون في ذلك ؛ حتى تصير الجيم أقرب منها إلى الشين .

هذا في حين أن الجيم إذا عطشت كما يرغبون : خرجت من عمر بيتها ، وصارت حرفا أعجميا : جيم تركية (ج) ، أو جيم افرنجية (G) .

وإذا سمعوا أحد القراء لا يراعى بعض هذه القيود ، التي وضعوها ظلما للقرآن ؛ من تعسف في المد ، وإفراط في القلقلة ، وتشويه في الإدغام ، وتخريف في الإشمام ؛ لا يستمعون لقراءته ، ولا يراعون للقرآن حرمة ، ويلغون فيه . لأنه ليس بقرآن في زعمهم .

ويعلم الله تعالى أنه هو القرآن ، وأن ما يتصنعونه — بتكلفتهم وتعسفاتهم — ليس من القرآن في شيء . وإنما هو من التنطع المنقوت . وفي الحديث الشريف : « **هَلَّاكَ الْمُنْتَطَعُونَ^(١)** » .

وترى القراء أيضا يلزمون القارئ بالسكت في مواضع من القرآن ، نستطيع أن نقول : إنها تشوه المعنى تشويها كبيرا ، وتفقد الألفاظ جمالها ، وحسن تنسيقها .

السكت الوارد في المصحف

فمن ذلك السكت عند قوله تعالى : « **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ^(٢)** » . فإنهم يسكتون بين « بل » و « ران » .

هذا في حين أن « كلا » حرف ردع وزجر ، و « بل » للاضراب ، وإبطال ما سبق وإثبات حكم غيره ؛ وهو : « **رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ^(٢)** » ، أي غطى عليها .

(١) المنتطعون : هم المتعمقون الغالون ، الذين يتعمقون في نطقهم .

(٢) سورة المطففين . آية ١٤

فكيف يسوغ الفصل بالسكت، بين : (بَلْ) التي أحد معانيها : إثبات حكم آت ، وبين هذا الحكم . الذي هو : (رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) ؟

ومن ذلك أيضا سكتهم عند قوله جل شأنه : (وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ) .
فإنهم يسكتون بين « من » و « راق » .

السكت عند
« وقيل من راق »

هذا في حين أن « من » مبتدأ ، و « راقٍ » خبر . ولا يجوز الفصل بين المبتدأ والخبر بحال .

وهذه السكّات لا معنى لها إطلاقا ، ولا حجة لهم عليها ، سوى أنهم تلقوها من القراء هكذا .

ولعل أصل هذه السكّات : أن أحد القراء القدماء تنفس بين الكلمتين ، أو ابتلع ريقه ، أو عاقه عن متابعة القراءة عائق ؛ فقلدوه في ذلك بغير فهم ولا علم .

أصل السكت

أما ان الله تعالى أنزله هكذا ، وجبريل عليه السلام أقرأه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا السكت ؛ فهو ما لا نسلم به مطلقا ، ولا تجيزه اللغة العربية .

وقد اعتاد كثير من القراء التزام الوقوف على رؤس الآي ، والابتداء من أوائلها بدون مراعاة المعنى ، ولا مراعاة الاحتياج الى الوصل .

الوقوف على
رؤس الآي
ليس بسنة

وحجتهم في ذلك أن الوقوف على رؤس الآي ؛ سنة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد فاتهم أن الرسول عليه السلام ، إنما وقف عليها ؛ ليعلم مكانها .
وَلِتُذَوِّنَ الْفَوَاصِلُ ، وتعد الآيات .

ولولا وقوف الرسول عليه السلام على رؤس الآي ؛ لما علمنا : كم آية
نزلت ، ولما أدركنا مواضعها ، وأمكنتها ، وأوائلها .

ولا شك أن الرسول الأمين ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، كان
يقف على رأس كل آية ؛ فيصل ما يستحق الوصل ، ويدع ما يكون قد
اكتملت معانيه ، واستتمت مراميه .

وجوب وصل
يستحق الوصل
ما عند الفواصل

أما المحافظة على الفواصل ، لمجرد أنها رؤس آي فحسب ، بدون مراعاة
لحسن النظم والثامه ، وارتباطه بما قبله ؛ فليس من الحكمة ، ولا من
البلاغة في شيء .

وإن من الآيات ما يكون الابتداء به على جانب كبير من الخطأ ، اذا
لم يوصل بما قبله ؛ ليطم المعنى ، ويبين المغزى .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) . فإنها رأس
آية . فاذا ما وقف عليها القارئ ، وابتدأ في الآية التي تليها بدون
وصل ؛ لفسد المعنى ، واضطرب النظم . وهي قوله تعالى : ﴿ مِنْ دُونِهِ
فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾ .

الفصل بين
الفعل ومتعلقه

ولكنه لو وصل وقرأ : ﴿ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾
لاستقام المعنى ، وضح النظم ، وحسن الترتيب .

وذلك لأن ﴿تُشْرِكُونَ﴾ : فعل ، و ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ : متعلق الفعل .
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) .
فان هذه الآية لها معنى مستقلا . ولكنا لو قرأنا ما بعدها من الآيات ؛
لوجب علينا الوصل حتما .

وذلك لأن الآية التي تليها : ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ . فإذا يفهم من الآية
الأخيرة ؛ إذا قرئت استقلا بدون وصل ؟ مع أن المعنى لا يستقيم إلا
إذا قرئت : ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ متصلة .

وذلك لأن : ﴿تَعْلَمُونَ﴾ : فعل ، و ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ : متعلق الفعل ،
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾^(٢) . فإذا قرأنا ما بعدها
بدون وصل ؛ لما صح المعنى . لأن ما بعدها لازم لها ، وينقطع الكلام
بدونه . وهو قوله : ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ . بل يجب أن يقرأ : ﴿غُلِبَتِ
الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ .

وذلك لأن : ﴿غُلِبَتِ﴾ : فعل ، و ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ : متعلق
بـ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ . ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا
كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٣) . فإذا قرأنا ما بعدها بدون وصل ؛ لما وضع له معنى .

(١) سورة النحل آية ٤٣ . (٢) سورة الروم آية ١ .

(٣) سورة الصافات آية ٢٢ .

وهو قوله جل شأنه : ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ .
بل يجب أن يقرأ : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وذلك لأن ﴿ يَعْبُدُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ : متعلق به ،
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾^(١) .
وهي رأس آية . فاذا ما بدأنا بما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
لَمَّا فُهِمَ له معنى ، وَلَكَانَ مُشَوَّهًا مُشَوَّشًا .

وذلك لأن ﴿ تُشْرِكُونَ ﴾ : فعل ، و ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ متعلق به ،
ولا يجوز الفصل بين الفعل ومتعلقه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾^(٢) . فانه لو وقف
عليها وبدأ في الآية التي تليها بدون وصل ؛ لما جاز .

الفصل بين المستثنى
والمستثنى منه

وذلك ، لأن ما بعدها : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ . ومن المعلوم أن
﴿ إِلَّا ﴾ : أداة استثناء ، و ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ : مستثنى منه . ولا يجوز الفصل
بين المستثنى والمستثنى منه .

ومن ذلك أيضا قوله جل شأنه : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(٣) .
فان هذه الآية لا تستقيم إلا إذا وصلت بما بعدها ، وهو ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ
تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

الفصل بين
الفعل والفاعل

(١) سورة غافر . آية ٧٣

(٢) سورة هود . آية ١١٨

(٣) سورة النور . آية ٣٦

فانظر الى ارتباط الآيتين ، ووجوب الوصل بينهما ؛ لأن المعنى :
 ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا رَجَالٌ﴾ . فكيف تفصل بين الفاعل ؛ وهو ﴿رِجَالٌ﴾ ، وبين
 الفعل ، وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾ ، بدون أن نصل بينهما ؟

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ . فاذا قرأنا
 ما بعدها بدون وصل ؛ لما جاز ذلك إطلاقا . لأن ما بعدها متعلق بها ،
 وهو قوله : ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ . والباء فيها سببية ، أى يفرح المؤمنون بسبب
 نصر الله . ولا يجوز الفصل بين السبب والمسبب .

والذى يقطع بما قدمناه ، ويجزم بوجوب الوصل عند رؤس الآي
 مادام المعنى ناقصا وغير تام : قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾
 وهو رأس آية . فاذا وقفنا على ذلك بدون وصل ؛ لم يجوز . لأنه إخبار بأنهم
 يقولون ، بدون ذكر لما يقولونه . وإذا بدأنا الآية التى تليها بدون وصل ؛
 لكان ذلك مكفرا . لأن البادئ بذلك يقول : ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ . كأنه يقترز
 أن الله قد ولد . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

وفى مثل هذه الحال يجب الوصل وجوبا . فيقول : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ
 إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ : وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

وذلك لأن ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ : مقول القول ، ولا يجوز الفصل بين القول
 ومقوله .

(١) سورة الروم . آية ٤

(٢) سورة الصافات . آية ١٥١

وقد أوردنا هذه الآيات على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر ، ففي القرآن الكريم كثير من أمثال هذه الآيات ، فَلْيُلَاحِظْ ذَلِكَ وَلْيَتَدَبَّرْهُ مَنْ يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، ويخشى عقابه ؛ ولا يعبأ بقول من أوتوا من العلم القشور دون اللباب ، فتعلموا على الناس بغير علم ، وتفاهموا بغير فهم .

وينبغي الوقوف في مواضع ليست برءوس آى . كقوله تعالى :
 ﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ^(١) ﴾ . فإنه يجب الوقوف على :
 ﴿ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ . ثم يبدأ بقوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ . لأن ذلك استئناف لا مقولهم ؛ فيقف على ذلك خشية الالتباس .

الوقوف على غير
 رءوس الآى

وينبغي أيضا على القارئ ألا يقف على المضاف دون المضاف اليه ،
 ولا المنعوت دون نعته ، ولا الرفع دون مرفوعه ، ولا المرفوع دون رافعه ،
 ولا الناصب دون منصوبه ، ولا المنصوب دون ناصبه ، ولا المؤكد دون
 توكيده ، ولا المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا البديل دون مبدله ،
 ولا «إن» ، أو «كان» ، أو «ظن» وأخواتها دون اسمها ، ولا اسمها دون
 خبرها ، ولا المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا الموصول دون صلته : إسميا
 أو حرفيا ، ولا الفعل دون مصدره ، ولا الحرف دون متعلقه ، ولا الشرط
 دون جزائه .

المواضع التي
 لا يصح
 الوقوف عليها

(١) سورة يونس . آية ٦٥

النسخ والمنسوخ

اختلف المتقدمون اختلافا كبيرا في النسخ والمنسوخ ، ولهم في ذلك مؤلفات شتى .

وقد تغالوا كثيرا في ادعاء نسخ كل الآيات التي لم يتفق لهم فهمها ، أو التي لم يستطيعوا أن يوفقوا بينها وبين باقى الآيات .

وقد قسموا ذلك إلى أقسام : منها ما هو منسوخ الحكم باقى التلاوة ، ومنها ما هو منسوخ التلاوة باقى الحكم ، ومنها ما هو منسوخ التلاوة والحكم معاً .

ولهم في ذلك استدلالات واستنتاجات عقيمة ، لا يؤيدها منطق ، ولا يسندها دليل .

فمن ذلك ما ادعاه بعضهم من أن قوله جل شأنه : ^(١) « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » منسوخ بآية السيف : ^(٢) « فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ » .

منسوخ الحكم
باقى التلاوة

كأنه والحالة هذه لا يجوز أن نقول للناس حسناً . وإذا راعينا باقى الآية المنسوخة ؛ لوجدناها تنهى عن عبادة غير الله تعالى ، وتأمُر بالإحسان

(١) سورة البقرة . آية ٨٣ « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » .

(٢) سورة التوبة . آية ٥

الى الوالدين وذى القربى واليتامى والمساكين . ففى حالة النسخ يكون جميع ذلك غير واجب المراعاة .

وأىضا فان هذه الآيه تأمر بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . فتكونا أيضا غير مفروضتين ، وبالتالى غير واجبتين . اللهم إلا إذا كان النسخ على شطر الآيه الخاص بالقول الحسن فحسب .

هذا فضلا عن أن هذه الآيه وردت فى القرآن الكريم حكاية عما أخذه الله تعالى على بنى اسرائيل من الميثاق^(١) . فهى خبر لا معنى للنسخ فيه مطلقا . وأغرب من جميع ذلك ، وأشد شناعة وقبحا : ادعائهم بأن آيه السيف المتقدمة ^(٢) تُسَخَّت أيضا فيما تُسَخَّ بقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ وقد غاب عنهم أن ربهم هو أحكم الحاكمين ، سواء أمر بالقتال ، أو أمر بالسلم ، وسواء قضى بالنعيم ، أو بالعذاب الأليم .

ومن أعجب العجب ادعائهم أن بعض الآيات قد نسخت تلاوتها ، وبقي حكمها ، وهو قول لا يقول به عاقل إطلاقا .

منسوخ التلاوة
باقى الحكم

وذلك لأن نسخ أحكام بعض الآيات ، مع بقاء تلاوتها ، أمر معقول مقبول . حيث ان بعض الأحكام لم يتزل دفعة واحدة ، بل نزل تدريجيا ، لتألفه النفوس ، وتستسيغه العقول . وهنا كانت الحكمة جلية ظاهرة فى نسخ أحكام بعض الآيات مع بقاء تلاوتها .

(١) وهو قوله تعالى فى أول الآيه « وإذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا » .

(٢) سورة النين . آية ٨

أما ما يدعونه من نسخ تلاوة بعض الآيات مع بقاء حكمها ؛ فأمر لا يقبله إنسان يحترم نفسه ، ويقسدر ما وهبه الله تعالى من نعمة العقل .
إذ ماهى الحكمة في نسخ تلاوة آية مع بقاء حكمها ؟

ما الحكمة في صدور قانون واجب التنفيذ ، ورفع ألفاظ هذا القانون مع بقاء العمل بأحكامه ؟

ويستدلون على باطلهم هذا بإيراد آية من هذا النوع يدعون نسخها ،
ويعلم الله تعالى أنها ليست من القرآن ، ولو كانت منه لما أغفلها الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم ، ولدونها السلف الصالح في مصاحفهم .

وهي : (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَهُ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وفي رواية أخرى : (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَهُ بِمَا
قَضَا مِنَ اللَّذَّةِ) .

ويزعمون أن عمر رضي الله تعالى عنه قد همَّ بكتابتها فعلا في المصحف ،
لولا أنه لم يجد شاهدين يؤيدانه عليها .

وهذا قول فاسد باطل مردود . فلو أراد عمر كتابتها ما استطاع منعه
إنسان ، وهو من هو في شدته في الدين ، وجرأته في الحق .

ومن ذلك أيضا ما يدعونه من نسخ تلاوة (إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَلَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ الثَّانِي ،
وَلَوْ كَانَ إِلَيْهِ الثَّانِي لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا الثَّلَاثُ ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ
ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ) .

ونسخ تلاوة : ﴿ وَإِنَّ ذَاتَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْخَنِيفَةُ ، غَيْرَ الْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ ، وَمَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ ﴾ .

ونسخ تلاوة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبَ شَهَادَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وكثير غير هذا يضيق المقام عن ذكره ، ويعلم العقلاء أنه ليس بكلام الخالق تعالى ، وليس له طلاوته ، وليس به حلاوته وعذوبته ، وليس عليه بهجته . بل ويتبرأ من ركاكته المخلوقون ، فكيف برب العالمين !

بقى سؤال واحد ، وهو : من أين أتى دليل رجم المحصن والمحصنة في الإسلام ؟

من أين دليل
الرجم ؟

والجواب على ذلك : أنه قد أخذ من تشريع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . ويدخل تحت قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾^(١) أى ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ فيما يأمركم به في القرآن ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ فيما يأمركم به من الأوامر ، وينهاكم عنه من النواهي ، ويشعره لكم من الشرائع .

هذا وقد كان رجم الزاني والزانية (المحصنين) مشروعا في سائر الشرائع المتقدمة .

ولولا أن تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وصيانته ؛ لدُسَّ فيه ما ليس منه ، كما دس في الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله ، فلم يبق

(١) سورة النور . آية ٤٥ .

فيها سوى ما دخل عليها من ريك الكلام ، وباطل القول . ولكن الكتاب الكريم قد نفى كل غريب ، وسلم من الشوائب والدخل ، فلم يبق إلا كلام الرب سليما صافيا محفوظا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

ومن آية حفظ الله تعالى له ألا يستقر المسلمون على ما ادعاه القراء من قراءة القرآن بوضع مخصوص ، وطريق مخصوص ، يغير كلام العرب ونطقهم .

خطأ من قال
بنسخ التلاوة

ويجوز أن يكون هذا وحيا ، وليس كل وحى بقرآن . ويقاس عليه كل ما قرئ وقيل بنسخ تلاوته وبقاء حكمه .

ولا يبعد إطلاقا أن يخطئ مَنْ جَعَلَ مثل هذا الكلام من القرآن ؛ كابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهما . أو أن يُكذَّبَ عليهم ؛ كيدا لهذا الدين ، وتوهينا لحبل الله المتين .

ورود الخبر
عن الصحابي
ليس بحاجة

ولا يَتَوَهَّمُ أحد أن نسبة بعض القول إلى فضلاء الصحابة وأجلّاهم نص في صحة هذا القول . فإنهم رضوا الله تعالى عنهم غير معصومين ، وقد وردت روايات كثيرة صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء في القرآن وغيره من أمور الدين على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفضلا عن ذلك فقد كُذِّبَ عليهم في شتى الأحاديث . فليفهم هذا وليتدبره من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد !

حديث عائشة
في إرضاع الكبير

ومن كبر عليه ما قلته ، وشقّ عليه ما أوردته ، فليسمع معي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها — وقد ورد في جل الصحاح ، إن لم يكن كلها — قالت :

« جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سَهْلٍ أَمْرَأَةً أَبِي حُدَيْفَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حُدَيْفَةَ ^(١) مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ - وَهُوَ حَلِيفُهُ - فَقَالَ : أَرْضَعِي سَالِمًا تَحْمُسًا تَحْرُمِي بِهَا عَلَيْهِ » .

بطلان
هذا الحديث

فانظر معي أيها المنصف الحكيم ، واعجب لدين يحترم النظر إلى الأجنبية
(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ^(٢) ، ويبيح ارتضاع نديها !

وانظر معي أيضا لزوج يَغَارُ على امرأته أن يراها أجنبي ، فيذهب هذه الغيرة بأن تكشف له عن مواضع من جسدها ، ولا يُكْتَفَى بكشف هذه المواضع فحسب ؛ بل ولمسها . وليس لمسها فحسب ؛ بل ومصها . وليس المص مرة واحدة فحسب ؛ بل يظل يرتضع نديها خمس مرات .

أنظر معي أيها المؤمن وتدبر : هل ترى تصديق مثل هذا ؟ أو أنت أميل إلى التكذيب ، وإن لم يكنه ، فإلى أن هذا الحديث وأمثاله مما دسه الدساسون الأفاكون ؛ ليذهب بهاء ذلك الدين القويم ! وحاشا أن يقول الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ما لم يقله الله تعالى ؛ بل ويتناقض كل التناقض مع ما ورد في الكتاب المحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ^(٤) .

(١) أرى في وجهه : أى من دلائل الكدر والغيرة ، لدخول رجل أجنبي على امرأته .

(٢) الحليف : المعاهد . وحالفه : عاهده . والمراد هنا : شريكه .

(٣) سورة النور . آية ٣٠

(٤) وقد تلبس بعضهم تعليلا لهذا : أن الرضاع لم يكن بطريق الامتناع من الثدي ، بل بواسطة شرب اللبن بعد حلبه من المرأة . ويرد على هذا أن الشرب لا يعطى معنى الرضاع الوارد في الحديث ، وعلى فرض حصوله بالشرب فإنه لا يضعف الغيرة الذي طلب الرضاع من أجلها .

ومذهب على ، وآبن عمر ، وآبن مسعود ، وجمهور التابعين . كل أولئك على خلاف ما قيل بوروده عن عائشة .

وهناك الكثير من أمثال هذا الحديث ، مما يناقض العقل والمروءة ، والآداب ؛ وقد وردت جميعها في أمهات الكتب الصحيحة المعتمدة ، وسأورد طرفاً منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر .

فمن ذلك ما روى عن إحدى أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوفُ على نِسَائِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ بِغَسِيلٍ وَاحِدٍ » . وقد جاء هذا الحديث بروايات أخرى ، وعن طرق شتى بهذا المعنى .

والحديث كما ترى : يرفضه الذوق السليم ، وتمجه النفوس السامية . فإذا ما حاولنا أن نبحث طريق وصوله لراويته — أو لراويته — عجبنا كل العجب ، وحق لنا أن نعجب . إذ ليس له سوى طريقين لا ثالث لهما :

أولهما : أن يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه لإحدى زوجاته : لقد مررت في هذه الليلة على سائر ضرائك ، وفعلت بهن كيت وكيت . وهذا ما نستبعد وقوعه من عصاة الأمة وطغاتها ، فما بالنا بأكرم مخلوق تحلى بأعظم الأخلاق ، وحاشا أن يفعل الرسول عليه السلام ما يستوجب اللوم ، أو ما يوجب الزاينة . ولا أخط من أن يذكر مثل هذا أمام إحدى الضرائر .

طواف الرسول
على نسائه

بطلان
هذا الحديث

ثانيهما : أن يكون دخل عند راوية الحديث فأفضى إليها كما يفضى الرجل إلى امرأته ، ثم تركها ، فتبعته ، فدخل عند إحدى زوجاته الأخريات فنظرت من شق الباب ورأت ما رأت ، ونحرج من عند الأخرى إلى غيرها فتبعته الأولى ونظرت إليهما أيضا من شق الباب ، وهكذا حتى طاف على نسائه جميعهن بغسل واحد كما جاء في هذا الحديث المكذوب .

ومن أعجب العجب ألا يتعترض شراح الأحاديث لمثل هذا الحديث بتجريح أو تصحيح . بل كل ما يقولونه ، ويصرفون الجهد فيه هو : هل كان نساء الرسول صلوات الله وسلامه عليه — اللاتي مر عليهن في ليلة واحدة — تسعا أم سبعا في هذا العهد .

ولم أني أترك المؤمن الذي لا يتقيد بالتقليد الأعمى ، ولا يتبع الأسماء الزائفة ، التي دس الدساسون ، وأبطل المبطلون تحت ستارها ، وهي من كل هذا براء . إنني أتركه ليفكر في نفسه : هل مثل هذا صحيح ؟ وهل نشر مثله على سواد الأمة جائز ؟

ومن ذلك أيضا ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : « أُوتِيَتْ قُوَّةُ أَرْبَعِينَ فِي الْبَطْشِ وَالْجَمَاعِ » .

قوة الرسول
في الجماع

باللداية الدهياء ، والخطبة العمياء ! الرسول الكريم الذي يقول : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . والذي ورد من صفاته وشمائله : أنه كان يستحي كاستحياء البكر في خدرها ، والذي يقول الله تعالى فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) .

برقة الرسول
مما قالوا

(١) سورة القلم . آية ٤

هذا الرسول ، وتلك صفاته وأخلاقه ، وهذه شهادة الله تعالى له ؛ يزعمون أنه قد جالس بين صحابته وقال : يا أيها الناس أنا أوتيت قوة أربعين منكم في الجماع !

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! وأستغفره تعالى مما نسب إلى الرسول الطاهر المطهر ، الذي بعث ليقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ^(١) 》 . لا ليقول : يا أيها الناس أنا أقوى من أربعين في إتيان النساء .

وتعالى الله من أن يرسل رسولا هذا شأنه ، وتلك رسالته في الحياة .

على أن هذه الأحاديث وأمثالها ؛ سواء صح سندها أو لم يصح ، فهي — على ضعفها وظهور بطلانها — قِلَّةٌ لَا يُعْتَدُّ بِهَا ، ما دام إلى جانبها إجماع الأمة ، وتظاهر الأحاديث الصحيحة التي تدمغها ، وتظهر أغراض الدين والمشرع بأجلى مظاهرها . فلا يَقْتَحِمَنَّ مُجْتَرِيٌّ ، ولا يُبَالِغَنَّ مُبْطِلٌ ، ولا يَقْتَرِنَنَّ مُفْتَرٍ . إن هي إلا فتنة امتحننا الله تعالى بها ، وكأئنا عنها بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ^(٢) 》 .

ولقد كانت الديانات الأخرى محاطة بسياج من العرافيل ، مشوبة بكثير من الأباطيل ؛ فقد اخترع لها واضعوها ومرجوها رموزا وطقوسا ، وأقاموا السدود والقيود ، وحددوا بقاعاً ضيقة من الأرض لا يجوز التعبد

الديانات
قبل الإسلام

(١) سورة الحج . آية ١
(٢) سورة الحج . آية ١١

إلّا بها، ولا طلب المغفرة إلّا فيها، بعد بخور وعطور، وطبول وزمور، كأنما يتقربون للشيطان، أو يستحضرون عفريتاً من الجن.

بخاء الدين الإسلامي فوسع الضيق، وأطلق المقيد، وخلص النفوس من الزلل، وأبرأ القلوب من العلل، ونقى محيط العبادة من الظواهر الكاذبة، والمظاهر الباطلة، وجعل الأرض كلها مكان عبادة^(١). وجعل روح الدين في البيت وفي الشارع وفي السوق كروحه في المسجد تماماً، فروحه في البيت والشارع والسوق: عبادة عملية، وفي المسجد: عبادة نظرية، هي أقرب ما يكون إلى تصفية وجرد شئون الحياة كلها.

بساطة الاسلام

روح الاسلام
في البيت والشارع
والسوق

ولو فهم الناس أن الدين في البيت والسوق أهم منه في المسجد، لاستطاعوا أن يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة!

الدين المعاملة

فالمسلم في بيته إذا أحسن^(٢) لزوجه، ورعى أبناءه، ورحم خدمه^(٣) كان في عبادة وأى عبادة!

والمسلم في سوقه إذا أدى حق الله تعالى في تجارته، فلم يخس الناس أشياءهم، ولم يغش أحداً من عباد الله، ولم يطفف الكيل والميزان^(٤)، كان في عبادة كبيرة لا تعدلها عبادة المساجد، وملازمة المعابد.

-
- (١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» .
 (٢) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله» . والمراد بالأهل: الزوجة .
 (٢) قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ...» .
 (٤) قال تعالى: «ويل للطففين الذين إذا اكالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» .

ولم يجعل الدين طبقة معينة تحتكر شئونه : وتقرى له بأزياء خاصة ،
وتحبس أنفسهم في الظاهر عن كل مباح ، وتستحل في الباطن كل محظور ،
وتتصرف فيما هو من شأن الله تعالى ، فلا غفران إلا بصك منهم ، ولا نعيم
إلا بإرضائهم ، ولا حجم إلا بإغضابهم .

بل طالب الإسلام سائر معتنقيه أن يتعلمونه ويعلمونه ، ويسترشدون
بهدية و يرشدون به ، فهو ليس وقفاً على أحد ، ولا مخصوصا بأحد . بل
الكل أمام خالقهم ورازقهم سواء : لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .
والجاهل التقي ، خير من العالم الغوى !

والقرآن الذى نزل لهداية العالم أجمع ، ما كان يصح أن يتخذ به بضع نفر
وفقا عليهم ، يلوون ألسنتهم به ، ويتمشدون بحفظه ، ويحظرون تلاوته
وتأبته وتلقيه إلا بواسطة وعن طريقهم .

ألا ترون إلى أمة العرب وقد تطورت — بواسطة القرآن — من
الجاهلية الجهلاء ، إلى المدنية العليا ، فى أقل من ربع قرن . وهى مدة
لو كانوا قلبوا البيوت فيها مدارس ، والقرى معاهد ، وأنوهم بكتاب فلاسفة
اليونان والرومان والفرس ، لما استطاعوا أن يزحزحوهم عما كانوا عليه من
مصائب اجتماعية ، وبلايا أخلاقية .

لقد كانوا كالبهائم ، بل وشرا من البهائم ، فإذا بهم — طرفة — خلفاء
الله تعالى فى أرضه ، وأمنائه على رسالته .

القرآن الذى هذا شأنه ، وذلك أثره ، ليس لنا منه سوى سماع الأصوات ،
والاهتزاز للنغمات ، ومراعاة غنّه ومدّه ، وملاحظة حركاته وسكاته .

أما التأمل في معانيه ، والتدبر في مرامييه ، فليس منا ولسنا منه في شيء !

القرآن الذى أحيا آباءنا من العدم ، وجعل منا خير الأمم ؛ لا حظ له عندنا سوى تحسين رسمه ، والمحافظة على هيكله .

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

ويهمنا قبل أن نختم باب القراءات أن نشير الى النهى الصريح الوارد عنها ، الذى يقطع بعدم جواز القراءة بها في زماننا الآن . ولا نرى فى النهى عن القراءات ، وعدم الوثوق بها أكثر من أمر عثمان رضى الله تعالى عنه بتركها — وهو من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم — ومتابعة فضلاء الصحابة له ، وإقرارهم لفعله .

قال ابن جرير الطبرى ^(١) رضى الله تعالى عنه :

« ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه اختلاف الناس فى القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم ؛ جمعهم على حرف واحد ، وهو هذا المصحف الإمام . واستوسقت له الأمة ^(٢) على ذلك ، بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف السبعة ^(٣) »

خلاصة القول
فى منع القراءات

قول ابن جرير
الطبرى فى ذلك

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية .

(٢) استوسقت الإبل : اجتمعت . والمعنى المراد : اجتمعت له الأمة على ذلك .

(٣) لعل الإمام ابن جرير كان يرى تأويل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » : على أنها القراءات السبع ؛ وهو قول لا ينفق مع ما حققناه آنفا عند ذكر هذا الحديث ، وما قاله جللة العلماء الفضلاء .

التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ، ونظرا منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانعفت آثارها ، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ؛ لدثورها وعفو آثارها ... فإن قال من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرهم بقراءتها ؟ قيل : إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر بإيجاب وفرض ، وإنما كان أمر بإباحة ورخصة .

« انتهى كلام الطبري بلفظه »

والطبري وهو أقرب منا لوقت نزول القرآن وقراءة القراءات بأكثر من عشرة قرون ونصف ؛ يقول باندثارها وعفو آثارها ، وأنها درست من الأمة معرفتها . فمن أين جاءوا لنا بالقراءات بعد مضي مئات السنين ، وانقراض ملايين الملايين ؟

وقد أجمع الإمام الطحاوي ، والقاضي الباقلاني ، وأبو عمر بن عبد البر ، وغيرهم من أئمة الكلام ؛ على أن القراءات جميعها كانت رخصة في أول الأمر لتعسر القراءة بلغة قريش على كثير من الناس ، ثم نسخت بزوال العذر ، ويسر الحفظ ، وكثرة الضبط ، وتعلم الكتابة^(١) .

قول الطحاوي
والباقلاني
وابن عبد البر
في ذلك

لم ينزل الله تعالى القرآن الكريم ليتقعر بعض الناس في مخارج حروفه ، ويتنطع في قراءته ، ويشغلون أنفسهم في إحصاء أحرفه ، وفي تعداد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصاف الأحزاب وأرباعها ، إلى غير ذلك من الأمور

القراءة الحقة
الواجبة

(١) وهذا القول من أوجه ما قيل في القراءات .

التي تدل على كساد العقل ، وفساد الذهن . وذلك بغير تعرض لمعانيه ،
ولا تدبر لما أودعه الله تعالى فيه . ويسمون أنفسهم بالقراء ، وهم أبعد
الناس عن القراءة والقرآن ، لأن القرآن الكريم شبه الكافر بالأعمى والأصم .
في حين أن الكافر من حيث الحواس الظاهرة أشد إبصاراً وسماعاً
من المؤمن .

ولكن الكافر لما كان غير مستفيد بما يرى ولا بما يسمع : سمى بالأعمى
والأصم . فكذا قارئ القرآن إذا شغل نفسه بما لم يتزل القرآن من أجله ،
وأضاع عمره فيما لا طائل وراءه ، فليس بقارئ .

وإن العاقل الذي يقرأ القرآن فتتندى عيناه حين يمر بآي العذاب ،
وتنفرج أساريره حين يمر بآي الرحمة ، فهو أقرأ من سائر القراء ، وأعلم
بالقرآن من سائر العلماء . لأنه ينتفع بما يقرأ ، ويستفيد بما يعلم !

وَجِئْنَا بِكَ أَفْوَاجًا

وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا

تمهيد

لما كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى أبدا الدهر ، والمرشد
الأسنى إلى معرفة الله تعالى ، والهادى الأعلى إلى طريق الجنة ونيل خيرى
الدنيا والآخرة . وكان تبليغه واجبا إلى الخلق كافة ؛ لا فرق بين أعجمى
وعربى ، ورومى وفارسى ؛ كان الواجب على العلماء — الذين هم ورثة
الأنبياء — وعلى سائر الناطقين بالضاد ؛ أن يبادروا إلى تبليغه للأمم
التي لم يصلها نوره ، ولم ترتق بتعاليمه ؛ لتم بذلك رسالة الرسول عليه
الصلاة والسلام . إذ أنه أرسل إلى الخلق كافة ، ولم يرسل إلى العرب
خاصة .

القرآن
هو المعجزة الكبرى

واجب العلماء
والمتقنين
حيال الترجمة

ولما كان هذا التبليغ لا يتم إلا بترجمة هذا « النور » إلى لغات
الأقوام المراد هدايتهم ؛ وجب على الأمة الإسلامية عامة ، وعلمائها
ومثقفها خاصة : القيام بمهمة ترجمته إلى سائر اللغات الذائعة الشائعة .

لذلك قام المرحوم الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع
الأزهر ؛ بالدعوة إلى ترجمة القرآن إلى اللغات الحية ، لتم الرسالة ، وتسقط
المعذرة .

رأى المرحوم
الأستاذ المراغى

وقد وجد لهذا المشروع مؤيدون كثيرون ، كما وجد له أيضا
معارضون .

ومما يدعو للأسف أن أكثر المعارضين قد اتخذ هذه المعارضة سيلا
للطعن في أشخاص المؤيدين ، مما أخرج كلامهم عن دائرة البحث العلمى ،
المبنى على البرهان العقلى .

وقد تخطت بعض هؤلاء المعارضين فى أدلته ، فلم يميز بين ما يصح أن
يكون دليلا له ، وما يصح أن يكون دليلا عليه .

وقد اطلعت على كتب عدة طبعت فى هذا السبيل . منها للمؤيدين :
« بحث فى ترجمة القرآن الكريم وأحكامها » للرحوم الشيخ محمد مصطفى
المراغى . وقد سبق نشر بعض فصوله فى الجرائد السيارة منذ أعوام ، وهو
فى نهاية الجودة ، وغاية الإفادة . إلا أنه يقول بجواز الترجمة لا وجوبها .
مع أنها واجبة حتما ، لا جائزة لحسب — كما سنورد من الأدلة — وشتان
بين الجواز والوجوب .

وكتاب « الأدلة العلمية ، فى جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات
الأجنبية » للأستاذ محمد فريد وجدى بك ، مدير مجلة الأزهر . وهو كتاب
لا بأس به ، غير أن مؤلفه الفاضل قد استعمل فيه صناعته ، أكثر مما
استعمل عقيدته . وهو يقول بالجواز أيضا .

وقد وضع هذا الكتاب تأييدا لما كتبه المرحوم المراغى .

وقد قرأت أيضا كتباً للمعارضين . منها :

كتاب « ترجمة القرآن الكريم ، غرض للسياسة وفتنة فى الدين »
للرحوم الأديب محمد المهياوى صاحب المنبر ، وقد نحا فيه مؤلفه منحى
سياسيا هو بعيد كل البعد عن القرآن ، و ترجمة القرآن .

كتب
مؤيدى الترجمة

كتب
معارضى الترجمة

و « آية النظم ، تدافع عن القرآن الكريم » للأستاذ الشيخ أحمد فهمي محمد المحامي الشرعي . وهي منظومة شعرية بعيدة كل البعد عما نحن بسبيله وهي أيضا خلو من الأدلة التي يعابها ، أو يرد عليها .

و « القول السديد » في حكم ترجمة القرآن المجيد » للأستاذ محمد مصطفى الشاطر ، القاضي الشرعي . إلا أن أدلته لا تخرج عن أدلة كتاب حدث الأحداث .

و « حدث الأحداث في الإسلام » للرحوم الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا . وقد قرأنا له كتباً غير هذا الكتاب ، قد بلغت بعض فصولها غاية الجودة . غير أن قريحته — رحمه الله تعالى — قد خانته في هذا الكتاب ، فأمسى يتلمس الدليل له ، فلا يسوق إلا دليلاً عليه .

وبعد دراسة أدلة الفريقين : مؤيدين ومعارضين . رأيت أن أدلى ببعض الأدلة العقلية والنقلية ، التي يرتاح لها ضمير العقلاء ، ويطمئن إليها خاطر العلماء . تاركاً الكثير من الأدلة التي تناولها غيري من المؤيدين ، مكتفياً بالقدر الذي لا يدع لذي غرض مقالا ، ولا لذي طعن مثالا .

وسأحاول جهد الطاقة : سرد الأدلة التي لا تحتل إشكالا ، ولا تقبل جدالا . وسأورد من القرآن ، ما يوجب ترجمة القرآن ، وإن لم تصدق فأليك البيان :

نتيجة دراسة
كتب المؤيدين
والمعارضين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(١).

نزول القرآن
للناس كافة

والمقصود بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: هو سائر من على وجه الأرض من بني الإنسان؛ لا فرق بين عربي وعجمي.

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢). والمقصود بالإشارة: هو القرآن.

وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣). والمقصود بالموعظة هو القرآن أيضا.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾^(٤). أى لسائر الناس؛ عربهم وعجمهم.

فهل أراد الله تعالى إبلاغ القرآن للعرب فقط دون باقي الأمم الذين يبلغون أضعاف أضعاف العرب؟

وما هو الذنب الذى جنته الأمم الغير العربية والإثم الذى اقترفه؛ حتى استحققت الحرمان من الهداية؟

هذا مع أن الجميع — قبل نزول القرآن — فى الكفر سواء. بل وأمة العرب كانت أشد الأمم كفرا، وأعظمها طغيانا وبخورا، كما سنبين فيما بعد.

(١) سورة النساء. آية ١٧٤. (٢) سورة آل عمران. آية ١٣٨.
(٣) سورة يونس. آية ٥٧. (٤) سورة الكهف. آية ٥٤.

وقال تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ 》^(١) .

ومعنى هذه الآية : وأوحى إلى هذا القرآن لأُنذِركم به أيها العرب الموجودون الآن ، وأُنذِر به من بلغه من سائر الأمم ، ممن سيوجد إلى يوم القيامة .

فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : يا أمة العرب ، لقد أنذرتكم بهذا القرآن ، فأُنذِرُوا به من وراءكم ، وأبلغوه إليهم لينذروا به ، ولنقوم عليهم بذلك الحجّة ، وتسقط المعذرة .

وجوب إنذار
العرب لسائر الأمم

وبهذا يكون من لم يبلغه القرآن من سائر الأمم خارجا عن الإنذار .
وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا 》^(٢) . أي تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ اللهُ الَّذِي أَنزَلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لينذر به العالمين . وهم سائر الأنس — عربهم وعجمهم — وسائر الجن أيضا .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ 》^(٣) . وقال أيضا : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ 》^(٤) . وقال أيضا : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ 》^(٥) . وقال أيضا :

احتجاج
المعارضين باقتراد
القرآن بالعربية

(١) سورة الأنعام . آية ١٩ (٢) سورة الفرقان . آية ١

(٣) سورة يوسف . آية ٢ (٤) سورة الشعراء . آية ٢٩٣ — ١٩٥

(٥) سورة الزمر . آية ٢٧ و ٢٨ (٦)

(١) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ . وقال أيضا : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ . (٢)
 ﴿فَأَنَّمَا يُسْرَاهُ بِلسَانِكَ لِئُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾ . (٣)
 ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ . (٤)

وقد احتج بهذه الآيات بعض المانعين للترجمة . ووجه احتجاجهم بها : أن فيها ذكر عربية القرآن ، فيصح أن تكون دليلا على عدم الترجمة ، وجوب المحافظة على عربيته . وفاتهم أن الله تعالى لم ينزل هذه الآيات وأمثاله ليعلمنا أن القرآن عربي ، وأنه بلسان عربي ، لأن هذا من اللغو الذي يتزه القرآن عن مثله .

فالقرآن بين أيدينا ، وتحت سمعنا وأبصارنا ؛ نتلوه صباح مساء ، ونعلم كل العلم أنه عربي ، وبلسان عربي . ومن تحصيل الحاصل أن يقول مخلوق عاقل — فضلا عن الرب المتعالي عن النقائص — يا أيها الناس إن هذا القرآن الذي بين أيديكم عربي وليس بعجمي . ويريد بذلك تقرير أنه عربي فحسب .

والواقع أن لهذه الآيات معنى آخر أسمى من هذا المستوى الذي يريد المعارضون أن يتزلوا بالقرآن إليه .

وهذا المعنى : هو أن العلوم والمعارف ، والكتب السماوية السابقة ، قد نزلت كلها أعجمية ، فلو نزل القرآن بلغتها لقالوا : إنه منقول منها ،

(١) سورة الزخرف . آية ٣ (٢) سورة الأحقاف . آية ١٢

(٣) سورة مريم . آية ٩٧ (٤) سورة طه . آية ١١٣

وماخوذ عنها — وقد قال ذلك فعلا بعض المكذبين — ولغة العرب لم يتزل بها كتاب سماوى سوى القرآن ، وقد أرسل الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أقبيا لا يقرأ ولا يكتب ؛ لئلا يتهم بقراءة الكتب السابقة ، واختراع هذا القرآن من عند نفسه . وقد نزل القرآن الكريم عربيا باللغة التى لم يتزل بها كتاب من قبل .

وهذه هى حكمة ذكر هذه الآيات وأمثالها فى القرآن .
ويصح أن يكون معنى هذه الآيات : يا أيها العرب إنا أنزلنا هذا القرآن عربيا بلغتكم ، فما بالكم لا تفهمونه . لا أنه يريد أن يقول : إنا أنزلنا لكم قرآنا عربيا فلا ترجمونه للأعاجم ، ودعوهن فى جهلهم وكفرهم كما فهم المعارضون فى هذه الآيات .

وهناك معنى آخر لهذه الآيات : وهو أنها نزلت لما اعترض العرب على القرآن وقالوا : إن فيه ألفاظا خاطئة ليست من العربية . كقوله تعالى ﴿عَجَابٌ﴾ و ﴿كِبَارًا﴾ وأمثالها مما توهموا فيه ذلك لجهلهم ، وقد اتضح أنه من صميم العربية . فترلت هذه الآيات وأمثالها ؛ لتعريف أن القرآن عربى غير ذى عوج . أى ليس به خطأ كما ظنتم وتوهمتم .

وقد استدل بعض المعارضين أيضا بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ

جهل المعارضين
بمعانى القرآن

(١) سورة ص . آية ٥ وتامها « أجعل الآخرة لها واحدا إن هذا لشيء عجيب » .

(٢) سورة نوح . آية ٢٢ وتامها « ومكروا مكرا كبارا » .

(٣) وذلك لقوله تعالى « قرآنا عربيا غير ذى عوج » .

عَرَبِيٍّ مَبِينٍ^(١) . وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ^(٢) 》 .

وقد طنطنوا بهاتين الآيتين . وقالوا : إن الله تعالى قد رفض أن يكون القرآن أعجمياً ، وأن ينزله أعجمياً .

ولا أدري ولا المنجم يدري : أين يوجد المعنى الذي ذهبوا إليه ؟ وإنما الذي أستطيع أن أعلمه وأدريه ، ويعلمه سائر الناس ويدرونه : هو أنهم قد أساءوا فهم هذه الآيات ، وقد عاقبهم جهلهم للعارضة عن فهمها بالمعنى الذي أنزلت من أجله .

يريد الله تعالى أن يقول : إنكم معشر المكذبين الذين تدعون أن محمداً لم يأت بهذا القرآن من عند الله تعالى ، وإنما علمه إياه بعض الأعاجم^(٣) ، مخطئون ومخالفون للعقل والمنطق السليم . وكيف تعتقدون ذلك وتقولونه ، مع أن هؤلاء الأعاجم الذين اتهمتموهم باختلاق القرآن لمحمد ، لم يكونوا من العرب الذين يتقنون العربية ، فكيف ينشئون هذا المنطق الفصيح المبين ؟ ونحن لو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم فقرأه عليكم بالعربية ، لمّا آمنتم لفرط عنادكم ، ولأزدتتم طغياناً وكفراً .

(١) سورة النحل . آية ١٠٣ . (٢) سورة الشعراء . آية ١٩٨ .

(٣) وذلك لقوله تعالى « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » وكانوا يعنون بذلك غلاماً لحويطب ، يقال له (عائش) أو (يعيش) وكان صاحب كتب . أو هو (جبر) غلام رومي لعامر بن الحضرمي ، أو هما عبدان (جبر ويسار) كافا يقرآن التوراة والإنجيل . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع لما يقرآن . أو هو سلمان الفارسي . وكلهم أعاجم لا يتقنون العربية .

والمطلع على هذا يرى أنه بعيد كل البعد عما ذهبوا إليه وتوهموه .
وإن أخوف ما نخافه على القرآن الكريم ، هو من المعارضين المحترفين
لمعانيه ، لا من المترجمين الساعين لنشر آدابه وأحكامه .

الذي يصح
حجة للعرب
يجوز حجة للعجم

ومن أغرب الغرائب أن يستدل المعارضون على منع الترجمة بقوله
تعالى : ((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ الْعَجَمِيَّةُ وَعَرَبِيًّا))^(١) .
وقد فهموا في هذه الآية — مع أنهم من صميم العرب وجلة العلماء
والفضلاء — أنها جاءت لمنع الترجمة ، وأن الله تعالى قد أنزلها ليمنع عن
أكثر من تسعة أعشار العالم : استماع القرآن ، والاهتداء بهديه ، والاستنارة
بنوره .

أنزلها ليقول لأمة العرب : إياكم وتبليغ القرآن إلى مَنْ عَدَاكُمْ من
الأمم ؛ فإليكم وحدكم أنزلته ، وعن غيركم منعتهم ، وأتم المكلفون ، وغيركم
ليسوا مسئولين ولا معذنين .

هكذا فهم المعارضون ، وهكذا يريدون أن يفهم الناس جميعا .

مع أن هذه الآية لا تحتل إطلاقا ما ذهبوا إليه ، وهي — كما يرى
المطلع المنصف — دليل ناصع ، وبرهان قاطع على وجوب الترجمة
كما سنبين :

يقول الله تعالى : ولو جعلنا هذا القرآن العربي عجميا ؛ لقالت العرب :
كيف نطبق ذلك ؟ وهل في وسعنا أن نفهم غير لغتنا ؟ وهلا أنزل الله تعالى

(١) سورة فصلت : الآية (١) .

(١) سورة فصلت . آية ٤٤ ؛

عربيا لنستطيع قراءته وتدبره ؟ وهل يصح أن نكون عربا ، ويتزل لنا القرآن أعجميا ؟

وهنا فقط يصح لنا أن نسأل حضرات المعارضين الأفاضل ، المدافعين عن الإسلام من الخطر ، والمحافظين على القرآن من الضياع : أليس بنو آدم سواسية ، يستوى فيهم عربهم وعجمهم ، تركهم وديلمهم ، أمام خالقهم وبارئهم ؟ ألا يستوى كل واحد منهم في وجوب تبليغ الرسالة إليه ، ووجوب إعداره وإنذاره ، ووجوب تخويله وتبشيريه ؟

وهل إذا قامت الحجّة للعرب في أمر من الأمور ، ألا يصح أن تقوم تلك الحجّة نفسها للعجم الذين هم مستوون مع العرب في البشرية والإنسانية والآدمية ؟

يقول الله تعالى : لو جعلنا هذا القرآن أعجميا ، لَاحْتَجَّتْ العرب وقالت : هلا أنزل عربيا ؟

فكذلك تكون حجة الأعاجم — لو لم يترجم لهم القرآن بلغتهم — يقولون : هلا جاءنا القرآن أعجميا بلغتنا ؟

ومن المعلوم أن الله تعالى قد أنزل هذا القرآن لأناس تعقل وتفهم وتقيس . ويعلم أنهم — لا شك — فاهمون مهمتهم الأولى في هذه الحياة ، وهى إيصال ذلك الهدى وإذاعة هذا النور الذى أرسله للناس كافة ، وأنزله لتخليص البشرية من أوضارها^(١) ، وإنقاذ الأمم من جهالاتها وشرورها .

(١) أوضارها : أضرارها .

(١) أوضارها : أضرارها .

الناس سواء
في وجوب
التبليغ إليهم

سبب عدم الترجمة
في العصور الأولى

قد يقول قائل: قد أنزل هذا القرآن على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم — وهو إمام الهادين المهتدين ، ورسول الله تعالى إلى الخلق أجمعين — فلم يترجمه ، ولم يأمر بترجمته ، ولم ينطق به إلا بلسانه ، وكذلك كان الخلفاء الراشدون من بعده .

وجوابنا على هذا : أن جزيرة العرب في ذلك الحين لم يتم بعد إيمانها ، ولم يكتمل إسلامها . وليس من الحكمة في شيء أن يدع الرسول عليه الصلاة والسلام بلده وأهله في ظلام دامس ، وضلال مستمر ، وينير بلادنا نائية ، ويهدي أفاسا أباعد . وهو الذي أنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(١) . أي ابدأ بمن هم أقرب إليك .

وجوب
الترجمة الآن

أما الآن وقد دانت العرب للإسلام ، وأحست العجم بما هم فيه من الظلام ؛ فقد وجبت ترجمة القرآن ، وحق تبليغه لسائر بني الإنسان .^(٢)

واستدل المعارضون أيضا بقوله عز وجل : ﴿ كَذَّبُوا أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

(١) سورة الشعراء . آية ٢١٤

(٢) لقد قام دعاة الإصلاح في شتى الممالك الغربية بنادون بوجوب تعديل قوانينهم الوضعية إذ قد ثبت بحجتها عن إصلاح المجتمع ، ولأن تعداد الجرائم يزداد يوما عن يوم بدرجة تدعو إلى البحث والتفكير . وقد دعا أحد كبار الأمر يكيين إلى بحث القوانين السبائية ، ومعرفة ما قترته من عقوبات لبعض الجرائم .

وفي وسعنا أن نقول : إن بلاد الحجاز الآن تكاد تنعدم الجريمة فيها إطلاقا ، وما ذلك إلا لتنفيذ العقوبات الرادعة ، التي وضعها خالق الناس ، ومن هو أدري بالناس من الناس .

(٣) سورة الأعراف . آية ٢

ومعنى ذلك — كما يتضح لمن عنده أدنى إلمام بالعربية — إنذار الكافرين ، وتذكير المؤمنين .

وليس أماننا سوى أمرين لا ثالث لهما ، وهما إما أن نعتبر الأمم الأعجمية كافرة ، وفي هذه الحال يجب إنذارها بالقرآن ، وأن يكون هذا الإنذار بلسانها ولغتها . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(١) . وقال أيضا : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٢) . وإما أن نعتبر هذه الأمم غير كافرة ، وغير مكلفة ، وغير مسئولة . وهذا ما لم يقله أحد ، ولن يقوله أحد .

ومما يثير الدهش ، ويحمل على العجب ، أن يستدل المانعون — رغم سعة علمهم ، وعظيم اطلاعهم — على المنع بقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ إِلَّا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾^(٣) . وقوله جل شأنه : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٤) . وقوله عز من قائل : ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَنْمَسَ يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ ﴾^(٦) . وقوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾^(٧) .

هل تعقل تلاوة القرآن بالعربية لمن لا يفهمها ؟

(١) سورة إبراهيم . آية ٤ (٢) سورة البقرة . آية ٢٨٦

(٣) سورة الأنعام . آية ١٥١ (٤) سورة الرعد . آية ٣٠

(٥) سورة الكهف . آية ٢٧ (٦) سورة النحل . آية ٩٢

(٧) سورة التوبة . آية ٦

(٨) سورة التوبة . آية ٦

وكأنى بهم وقد أوردوا هذه الآيات لاشتمالها على الأمر بتلاوة القرآن على الكفار ، وغاب عنهم أن المقصود بالتلاوة هنا ليس التلاوة بالعريضة التي لا يفهمونها ؛ وذلك بقصد التعبد فحسب ، بل المقصود بها : البيان لهم ، وإفهامهم وإسماعهم .

وإذا نحن بَيَّنَّا وأفهمنا وأسمعنا الكافر العربي ؛ فمن يَبِينُ وَيُفْهِمُ وَيُسْمِعُ الكافر الأعجمي ؟

وها نحن أولاء نورد معنى هذه الآيات التي غاب عنهم فهمها ، أو تغابوا — عامدين — في فهم معناها .

يقول الله تعالى : قل يا محمد للكفار جميعا — عربهم وعجمهم — تَعَالَوْا أَتْلُ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ . وهو : ألا تشركوا به أحدا غيره ، وأن تحسنوا إلى والديكم .

فهل يرى المعارضون أن النهي عن الشرك ، والأمر بالإحسان إلى الوالدين ؛ هو للعرب فقط دون غيرهم ، فلا بأس من أن يشرك بالله تعالى غيرهم من الأمم ، وأن تعق والديهم .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ^(١) ﴾ .

فلتصوّر مثلا أننا في حالة حرب ، واستجار أحد كفار الأعاجم بأحد المانعين ؛ فكيف يسمعه كلام الله تعالى بعربيته هذه ؟

(١) سورة التوبة . آية ٦

وإذا أسمعته كلام الله تعالى بعربيته — التي لا يفهمها ولا يعلمها — هل يكون متبعا لقول الله تعالى ، وَمُنْفِذًا لأمره : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ؟

وهل الذي يسمع ما لا يفهم ، يكون سامعا ؟ وكيف نسمع المشركين ما لا يفقهون ، ونكفهمهم ما لا يطيقون ؟ وقد قال تعالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^(١) ﴾ .

(١) سورة الأنعام . آية ١٥٢

نزل القرآن لسائر الناس

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ^(١) ﴾ . وقال أيضا : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ^(٢) ﴾ .

فكيف يكون ذكرا للعالمين ولما يأت الأعاجم نبؤه ، ولما يدركوا تأويله ، ولما يفقهوا له معنى ، أو يفهموا له مغزى ، وهم من جملة العالمين . وكيف يستطيع الأعجمي أن يقرأ العربية ، أو العربي أن يقرأ الأعجمية ؟

يريد الله تعالى بقوله هذا الذي أنزله على نبيه العربي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى أمته العربية : يا أيها العرب إنني قد أنزلت هذا القرآن تذكرة للعالمين ، فاسعوا — يا من نزل القرآن بلغتهم — إلى تبليغه لسائرهم . وإلا لكان الأمر مما تنزّه عنه المولى جل شأنه .

إذ لا يعقل أن ينزل الله تعالى القرآن على أمة العرب فقط ، وينهى عن نقله إلى لغات بقية الناس . ويقول : إني أنزلته لسائر الناس : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) سورة القلم . آية ٥٢

(٢) سورة يوسف . آية ١٠٤

قراءته ، وحمله ومسه ، يعتبرون متمسكين به ، مذيعين لأحكامه ، موفين لحقه ، غير هاجرين له .

ألا إنهم يأتون منكرا من القول وزورا ، إذ ينسبون للولى جل شأنه الظلم ، حيث يدعون أنه أنزل القرآن عربيا ، وأبى علينا أن ترجمه للامم الأعجمية . وبعد ذلك يسأل سائر الأمم على السواء ، ويعذب من لم يعمل بالقرآن ، سواء منهم من سمعه ومن لم يسمعه ، ومن بلغه ومن لم يبلغه . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !

القول الفصل
في وجوب الترجمة

ونرى أن القول الفصل في هذا ، هو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ^(١) .

ومعنى هذه الآيات القاطعة في الدلالة على ما نحن بسبيله : أنا ﴿ آتَيْنَا مُوسَى ﴾ عليه السلام ﴿ الكتاب ﴾ : التوراة . ﴿ تَمَامًا ﴾ : للنعمة . ﴿ عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ بالقيام بالأوامر ، واجتناب النواهي ، ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾

(١) يحتاجون إليه في دينهم وديارهم ، ومعادهم ومعاشهم ، (وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ
يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ) : يعنى بنى اسرائيل . (وَهَذَا) : أى القرآن . (كِتَابٌ
أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ) أيها الناس ، ولا تكفروا به كما كفر بنو اسرائيل
بكتابهم . (وَاتَّقُوا) العذاب (لَعَلَّكُمْ) باتباعكم له (تُرْحَمُونَ ، أَنْ
تَقُولُوا) أى : أنزلنا هذا القرآن لئلا تقولوا : (إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ
طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا) : اليهود والنصارى ، ولم ينزل علينا شئ . (وَإِنْ كُنَّا
عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) . أى : وإن كنا عن قراءة تلك الكتب التى أنزلت
لعاجزين ، لعدم معرفتنا لها ، ولأنها ليست بلغتنا . (أَوْ تَقُولُوا) : أو لئلا
تقولوا : (لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) الذى أنزل عليهم ، (لَكُنَّا أَهْدَىٰ
مِنْهُمْ) لصفاء أذهاننا ، وجودة قرائحنا . (فَقَدْ جَاءَكُمْ) قطعاً لأعدائكم ،
وإسقاطاً لمجتكم : (بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٌ) وهو القرآن . (فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ) بعد أن وضحت له ، وصارت فى متناول يده
ولسانه ، وفى وسع عقله وذهنه ، (وَصَدَفَ عَنْهَا) : أى صد الناس عنها ،
ومنعهم عن معرفتها والانتفاع بها . (سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا
سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) .

وكيف لا يكون صادداً عن القرآن ، صارفاً عنه ، من يحيطه بحر من
الغموض والإبهام . حتى لا يكاد يقرؤه من يتقن القراءة ، ويحيد
الكتابة ؟

(١) المعاد : المرجع ، والمصير ، والآخرة .

(٢) اقرأ ما كتبتاه فى « هجاء القرآن ورسمة » من هذا الكتاب .

كيف لا يكون صاددا عن القرآن وصارفا عنه : من يمنع ترجمته فلا تتناوله سائر الأمم الأعجمية ، الذين يستون معنا في الإنسانية والآدمية ؟ بل وهم مخاطبون في نفس القرآن ، المنزل من الرحمن ، لهداية سائر بني الإنسان ! وقد أراد الله تعالى بقوله : ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ : أن يبين لنا وجوب تبليغه لسائر الأمم ؛ خشية أن تقول الأمم الأعجمية يوم القيامة : إنما أنزل القرآن على أمة العرب فقط ، ولم ينزل إلينا ، ولم يأتنا بشير ولا نذير .

وقد استدل أيضا بعض المعارضين — غفر الله تعالى له — بحديث شريف ، هذا نصه :

« خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً فَأَدُّوا عَنِّي بِرَحْمَتِكُمُ اللَّهَ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيَّ كَاخْتِلَافِ الْحَوَارِيِّينَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ ؟ قَالَ : دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ . فَأَمَّا مَنْ قَرُبَ بِهِ فَأَحَبَّ وَسَلَّم ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فَكَرِهَ وَأَبَى . فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تِلْكَ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عِيسَى : هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِ فَأَمَضُوا » .^(١)

(١) حوارى الرجل : خاصته وناصروه . قال صلى الله تعالى عليه وسلم « الزبير بن العوام ابن عمتي ، وحوارى من أمي » .

(٢) قد أورد المعارضون هذا الحديث نقلا عن تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري .

اختلاف
الحواريين
على عيسى

وهذا الحديث الذى أورده المعارضون — خطأ — لصالحهم ؛ هو من أقوى الأدلة ، وأوثق البراهين على وجوب الترجمة كما سنبين :

يقول صلى الله تعالى عليه وسلم : « إِنِّي قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً » :
أى لجميع الخلق ، لا فرق بين عربى وعجمى . « فَادُّوا عَنِّي يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ » :
أى فقوموا بمهمة التبليغ من بعدى .

ولا يخفى أن تبليغ القرآن للأعاجم بلغة العرب غير ميسور ، وغير معقول ، وغير مقبول ؛ إذ كيف يفهمون ما لا يدرون ، ويعملون بما لا يعلمون .

والمقصود من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ » : أى دعا عيسى عليه السلام لمثل ما دعوتكم إليه من تبليغ الدعوة ، وأداء الرسالة . « فَأَمَّا مَنْ قُرِبَ بِهِ فَاحَبَّ وَسَلَّمَ » : أى من قرب به هذا الأمر ، وذلك التبليغ ، وكان سهلا عليه ؛ لمعرفته لهجات القبائل ، ولغات الأمم التى يراد إرساله إليها ؛ فأحب تلك المهمة ، وسلم بقبولها . « وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ » : أى من بعد به هذا الأمر ، وشق عليه ؛ لأنه لا يعلم ، ولا يتقن سوى لغته التى درج عليها ، ولهجته التى يتكلم بها « فَكَرِهَ وَأَبَى » هذه المهمة ؛ حيث انه لا يطيقها ، ولا يستطيع القيام بها « فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » : أى شكا إلى الله تعالى عجز أصحابه وأنصاره ، وعدم استطاعتهم التبليغ ؛ فأجاب الله تعالى شكايته ، وقبل رجاءه ، وأزال تلك العقبة التى اعترضتهم . وذلك بأن علّم كل واحد منهم لغة القوم الذين بعث إليهم .

يدل على ذلك سياق الحديث : « فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ نِكَاحٌ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُعِثُّ إِلَيْهِمْ ... الخ » .

وجوب تعلم
اللغات

أما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « وَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَى كَاخْتِلَافِ الْحَوَارِيِّينَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » . فمعناه : لا تعترضوا مثل اعتراضهم ، وتقولون : كيف نبلغ أقواما لا نعرف لغاتهم ؟ بل تعلموا اللغات ، واسعوا إلى التبليغ بكل الطرق ، وكافة السبل ، لأن هذا العصر الذى نحن فيه ؛ ليس بعصر خوارق العادات ، وعكس المألوفات ؛ كمصر عيسى عليه السلام ؛ الذى حصل فيه إبراء الأكف والأبرص ، وإحياء الموتى ؛ بل هو عصر لا يخرج فيه شئ عن حد المعقول والمألوف :

لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعْبَا الْعُقُولُ بِهِ حَرَصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهْمِ

وهذا هو المعنى الوحيد لهذا الحديث الذى أورده المعارضون سلاحا

لهم ، فانقلب سلاحا عليهم .

والإفاد إذا يكون المعنى إذا جعلنا أمام أعيننا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إِنِّي قَدْ بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً » . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ^(١) ﴾ ؟

أما المعنى الذى ذهب إليه المعارضون فى هذا الحديث ؛ فلا يستقيم لغة ، ولا ديناً ، ولا فقها . وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن الحواريين اختلفوا على عيسى عليه السلام ، وخالفوه وأغضبوه . مع أنهم بنص القرآن الكريم

(١) سورة سبأ . آية ٢٨ .

أنصاره إلى الله تعالى ، ولم يرد في القرآن ما ينافي طاعتهم له ، ونصرتهم إياه . بل قد ورد أنهم المثل الأعلى في الطاعة والنصرة . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ . قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ 》^(١) .

أما قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ 》^(٢) . فهو كقول ابراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى . قَالَ : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَبْطِئَنَّ قُلُوبِي 》^(٣) . وأمثال ذلك في القرآن كثير .

وهذا هو معنى الحديث الذي أحرموه ليدلوا به — لا على تحريم الترجمة فحسب — بل على تحريم تعلم اللغات أيضا ، وأن تعلمها يكون عقوبة من الله تعالى يصيب بها من يغضب عليه من عباده .

فانظر أيها المسلم اللبيب إلى أى حد بلغ بنا حب الجسدل والمعارضة ، وشهوة الفوز والنصر .

لقد بلغ بنا ذلك إلى حد إلغاء عقولنا وأفهامنا ، والتغريب بالسذج والبسطاء من الأمة ، واللعب بالبابهم . وهذا أخف الضررين ، وأقرب الفرضين ؛ أما إذا كانت الأخرى ، وكانوا يثقون بما يقولون ، ويعتقدونه ويفهمونه هذا الفهم الذى دونوه فى كتبهم ، وساقوه لجمهور الأمة ؛ فعلى الدنيا السلام ، وعلى العلم العفاء !

(١) سورة الصف . آية ١٤ (٢) سورة المائدة . آية ١١٢

(٣) سورة البقرة . آية ٢٦٠

القرآن روح
لا كالأرواح

واسمع أيها القارئ الكريم واعجب معي : كيف أنهم لم يفرقوا بين الحقيقة والمجاز في لغة القرآن ، حيث يقولون :

القرآن روح ، والروح لا يترجم . مستدلين على ذلك بقوله تعالى :
﴿ يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(١) . وقوله :
﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(٢) . وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٣) . وقوله : ﴿ يُلْقِ
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٤) . وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ أُولَئِكَ
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾^(٦) .

القرآن نور
لا كالأنوار

وقالوا أيضا : القرآن نور ، والنور لا يترجم . واستدلوا بقوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾^(٧) .
وقوله ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٨) . وقوله : ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ
مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٩) .

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة النحل . آية ٢ | (٢) سورة النحل . آية ١٠٢ |
| (٣) سورة الشعراء . آية ١٩٣ | (٤) سورة غافر . آية ١٥ |
| (٥) سورة الشورى . آية ٥٢ | (٦) سورة المجادلة . آية ٢٢ |
| (٧) سورة النساء . آية ١٧٤ | (٨) سورة الأعراف . آية ١٥٧ |
| (٩) سورة الشورى . آية ٥٢ | |

وقد تكلم المعارضون في هذا الصدد كلاما يشككنا في عقولنا أو عقولهم
إذ أنهم ذهبوا إلى أن ما جاء في هذه الآيات حقيقى لا مجازى، وأن
ما ورد فيها من وصف القرآن بالروح؛ إن هي إلا روح كسائر الأرواح التى
فى الأجساد، والتى لا ترى، ولا تُحس، ولا تُشم. وأن ما جاء فيها أيضا
من وصف القرآن بالنور؛ إن هو إلا ضوء كسائر الأضواء، التى لا جرم
لها. فكيف تُترجمُ الروحُ، أو يُترجمُ النورُ؟

وقد غاب عنهم أن القرآن الكريم روح وأى روح! ولكن ليس بالروح
التى يجوز عليها ما يجوز على سائر الأرواح. وأنه نور وأى نور! ولكن ليس
بالنور الذى له انطفاء، وليس له بقاء.

إنما القرآن روح تحيا به النفوس والقلوب، بعد أن ماتت بأدران
الكفر، وأوضار الذنوب^(١).

إنما القرآن نور ينير ظلام الجهل، لا ظلام الليل؛ وشتان بين
الروحين، وشتان بين النورين!

المرة بأصغريه
وليس الإنسان بافتتاح عينيه، وتحريك فكِّه، وانبساط يديه
ورجليه؛ فهذه كلها تشركه فيها سائر الحيوانات العجاوات. وإنما
الإنسان بعقله الغريزى الفطرى، الذى تفرد الله تعالى بصنعه.
وقد ورد فى الحديث القدسى مخاطبة للعقل بعد خلقه "فَيْكَ أُمِّيْبُ وَيَكَ
أَعَاقِبُ".

(١) أوضارها: أوساخها.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ^(١) ، لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ^(٢) ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ^(٣) ، لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ^(٤) ، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ^(٥) ، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ^(٦) ، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ^(٧) الْقُرْآنَ ، أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ ، لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ ^(٨) 》 .

تحكيم القرآن
للعقل

ففعالوا بنا أيها المعارضون نتدبر آي القرآن الكريم ، ونطبقها على قواعد المنطق المستقيم ، وعلى سنن العقل القويم .

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ ^(١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ^(١١) 》 .

لا تحاسب الأمم
إلا بعد سماع
الآيات

وهذا يدل على أن الأمم لا تستوجب العذاب ، ولا يحق عليها العقاب ، إلا إذا سمعت الآيات ، وزجرت بالعظاات : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ ^(١٢) رَسُولًا ^(١٣) 》 .

فبأي طريق نسمع أبناء التأميز ، وأبناء الرين ، وأبناء الدانوب ؟

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة البقرة . آية ٦٤ | (٢) سورة يونس . آية ٦٧ |
| (٣) سورة يونس . آية ٢٤ | (٤) سورة الأنعام . آية ٩٨ |
| (٥) سورة الأنعام . آية ١٠٥ | (٦) سورة الأنعام . آية ١٢٦ |
| (٧) سورة النساء . آية ٨٢ | (٨) سورة المؤمنون . آية ٦٨ |
| (٩) سورة ص . آية ٢٩ | |

(١٠) أمها : عاصمتها . وأم كل شيء : أصله وعماده . وأم القرى : مكة شرفها الله تعالى لأنها قبله الناس يؤمنونها ، أولأنها أعظم القرى شأنًا .

- | | |
|---|----------------------------|
| (١١) سورة القصص . آية ٥٩ | (١٢) سورة الإسراء . آية ١٥ |
| (١٣) التأميز : نهر بانجلترا . | (١٤) الرين : نهر بفرنسا . |
| (١٥) الدانوب : نهر برومانيا . ويسمى أيضا : نهر الطونة . | |

أَنَسْمَعُهُمُ الْكُتَابَ الْكَرِيمَ بِعَرَبِيَّتِهِ هَذِهِ ؛ وَهُمْ لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ حُرْفًا مِنْهُ ؟ أَمْ نُلْزِمُهُمُ الْعَمَلَ بِمَا فِيهِ ، وَلَمَّا يَأْتُهُمْ اسْمُهُ ، فَضْلاً عَنْ رِسْمِهِ . وَلَيْسَ فِي وَسْعِهِمْ رُؤْيِيَّتُهُ ، فَضْلاً عَنْ قِرَاءَتِهِ ؟ وَقَدْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ حَمْلَهُ وَمُسَّهُ ^(١) .

وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^(٢) 》 .
و ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ^(٣) 》 .

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ^(٤) عَلَى الْكَافِرِينَ 》 .

من لم يتل عليه
القرآن ليس بكافر

يُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ : أَنَّ الْكُفْرَ الْمَوْجِبَ لِعَذَابِ جَهَنَّمَ يَسْتَلْزِمُ إِمْتِنَانَ الرُّسُلِ لِلْأُمَمِ ، وَتِلَاوَةَ الْآيَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَكُفْرَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِهَؤُلَاءِ الرُّسُلِ ، وَإِنْكَارَهُمْ لِهَذِهِ الْآيَاتِ .

فَمَا قَوْلُ الْمَعَارِضِينَ فِي أَنَّ سَائِرَ الْأُمَمِ الْغَرَبِيَّةِ لَمْ تَأْتَهُمْ رُسُلٌ ، وَلَمْ تُنْشَلْ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ .

وَلَوْ سِيقُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ، يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ، لَقَالُوا لِلْخَزَنَةِ : لَا ، لَا . لَمْ يَأْتِنَا

(١) وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى «لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ بِحَرِّمْ مَسِّهِ وَحَمْلِهِ عَلَى الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ غَيْرِ الْمُتَوَضَّئِ . انْظُرْ مَا كَتَبْنَاهُ عِنْدَ «جَوَازِ مَسِّ الْمُصْحَفِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِ» وَمَا بَعْدَهُ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ . آيَةُ ١٥٢ (٣) سُورَةُ الطَّلَاقِ . آيَةُ ٧

(٤) سُورَةُ الزَّمَرِ . آيَةُ ٧١

رسول ، ولم نُثَلِّ علينا آياتٌ ، ولم يُنذِرْنَا نذيرَ بقاء هذا اليوم ، فلم تعاقبونا ، وعلام تحاسبونا ؟

وبذلك يكونون غير ملومين ، وغير معذيين . بل وليسوا بكافرين .

أما إذا ترجمنا لهم الآيات ، وأسمعناهم العبر والعظات ، كانوا عن ذلك مسئولين ، ومجزيين . ومن آمن منهم نجا ، ومن كفر بالآيات — بعد أن سمعها — ذل وهوى ، وسقطت حجته ، ووهنت معذرتة ، وحق عليه أن يدخل جهنم ، وأن يقول له خزنتها : ألم يأتك رسل من جنسك (البشر) يتلون عليك آيات ربك ، وينذرونك لقاء يومك هذا ، واصطلاء هذا العذاب ؟

وَحَقَّ عليه أن يقول وقتئذ : بلى قد جاءني الرسل ، وتليت على الآيات ؛ فكذبت بها وعصيت ؛ فَحَقَّ عَلَى الْعَذَابِ وَالْعِقَابِ ؛ حيث كنت من الكافرين المكذبين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ^(١) . فقيّد الكفر بجيء القرآن .

من لم يصله القرآن بلغته فليس بكافر

وكيف نعد الذي لم يأت به الذكر كافرا ، وهو لم يأت به بشير ولا نذير ؟

وقال عز من قائل : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ ^(٢) وَنَذِيرٌ ^(٣) .

(١) سورة فصلت . آية ٤١ (٢) سورة المائدة . آية ١٩

ولا يخفى على ذى بصيرة أن المراد بذلك هو القرآن الكريم ، وأن القرآن إذا لم يترجم ويتناوله سائر الناس ، قامت لهم الحجة على الله تعالى ، ولم يستوجبوا عذابا ولا عقابا . وكان شأنهم كشأن أهل الفترة تماما : لا يحاسبون ، ولا يعذبون .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢) . أى : إن هذا لفي كتب المتقدمين (التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وغيرها من الكتب) .

كان القرآن أعجميا وترجم الى العربية

ولا يخفى أن الكتب المنزلة كانت بعضها عبريا ، وبعضها سريانيا ، وهى لغات أعجمية . وقد ترجمها الله تعالى لنا الى العربية ، وعرفنا ذلك لتأسى بما فعله ، وتنبع مأسته .

قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَهُهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا ، وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

إنذار الكافرين الذين قالوا : اتخذ الله ولدا

ومعنى هذه الآيات : أن الله تعالى أنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن لينذر به الكافرين بالهول والعذاب ، ويدشر المؤمنين بالأجر والثواب ، وينذر به الذين قالوا : اتخذ الله ولدا . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !

(١) الفترة : المدة التى تنقضى بين إرسال رسولين .

(٢) سورة الشعراء . آية ١٩٦ (٣) سورة الكهف . من آية ١ الى آية

فهل بعد هذا نقول : لا تجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأعجمية . وبذلك نوقف هذا الإنذار ، ونعوق ذلك التبشير . خصوصا عن الأمم الأعجمية التي قالت — ولا تزال تقول : — اتخذ الله ولدا ، اتخذ الله ولدا .

قال تعالى : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّنَذِيرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ^(١) ﴾ .

إنذار الظالمين
وتبشير المحسنين

فقد جعل الله تعالى في هذه الآية القرآن نذيرا للذين ظلموا — وهم الكفار . لا فرق بين عربهم وعجمهم ، شرقيهم وغربيهم — فكيف تنذر به الأعاجم إن لم يترجم إلى لغاتهم ، ويصير في متناول عقولهم ، وألسنتهم ، وأذهانهم ؟ قال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ^(٢) ﴾ .

القرآن هو البلاغ
الواجب التبليغ

أى : ليس على الرسل عليهم السلام سوى التبليغ المبين ، الموضح . فهل إذا أبلغت عربيا بالانجليزية ، أو إنجليزيا بالعربية ، تكون مبينا له ، أو مبهما عليه ؟

لا شك في أن الإبانة : هى التبليغ بلغة المبلَّغ إليه ، لا بلغة المبلَّغ . ولا ريب في أن ما عدا ذلك لا يكون تبليغا ، ولا يكون إبانة .

وجوب ترجمة
نفس القرآن
لا أحكامه

قد يقول قائل : إن البلاغ لا يجب أن يكون نفس القرآن ، بل يكفي ما يوصل إلى التوحيد ، والأوامر والنواهي فحسب .

وللاجابة على ذلك : نكتفى بأن نورد قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ ^(٣) ﴾ أى « هذا » القرآن « بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ » جميعا : عرب وعجم . فالقرآن نفسه هو البلاغ ، وهو الواجب التبليغ ، وبالتالي واجب الترجمة لجميع الأمم .

(١) سورة الأحقاف . آية ١٢ (٢) سورة النحل . آية ٣٥

(٣) سورة إبراهيم . آية ٥٢

قال الله تعالى : ﴿ أَتَبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(١) . فهل يرى
المسانعون أن أمة الإنجليز — مثلا — أو الطليان ، أو الفرنسيين ،
أو الألمان ، مكلفون باتباع هذا القرآن ، بنص هذه الآية أم لا ؟

هل الأعاجم
مكلفون أم لا ؟

وإذا كانوا مكلفين باتباعه مع تحريم ترجمته إليهم ، ومع عدم معرفتهم
للغة العربية — التي هي لغة القرآن — فكيف يكلفهم الله تعالى ما لا
يطيقون ، وهو القائل : ﴿ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(٢) .

وإذا كانوا غير مكلفين بالاتباع ، فهل هم مسئولون ، ومجزون ،
ومحاسبون أم لا ؟

وقال تعالى أيضا : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُتَّبِعُهُ وَانْقُورْ
لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾^(٣) .

فإذا نحن قلنا بمنع الترجمة ، كان الأمر باتباع القرآن قاصرا على أمة
العرب فقط ، وتكون سائر الأمم الأخرى غير مكلفين ، وغير معذيين ، وغير
مسئولين .

وإذا قلنا : انهم مسئولون ، نسبنا إلى المولى تعالى أنه ما أنشأهم
إلا ليعذبهم ، وما خلقهم إلا ليظلمهم . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) .

وجوب تلاوة
القرآن على الكفار
بلغتهم

(١) سورة الأعراف . آية ٣ (٢) سورة الأنعام . آية ١٥٢

(٣) سورة الأنعام . آية ١٥٥ (٤) سورة البقرة . آية ١٥١

يؤخذ من هذه الآية: أن من شرائط وصول القرآن؛ أن يتلى على القوم المراد إيمانهم: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ وَيُفْهَم وَيُعَلِّم . وتلك التلاوة وهذا التفهيم والتعليم بلغتهم طبعاً يا ذوى العقول والأفهام .

وكما أن الله تعالى خص محمداً صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة ، وبالبعثة الى الخلق كافة ؛ فقد خص أمته بورثة الأنبياء في التبليغ وأداء الأمانة .

وقد جعل كل نبي شهيداً على أمته ، وجعل هذه الأمة شهيدة على سائر الأمم . قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ^(١) .

وقال تعالى على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنْ تَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ^(٢) .

ومعنى هذه الآية: أن من سمع القرآن واتبعه ؛ فقد اهتدى ، ومن سمعه ولم يتبعه ؛ فقد ضل .

أما الذى لم يسمع ، ولم يقرأ ، ولم يتلى عليه القرآن . بل وأهل القرآن أنفسهم يحرمون عليه لمس المصحف ومسه ؛ فهذا بلا شك غير ضال ، وغير معاقب ، وغير مسئول . بل الضال كل الضلال ، والمعاقب كل العقاب ، والمسئول كل السؤال ؛ هو الذى أُمِرَ بالتبليغ فلم يبلغ ، وعُهِدَ إليه بالتيسير فلم يسر ، ووَكِّلَ إليه التبيين فلم يبين .

من لم يسمع القرآن
لا يعاقب

(١) سورة البقرة . آية ١٤٣

(٢) سورة النمل . آية ٩٢

قد يقول قائل : إن منطوق هذه الآية وما سبقها من الآيات : أن نتلو القرآن على الكافرين بلسة القرآن التي نزل بها ، لأنه لا يسمى قرآنا إذا انفصل عن عربيته التي نزل بها .

وجوابنا على هذا : أن سنة الله تعالى في عبادته أن يخاطبهم بما يفهمون ، ويكلفهم ما يطيقون ، ويأمرهم بما يستطيعون ، ولم تجر سنته تعالى أن يكلف الأعمى بالإبصار ، والأبكم بالبيان ، والأصم بالسماع ، والكسيح بالسبق . ولا أن يكلف الأعجمي بالعربية ، والعربي بالأعجمية (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ (١)) .

ودليلنا في هذا هو دليل المانعين الذي يتمشقون به في كل حين . وهو قوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (٢)) .

ومعنى ذلك : يا أيها العرب إنما لم نكلفكم شططا ، ولم نلزمكم رهقا ، وإنما خاطبناكم بلغتكم التي درجتم عليها ، وسكنتم إليها .

والخلق جميعا — عجمهم وعربهم — أمام الخالق تعالى سواء . فكيف ^{وَسَوَاءٌ} ييسر للعرب ، ^{وَسَوَاءٌ} ويعسر على العجم ، ويهدي العرب ، ويضل العجم ، ^{وَسَوَاءٌ} ويسعد هؤلاء ، ويسقى هؤلاء ، وينعم هؤلاء ، ويعذب هؤلاء ، ويرسل للعرب قرآنا يهديهم به ، ويحرم على العجم تلاوته ومسه ؟

إن الله تعالى قد يسر للجميع ، وهدى الجميع ، وأعد النعم لمن أحسن ، والعذاب لمن أساء ، وأرسل القرآن لجميع الخلق (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٣)) .

الخلق كلهم
سواء
أمام خالقهم

(١) سورة فصلت . آية ٤٤ (٢) سورة يوسف . آية ٢

(٣) سورة يوسف . آية ١٠٤

فما بال المعارضين يحاولون تحميل البشر ما لا يطيقون ، وتكليفهم بما لا يفهمون ، وأمرهم بما لا يستطيعون .

اللهم إن الحق بين لا يحتاج إلى مدافع ، والدليل ناصع لا يقوى على دفعه معارض .

وليس أمامنا الآن إلا إحدى اثنتين :

إما أن نعتبر سائر الناس — عدا الأمة العربية — غير مكلفين ، وغير مسئولين ، وغير مجزيين . وفي هذه الحال نعطل دعوة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، وأنه أرسل إلى الناس كافة .

وإما أن نعتبرهم مسئولين ، ومكلفين ، ومجزيين .

وهنا يجب إبلاغهم ما بلغنا ، وإرشادهم إلى ما أرشدنا إليه ، وهدايتهم إلى ما هدينا له ، وإثارة قلوبهم وأفئدتهم بما أثار قلوبنا وأفئدتنا .

القرآن هو السبب
الوحيد للإيمان

أفرايتم لو أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم جاءنا فقال : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فآمنوا بي . وسكت ولم يبسط دليلا على رسالته غير هذه الدعوة ، ولم يُقيم برهانا على صدقه . ألا ترون أن جميع الناس في حلٍّ من تكذيبه وعدم اتباعه ؟

لكن الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم جاءنا فقال : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم . فكذبناه ، وأذيناه ، وحاربناه ، وبغضناه بالقرآن ، فطأنا رؤسنا تسلياً وطاعة وانقيادا !

لقد جاء الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بالقرآن عربيا ؛ فلم
تؤمن له سائر العرب ، بل وكذبه أكثرهم ؛ فما بال المعارضين يريدون أن
تؤمن به الأعاجم من غير قراءة ، ولا تدبر !

لم يؤمن سائر
العرب بالقرآن
فكيف يؤمن
الكفار بغير
القرآن

اللهم إن هذا صد عن الدين ، وطعن في عقلية المسلمين !

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ^(١) ﴾ . ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ^(٢)
لِلْعَالَمِينَ ﴾ . ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ^(٣) ﴾ : أى إن هذا القرآن أنزل
ليتذكر به سائر الإنس ؛ عربهم وعجمهم — بل وسائر الجن أيضا —
فما قول المعارضين في هذا ؟

لم ينزل القرآن
لأمة دون أخرى

يقول الله تعالى : إن هذا القرآن قد أنزلناه لسائر الناس . ونريد نحن
أن نقصر الدعوة على أنفسنا فحسب . كأن الله تعالى وقف دينه على أمة
العرب وحدها ، واختصها من بين سائر الأمم — وكثير ما هم — بالجنة ،
وحرماها على بقية الأمم ، بل وحرم الأمم الأخرى من نعمة سماع القرآن ،
أو تفهيمه ، أو قراءته .

قد يقول معاند — بمناسبة إيراد هذه الآية — حيث أنك تريد أن
توجب على الأمة العربية تبليغ القرآن لسائر الناس ، وهذه الآية تقرر أن
القرآن قد نزل لسائر الإنس والجن ، وقد علمنا كيف نبليغه لغير العرب
بالترجمة ، فقل لنا كيف نبليغه الى الجن أيضا ؟

تبليغ القرآن
الى الجن

وجوابنا على ذلك : أن النصوص القرآنية قد توافرت — كما قدمنا —
على وجوب تبليغ القرآن الكريم لسائر الناس ، عربهم وعجمهم .

(١) سورة الفلم . آية ٥٢ (٢) سورة يوسف . آية ١٠٤ (٣) سورة الأنعام . آية ٩٠

أما تبليغه الى الجن فقد قامت به فتنة من الجن أنفسهم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ ﴾^(١) . وقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ ﴾^(٢) .

(١) سورة الجن آية ١

(٢) « وإذ صرفنا اليك نفرا » : أى أملناهم اليك ، وأقبلنا بهم نحوك . والنفر : دون العشرة

(٣) « فلما حضروه » : أى حضروا مجلس القرآن بحيث كانوا يسمعون من النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم .

(٤) « فلما قضى » : أى انتهت قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للقرآن .

(٥) « أجيبوا داعي الله » : أى مجدا صلى الله تعالى عليه وسلم .

روى أن الجن كانت تسترق السمع من السماء ، فلما حرست السماء ، ورجعوا بالشبه ؛

قالوا : ما هذا إلا لنبيأ حدث . فنهض سبعة نفرأ أو تسعة من أشرف الجن حتى بلغوا تهامة ،

فوافوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصى ، فاستمعوا لقراءته .

وقيل : بل أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن ينذر الجن و يقرأ عليهم القرآن .

وقد صرف اليه نفرأ منهم . فقال لمن حضره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : إني أمرت أن

أقرأ الليلة على الجن فن يفتني؟ قالوا فلا . فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه .

قال عبد الله بن مسعود : لم يحضره ليللة الجن أحد غيرى : لقد انطلقنا حتى اذا كنا بأعلا

مكة في شعب الحجون ، فغطى لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطا ، وقال : لا تخرج منه

حتى أعود اليك . ثم انتح القرآن ، وسمعت لغطا شديدا ، فلما عاد قال : هل رأيت شيئا ؟

قلت : نعم رجالا سودا . فقال : أولئك جن نصيبين ، وكانوا اثني عشر ألفا .

(٦) سورة الأحقاف . من آية ٢٩ الى آية ٣١

وقد جرت عادة القرآن الكريم على الإيجاز . وهو ضرب من ضروب بلاغته وإعجازه .

فيؤخذ من هذه الآيات أن نفرا من الجن كانوا يستمعون القرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانوا يبلغونه الى قومهم .

أما كيف كان الاستماع ، وكيف كان التبليغ ؟ وهل كانت لغة الجن العربية ، أم السريانية ، أم العبرية ؟ فهذا أمر لا يعلمه سوى الله تعالى . وإنما الذى علمناه وتيقنناه أن تمت سماع وتبليغ ، وأن ذلك التبليغ كان بلغة الجن أنفسهم : عربية كانت أو أعجمية .

وهناك آيات قرآنية لو أولناها على ظاهرها ؛ لقصرنا الإنذار — لا على أمة العرب جميعها — بل على آل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقط . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(١) . فلو أخذنا ذلك المعنى على ظاهره ؛ لكان الدين وقتنا على الأقرب من عشيرة الرسول عليه السلام فقط .

بإنذار أمة العرب
يتم إنذار باقي
العالم

ولكن المنطق السليم يقول : انه صلى الله تعالى عليه وسلم بإنذار عشيرته ؛ يتم إنذار أمة العرب ، وبإنذار أمة العرب ؛ يتم إنذار بقية العالم . وهذا هو المعقول والمقبول ، الذى لا يرتضى العقل سواه .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا : صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَىٰ جَنْبَيْهِ الصَّرَاطِ أَبْوَابٌ مُّقْتَحَنَةٌ ، وَعَلَىٰ الْأَبْوَابِ سِتُورٌ مُّرَحَّاةٌ ، وَعَلَىٰ

مثل القرآن
والإسلام

(١) سورة الشعراء . آية ٢١٤ (٢) « صراطا » : طريقا .

رَأْسِ الصَّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَذْخُلُوا الصَّرَاطَ وَلَا تَعْرِجُوا. فَالصَّرَاطُ: الْإِسْلَامُ.
وَالسُّتُورُ: حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْأَبْوَابُ: مُحَارِمُ اللَّهِ. وَالْدَّاعِي: الْقُرْآنُ.

فما قول السادة المانعين فيمن لم يرهذا الصراط ، ولم يعلم تلك الحدود
ولم يفقه هذه المحارم ، ولم يسمع ذلك الداعي ؟

عدم الترجمة
موجب للغة

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ^(٢) ۝

وأى كتمان للقرآن — الذى أنزل للناس كافة — أشد من منعه عن
أكثر الأمة المحمدية ، وحبسه عن سائر الأقطار الغير العربية ؟

وقد نعى الله تعالى على أهل الكتاب كتمانهم عن الناس بعد أن أمرهم
بتبيينه حيث قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ^(٣) ۝

مخاطبة كل
إنسان بلغته

ولا شك أن كل إنسان يجب أن يخاطب بلغته التى يفهمها ، ولهجته
التى درج عليها . وليس من المعقول ، ولا من المقبول أن يتعلم العربية
ليقرأ بها القرآن كما قال المانعون .

أفرايتم لو أن رجلا جاء فقال : يا أيها العرب تعلموا الانجليزية لأننى
قد جئتكم بكتاب انجليزي من عند ربكم ، فيه من الأحكام والهداية ما فيه .
أكنتم متبعية الى ما يقول ، أو مصدقيه فيما يدعى ؟

(١) عرج على المكان : أقام فيه . والمعنى : امشوا على هذا الطريق المستقيم ، الذى هو
الإسلام . ولا تدخلوا هذه الأبواب ، فانها محارم الله تعالى .
(٢) سورة البقرة . آية ١٥٩ (٣) سورة آل عمران . آية ١٨٧

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن العربي ، لأمة العرب . وقد
بز بلاغته الفصحاء ، وأحرس ببيانه البلقاء ، فما آمن له منهم إلا قليل .
فكيف بالأعاجم إذا هم كلفوا بالعربية ؟

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ۚ ﴾ .

من سمع القرآن
ولم يعمل به
فهو كالأصم

ومعنى هذه الآية — لمن عنده أدنى تأمل — قل يا محمد : إن هذا
القرآن يهدي الذين آمنوا الى طريق الفلاح ، ويرشدهم الى سبيل النجاح ،
وينقذ نفوسهم من العصيان ، ويشفي قلوبهم من الأدران . وأما الذين
يسمعونه ولا يؤمنون به ، ففي آذانهم صمم^(٢) .

فكيف يحكم الله تعالى على أقوام بالصمم — المجازى لا الحقيقى —
بدون أن يسمعهم الآيات ، ويلسّر لهم تناولها وقراءتها ؟

إن الله تعالى — الذى وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ — قد أبى أن يكلف
النفوس بما يشق عليها ، أو يشغل كاهلها . حتى بلغ من رحمته بعباده وقت
نزول القرآن ، أن جعله لكل قبيلة من القبائل بلغتها ولهجاتها .

رحمة الله تعالى
بعباده

واللغات جميعها مخلوقة لله تعالى ، لأفضل اللغتين على أخرى ، كما لأفضل
لجميل على قبيح ، إذ أن القبح والجمال مخلوقان لله تعالى أيضا .

اختلاف اللغات
من آيات الله

والمقصود من اللغات : الإبانة عن المقاصد والرغبات ، لا فرق
فى ذلك بين عربية وانجليزية ، أو فرنسية وألمانية ، أو تركية وبربرية .

(١) سورة فصلت . آية ٤٤

(٢) شبههم الله تعالى بالصمم ، حيث إن حالهم كحالهم . لأن الأصم لا يستفيد بما ينزل
عليه ، وهم أيضا لم يستفيدوا بما يسمعون من الآيات والعظات .

افتقار العربية
إلى الاصطلاحات
الأعجمية

هذا ولا نغمط اللغة العربية حقها إذا نحن قلنا : انها — رغم عظمتها وسموها وغناها — لا تزال تفتقر إلى بعض الألفاظ الأعجمية ، وقد سار القرآن الكريم على هذا النهج ؛ فعبّر ببعض الكلمات الأعجمية ، ليعلمنا جواز ذلك ، ويعرفنا أن اللغات جميعها تستوى أمام خالقها ومنشئها ، ومجريها على الألسن . وأن اختلافها لم يكن إلا آية من آياته البينات . ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّسَانِ وَالْوَالِدَاتِ ﴾ (١) .

خطأ مجمع
اللغة العربية

وقد أخطأ مجمع اللغة العربية خطأ شنيعا ؛ إذ يحاول أن يضع لكل مسمى ؛ اسما عربيا ، وقد وقع في محاولاته هذه في التباسات عجيبية ، واشتقاقات غريبة ، وثقل لفظي من أشنع ما عرف في لغة من اللغات من بدء الخليقة حتى الآن .

لقد أطلق المجمع على بعض المسميات — السهلة في النطق والفهم — أسماء ما أنزل الله بها من سلطان : كالطربال^(٢) ، والبرطيل^(٣) ، والوشيجة^(٤) ، والشجاجة^(٥) ، والصبور^(٦) ، والبظ^(٧) . وأمثال ذلك من الألفاظ الثقيلة في النطق ، والسمع ، والفهم .

(١) سورة الروم . آية ٢٢ . (٢) الطربال : العارة الكبيرة . مع أن هذا اللفظ تشترك فيه معان عدة . منها : الصخرة والقطعة من الجبل .

(٣) البرطيل : الحجر الكبير (البطيخ) وهذا اللفظ أيضا تشترك فيه معان عدة ، منها : الحديد والمعول ، والرشوة .

(٤) الوشيجة : الخوايز ، حديدية كانت أو خشبية . وهو أيضا يطلق على ما يشبه الحصير ، وما يس من الشجر فسقط ، وعلم الثوب ، وخشبة الحائك ، وغير ذلك .

(٥) الشجاجة : سيفون المرحاض . (٦) الصبور : دولا ب المطبخ .

(٧) البظ : تحريك المغني لأوتاره تهبة لها .

وقد غاب عن حضرات أعضاء المجمع الموقر أن الله تعالى قد عبر
في القرآن - وهو خير الكلام - بألفاظ أعجمية كثيرة من لغات شتى .
وذلك لأن هذه الألفاظ قد استعملتها العرب في كلامهم ، فلم يعدل عنها
القرآن الكريم الى غيرها ؛ لسهولة اللفظة الأعجمية على ألسن العرب .
والمجمع بفعلته هذه يحاول ما لم يحاوله رب الخلق تعالى . إذ أن القرآن
الكريم قد احتوى ألفاظاً كثيرة من لغات متعددة ، فلم يغيرها لشيوعها ،
وسهولتها على الألسن كما قدمنا .

الكلمات الأعجمية في القرآن

وقد كان ذلك بسبب اختلاط الأعاجم بالأمة العربية قبل نزول القرآن؛ فانحدرت اليهم ألفاظ من لغاتهم، واستعملتها العرب حتى حسبت من لغتهم وما هي منها. وذلك لذيوع هذه الألفاظ واشتوارها في ذلك العهد — كما قدّمنا — ولعدم وجود ما يقوم مقامها بالتحديد في أصل اللغة. كلفظة: «سُنْدِس» . وهو ما رُقّ من الديباج، و «إِسْتَبْرَق» . وهو ما غلظ منه.

الألفاظ الأعجمية
المعربة

والديباج أيضا: لفظة أعجمية معربة، تطلق على الثوب الذي سدها ولحمته من حرير صافٍ.

هذا في حين أن اللغة العربية ليس فيها سوى لفظة «حرير» . تطلق على ما رُقّ وغلظ منه، وعلى ما كانت سدها ولحمته من حرير، أو سدها من حرير ولحمته من نسيج آخر.

وقد زعم بعض أهل العربية أن القرآن الكريم ليس فيه من كلام الأعاجم شيء، وأنه كله — جملة وتفصيلا — بلسان عربي؛ يستدلون على هذا بقوله جل شأنه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، وقوله: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢). وقد فاتهم أن وصف القرآن بالعربية؛ هو بمعنى أنه نزل

(١) سورة الزخرف . آية ٣

(٢) سورة الشعراء . آية ١٩٥

بما تنطق به العرب بألسنتها ، وتفهمه بعقولها ، ولم ينزل بما هو شاق عليهم غريب عن أذهانهم .

وذلك أن بعض الألفاظ الأجنبية انحدرت الى العرب بسبب اختلاطهم بالعجم كما قدمنا ، فعزبتها بألسنتها ، واستعملتها في مخاطبتها ومحادثاتها ، وصارت من مفردات اللغة العربية . وليس هذا بضائرها ، فاللغات كلها إن هي إلا مجموعة من لهجات ولغات غريبة عن أصل اللغة ، وتصير لغة أصلية بطول الاستعمال ، وكثرة الممارسة . وهذا واضح تمام الوضوح في سائر اللغات ، خصوصا اللغات الغربية . وتوجد ألفاظ عدة تشترك فيها أكثر من لغة واحدة كما سيأتى :

تعريب بعض
الألفاظ الأجنبية

واللغة العربية تعتبر بحق أغنى لغات العالم بكثرة اصطلاحاتها ومفرداتها ومشتقاتها .

اللغة العربية
أغنى اللغات

وقد جاء في القرآن الكريم كثير من الألفاظ الأجنبية من شتى اللغات ، وقد جمعها العلامة جلال الدين السيوطي في مؤلف خاص أسماه « المتوكلي »^(١) وسنوردها جميعا إتماما للفائدة :

ورد في القرآن الكريم باللغة الحبشية : « شَطْرَ » : تِلْقَاءُ . « الْحَبْتُ » الشيطان . « الطَّاغُوتُ » : الكاهن . « حُوبًا » : إثمًا . « الْأَوَاهُ » : الموقن ، أو المؤمن . وقيل : الْأَوَاهُ : الرحيم . « أَبْلَعِي » : ازدردي .

ما جاء في القرآن
بالحبشية

(١) « المتوكلي » : نسبة الى الخليفة المتوكل على الله العباسي ، حيث أمره بتأليف هذا الكتاب . وقد اقتدى السيوطي في هذه التسمية بالإمام أبي بكر الشاشي حيث ألف كتابا في الفقه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وسماه « المستظهرى » .

« الْمُتَنَكُّ » : الأترج . « طُوبَى » : اسم الجنة . « السَّكْرُ » : الخمر .
 « طَه » : يا رجل . « وَحَرَمَ » : وَجَبَ . « السَّجَلُ » : الرجل .
 « الْمَشْكَاةُ » : الكوة ، والطاقة . « أَوَّي » : سَبَّحَى ، و « الْأَوَّابُ » :
 المسيح . « الْعَرِمَ » : الْمُسْنَأَةُ التي يجتمع فيها الماء ثم ينشق . « الْمِنْسَاءَةُ » :
 العصا . « يَسَ » : يا إنسان . وقيل : يا رجل . « كِفْلَيْنِ » : ضعفين .
 « نَاشِئَةُ اللَّيْلِ » : قيام الليل . « مُنْفِطِرُهُ » : ممثلة به . « الْقَسُورَةُ » :
 الأسد . « يُحُور » : يرجع . « الْأَرَائِكُ » : السرر . « الدَّرَى » :
 المضىء .

وورد فيه أيضا باللغة الفارسية : « الْإِسْتَبْرَقُ » : الديباج الغليظ .
 « كُورَتُ » : غُورَت . « مَقَالِيدُ » مفاتيح .

ووردت أيضا ألفاظ يُظَنُّ بآدئ ذى بدء أنها من العربية ، وهى من
 صميم اللغة الفارسية . فمن ذلك : « أَبَارِيقُ » ، و « يَبَعَ » ، و « كَنَائِسَ » ،
 و « التَّنُورُ » ، و « جَهَنَّمُ » ، و « دِينَار » و « الرِّسَّ » ، و « الروم » ،
 و « زَنْجَبِيل » ، و « سَبَّحِينَ » ، و « سُرَادِق » ، و « سَقَر » و « سَلْسِيل » ،
 و « سُنْدُس » ، و « قِرْطَاس » ، و « أَفْقَال » ، و « كَافُور » و « كَتَرُ » ،
 و « الْمَجُوس » ، و « الْيَاقُوت » ، و « الْمَرْجَان » .

وورد فيه أيضا باللغة الرومية : « فَصْرُهُنَّ » : قَطْعُهُنَّ . « الْفِرْدَوْسُ » :
 البستان ، أو الجنة . « الْقِسْطُ » : العدل . « الْقِسْطَاس » : الميزان .
 « طَفِيقًا » : قصدا . « الرِّقِيم » : اللوح ، وقيل : الكتاب ، وقيل :
 الدواة . « الصَّرَاطُ » : الطريق . « الْقِنْطَارُ » : اثنتا عشرة ألف أوقية .

ما جاء فى القرآن
بالفارسية

ما جاء فى القرآن
بالرومية

ما جاء في القرآن بالهندية
 (١) وورد فيه أيضا باللغة الهندية : « ابلعي » : اشربي . « طوبى » اسم
 (٢) الجنة . « السندس » : رقيق الديباج .

ما جاء في القرآن بالسرانية
 وورد فيه أيضا باللغة السرانية : « سرياً » : نهرا . « طه » :
 يارجل . « جنات عدن » : الكروم والأعنان . « الفردوس » : جنات
 الأعنان . « الطور » : الجبل . « الذين يمشون على الأرض هونا » :
 هم العلماء . « هيت لك » : عليك . « ولات » : وليس . « رهوا » :
 ساكنا . « مجددا » : أى مقنعي رؤوسهم . « القيوم » : الذى لا ينام .
 « الأسفار » : الكتب . « القمل » : الذباب . « السيم » : البحر .
 « وصلوات » : كائنات . « القنطار » : ملء جلد ثور ذهب أو فضة .

ما جاء في القرآن بالعبرانية
 وورد فيه أيضا باللغة العبرانية : « كفر » : محا . « الذين يمشون
 (٨) على الأرض هونا » : هم العلماء . « اخلد » : ركن . « هدنا » : ثبنا .
 « مرقوم » : مكتوب . « الرمز » : تحريك الشفتين . « الفوم » :

(١) في اللغة الحبشية : ازدردى ، وهما بمعنى واحد .

(٢) وقد وردت هذه اللفظة أيضا بهذا المعنى في اللغة الحبشية .

(٣) وقد وردت هذه اللفظة أيضا بهذا المعنى في اللغة الفارسية .

(٤) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة الحبشية .

(٥) أقنع رأسه : رفعه .

(٦) وردت هذه اللفظة في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل » . وقد

ثبت الآن أن الذباب مصدر لشيء أنواع الأمراض المهلكة الفتاكة .

(٧) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الرومية بمعنى اثنا عشرة ألف أوقية ، وفي اللغة البربرية

بمعنى ألف مثقال من ذهب أو فضة .

(٨) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

الحنطة . « الأَوَّاهُ » : الداعي . « طُوًى » : اسم رجل ، وقيل : طُوًى :
ليلا . « السِّمُّ » : البحر .^(١)

وورد أيضا في الكتاب الكريم : « دَرَسَتْ » ، و « حِطَّةٌ » ،
و « الْأَسْبَاطُ » ، و « رَاعِنَا » ، و « لَبِنَةٌ » و « الْقَيْسِيَّيْنَ » . وكلها عبرانية .

وورد فيه أيضا باللغة النبطية : « أَصْفَارًا » : كتبنا .^(٢) و « السَّفَرُ » :
الكتاب . « الْحَوَارِيُّونَ » : الغسالون للشباب . « سَرِيًّا » : نهرا .^(٣)
« السَّفَرَةُ » : القراء . « فَصْرُهُنَّ » : قَطَّعْنَهُنَّ . « طَهَ » : يا رجل .^(٤)
« الطُّورُ » : الجبل . « الْفِرْدَوْسُ » : الكَرَم . « الْمَلَكُوتُ » : المُلْكُ .^(٥)
« هَيْتَ » : هَلُمَّ . « إِلَّا » : الإِلَّ : اسم الله تعالى . « رَهَّوَا » : سهلا .^(٦)
« عَبَدْتَ » : قتلت . « وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ » : أى أمامهم . « قِطْنًا » :
بالنبطية

(١) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

(٢) وهى لغة النبط : وهم قوم من الأعاجم كانوا ينزلون بين العرافين ، ثم استعمل
في أخلاط الناس وعوامهم . ومنه يقال للكلمة العامية : كلمة نبطية (بفتح النون والباء) . ولكن
الألفاظ التى أوردناها وجاءت في القرآن الكريم هى منسوبة للأعاجم الذين كانوا ينزلون من
قبل بين العرافين ، وقد ذاعت لغتهم بين العرب قبل نزول القرآن ، وعربوا كثيرا من ألفاظها ،
فأخذ القرآن منها ما استعرب واستعملته العرب .

(٣) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

(٤) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

(٥) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة الرومية .

(٦) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغتين السريانية والحبشية .

(٧) وقد وردت أيضا بهذا المعنى في اللغة السريانية .

(٨) وقد وردت أيضا بمعنى البستان ، في الرومية .

(٩) وقد وردت أيضا بمعنى سائح ، في السريانية .

كاتبنا . « إصْرِي » : عهدى . « كَفَّرُ » : ^(١) امح . « الْمُقَالِيدُ » : ^(٢) المفاتيح .
« كَفَلَيْنِ » : نصيين ^(٣) . « أَلِيمٌ » : البحر ^(٤) . « لَا وَزَرَ » : لا ملجأ ، وهو
الجبيل .

وورد فيه أيضا باللغة القبطية : « الْمُتَكَّا » : الأترج ^(٥) . « مَنَاص » :
فرار . « مُرْجَاةٌ » : قليلة . « فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا » : من بطنها . « بَطَّائِنُهَا » :
ظواهرها . « الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى » : الآخرة . « فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ » : الأولى .
واللغة القبطية تسمى الآخرة : الأولى . والأولى : الآخرة .

ما جاء في القرآن
بالقبطية

وورد فيه أيضا باللغة التركية : « غَسَاقًا » : وهو البارد المنتن بلسان
الترك .

ما جاء في القرآن
بالتركية

وورد فيه أيضا باللغة الزنجية : « حَصَبٌ » : حطب . « الْأَلِيمُ » :
الموجع . « الْمُنْسَاءُ » : العصا .

ما جاء في القرآن
بالزنجية

وورد فيه أيضا باللغة البربرية : « الْمُهْلُ » : عكر الزيت . « إِنَاهُ » :
نُضْجُهُ . « الْجَمِيمُ » : الذي انتهى حره . « مِنْ عَيْنِ آيَةٍ » : جارية .
« يَصْهَرُ بِهِ » : ينضج به . « الْأَبُّ » : الحشيش . « الْقَنْطَارُ » : ألف
مثقال من ذهب أو فضة .

ما جاء في القرآن
بالبربرية

(١) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة العبرانية بهذا المعنى .

(٢) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الفارسية بهذا المعنى .

(٣) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الحبشية بمعنى ضعفين وهما بمعنى واحد .

(٤) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة السريانية بهذا المعنى .

(٥) وقد وردت هذه اللفظة في اللغة الحبشية بهذا المعنى .

القرآن يجمع
الكثير من اللغات

وهكذا تجدد أن القرآن الكريم يكاد أن يجمع بين دفتيه سائر اللغات
الدائمة الشائعة في وقت نزوله .

وهو بذلك يحثنا ويرغبنا في تعلم اللغات ، والإحاطة بعلوم ومعارف
الأمم الأخرى ، ويعزفنا أيضا أنه لا غضاضة أصلا في إطلاق الأسماء
الأعجمية — التي اشتهرت — على مسمياتها ؛ بدون حاجة إلى التمسك بالأسماء
العربية ما دامت لا تؤدى إلى المعنى المطلوب ، أو لاشتغال الاسم الأعجمي
عليها .

تمسك المجمع
بتعريب الأسماء
الأعجمية

وقد زاد من خطأ مجمع اللغة العربية أن تمسك بتعريب أسماء المسميات
التي اشتهرت بأسماء أعجمية ، أو المسميات التي انحدرت إلينا من الغرب
بأسمائها الأعجمية .

وذلك كقولهم : «البطباظة» مكان الفطارة ، و «الدودية» : مكان
المكرونة ، و «العريف» : مكان الصاغ ، و «الزاجل» : مكان
البكاشي ، و «حامى الحمى» : مكان سردار الجيش ، وغير ذلك .

هذا في حين أننا لسنا في حاجة إلى كل هذا التعسف والتحمل .
ولا حرج مطلقا في استعمال الاسم الأعجمي للمسمى العربى ، وبالأحرى الاسم
الأعجمي للمسمى الأعجمي . وبذلك جاءت لغة القرآن كما قدمنا .

إبدال المجمع
لأسماء مشهورة
بأخرى مهجورة

ولم يقف المجمع عند هذا الحد ؛ بل أبدل أسماء عربية مشهورة ،
بأسماء أخرى مهجورة .

فمن ذلك : القميص . فقد قبح في نظرهم ؛ فأبدلوه باسم «قَرَقُل» .

ولعلك تظن أيها القارئ أنني أمزح ، وأن هذه اللفظة من بنات أفكارى بقصد التشنيع على أعمال المجمع ؛ ولكك لو علمت أن هذه الكلمة عربية بحتة لعذرتنى وعذرت أعضاء المجمع أيضا . فقد أوردت كتب اللغة هذه اللفظة بمعنى : القميص ، أو ثوب للمرأة بدون كمين .

فانظر بربك أيها المنصف إلى سوء هذا الاختيار ، وثقل هذا اللفظ على النطق والسمع .

لما كانت أمة العرب من أحط الأمم ؛ كان من الحكمة أن توجه إليها الزواجر ، وتترل عليها النواهي والأوامر ، وتكون الشرائع والقوانين بلغتها ، حيث أنها أمس الأمم حاجة إلى الهداية ، وأقربها من طريق الفواية .

سبب نزول القرآن
بالعربية دون
سائر اللغات

لقد كانوا يقتلون أبناءهم ، ويشدون بناتهم ، ويبيعون نساءهم ، ويسخرون بفقرائهم ، ويسبون أحرارهم ، ويعذبون عبيدهم ، ويفخرون بفسقهم وبخورهم .

حتى لقد بلغ من جهل بعضهم وحمقه — بعد أن ثبت له صحة الإسلام ، وفساد ما هو عليه من عبادة الأصنام — أنه لم يرتجع عن ضلاله ، خشية أن يقال عنه : أنه ترك ملة آبائه وأجداده .

وكانوا يترقجون أزواج آبائهم ، ويكرهون فتياتهم على البغاء .

وقد بلغ من حطهم وجهلهم أن قالوا : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَلْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١) وكان الأجدر

بهم ، والأسلم لعاقبتهم ، أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ، ووفقنا للتمسك به .

لقد كانوا يعبدون الأصنام ، وهى أحط العبادات ، وأخس المعبودات .

ولقد اتخذوا هذه الأصنام من حجارة ، ومن حديد ، بل ومن عجوة أيضا .

فمن أحق من الأمة العربية — وحالتها كما قدمنا — بتزول القرآن ؟ ومن أحق منها بالهداية والإرشاد ؟

وبالجملة فإن أمة العرب قبل الإسلام كانت فى نهاية الخطية ، وغاية الجهالة .

الأمة العربية
من أحط الأمم
قبل الإسلام

لقد كانوا كالأنعام ، بل أضل سبيلا من الأنعام ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ^(١) .
﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ^(٢) .

ولم يكن لهم قانون يحكمون به ، أو دستور يرجعون إليه .

فى حين أن دولتا الفرس والرومان كانتا ذات حضارة راقية ، وأنظمة ثابتة ، وفلسفة عالية .

وكانت لهما قوانين يعملون بها ، ودساتير يمشون عليها .

وذلك بعكس أمة العرب الذين لم تجمعهم جامعة ، ولم تربطهم وحدة ، ولم يكن لهم ملك يضم شتاتهم .

(١) سورة الفرقان . آية ٤٤ (٢) سورة الأعراف . آية ١٧٩

فأى الأمم — فى عهد الرسالة — قريب من الغواية ؟ وأىها أحق بالهداية ؟

طبعاً لا يختلف اثنان فى أن أمة العرب — التى هى الآن أرق الأمم بلا مرأى — كانت أحط الأمم على الإطلاق ، وأولاهما بالنذر ، وأحقها بتزول ذلك القانون السماوى ، وأحوجها الى هذا النور الربانى .

وقد جاء فى كلام بعض المعارضين : أن الله تعالى لو شاء نقل القرآن الى اللغات التى يراد ترجمته اليها ؛ لأنزله بتلك اللغات ، أو لأنزله على رسل من عنده ، كل رسول باسان قومه . ولكنه لم يفعل ، بل جعله كتاباً عربياً ، فدل ذلك على أنه سبحانه لا يريد نقله الى لغات أخرى ، بل ويريد الله تعالى بذلك تعريب العالم كله .

عدم الترجمة
يزيد الأعاجم
بعداً عن العربية

وهذا الجحاج يذكركنا بحجاج المشركين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — وهو يدعوهم الى التوحيد — حيث قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) .

وهذا أيضاً يفتح باب الاحتجاج لطوائف كثيرة من الزنادقة ، تنكر عموم بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتزعم أنه رسول للعرب خاصة .

ولم تنزل الكتب بقصد توحيد الألسن واللغات ؛ بل جعل الله تعالى اختلافها من آياته البينات ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوِلْدَانِ ﴾^(٢) .

(١) سورة الأنعام . آية ١٤٨ (٢) سورة الزم . آية ٢٢

وقد جاء أيضا في كلام بعض المعارضين : أنه يخشى من أن تستعجم
العرب لو ترجمنا القرآن .

ترجمة القرآن
تستعرب الأعاجم

هذا في حين أننا وسائر العقلاء نؤكد أن بالترجمة تستعرب الأعاجم ؛
لأنك لو أذقت إنسانا قطعة من الحلوى فأعجبه طعمها ، وراق لديه ريحها ؛
سعى الى الحصول على ما يشبعه منها ، و يروى غلته .

فمثل الترجمة للأعاجم ، كمثل إذاقة الحلوى لهم ، ومن ذاق فانه
لا شك سارع الى هذا المعين ، وهو اللغة العربية .

وإذا كنا جميعا — مؤيدين ومعارضين — قد وافقنا على تفسير
القرآن ونقله من لغته الى لغة العامة ؛ ليستطيعوا فهمه ، فلم لانوافق على نقله
الى لغة أخرى لقوم آخرين ؛ ليستطيعوا فهمه وتدبره ، والعمل بما فيه ؟
وإذا حرمتنا الثانية ، فقد حرمت الأولى بالتبعية ، وفي هذه الحالة
نلزم العامة بتعلم المعلومات التي تؤهلهم الى فهم القرآن الكريم مباشرة
بدون تفسير .

حكم التفسير بحكم
الترجمة سواء بسواء

وإذا كان المعارضون — على غزارة علمهم ، وسعة اطلاعهم —
قد قضوا كل حياتهم ، وأمضوا زهرة شبابهم ، في البحث والتحصيل
والدراسة . وبعد كل ذلك أخطأوا في فهم آيات القرآن الكريم ،
وعكسوا معانيها ، وأضاعوا بهجتها ، ولم يعلموا ما يصح أن يكون حجة
لهم ، وما يصح أن يكون حجة عليهم ؛ فكم نطلب لعامة الناس من الأعمار ،
حتى يفهموا القرآن على حقيقته بدون تفسير ولا تأويل .

وقد قُتِرَ الإمام ابن حجر - وهو من كبار أئمة المحدثين - بوجوب الترجمة حيث يقول :

رأى الإمام
ابن حجر في
وجوب الترجمة

« إن الوحي متلوا أو غير متلوا ، إنما نزل بلغة العرب . ولا يرد على هذا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم قد بعث إلى الناس كافة ، عربا وعجماء وغيرهم ، لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربى ، وهو يبلغه إلى طوائف العرب ، وهم يترجمونه لغير العرب بالسنتهم »
« انتهى كلام ابن حجر »

وقال جارا لله الإمام محمود بن عمر الزمخشري ، صاحب الكشاف .
عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾^(١) :
« فإن قلت : لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم للعرب وحدهم ، وإنما بعث إلى الناس أجمعين ، بل إلى الثقليين ، وهم على السنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ؛ فلغيرهم من الأعاجم الحجة .

رأى الإمام
الزمخشري في
وجوب الترجمة

عدم الترجمة
حجة للأعاجم

قلت : لا يخلو إما أن يتزل بجميع الألسنة ، أو واحد منها . ولا حاجة لتزوله بجميع الألسنة ، لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى التطويل . فبقي أن يتزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة : لسان قبوم الرسول عليه الصلاة والسلام . لأنهم أقرب إليه ؛ فإذا فهموا عنه وتبينوه ، وتنوّل عنهم وانتشر ؛ قامت التراجم ببيانها وتفهمها ؛ كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم .

(١) سورة إبراهيم . آية ٤ (٢) الثقلان : الجن والإنس .

ولأنه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها^(١) ، وكان مستقلا بصفة الإعجاز في كل واحد منها ، وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها ، كما كلم أمته التي هو منها ، يتلوه عليهم معجزا ؛ لكان ذلك أمرا قريبا من الإجلاء^(٢) . « انتهى كلام الزمخشري »

وقد رووا فيما روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال :
« لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّالَهُ الْعَدُوُّ » .
النهي عن دخول المصحف أرض العدو

ولن أعرض لهذا الحديث بالنفي أو الإثبات . إذ هو يحمل بين طياته ما يدل على أنه ليس من كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه . فكيف يقول — وهو المكلف بتبليغ القرآن لسائر الناس عربهم وعجمهم — لا تسافروا بالقرآن لأرض العدو ؟

هذا في حين أنه مكلف من قبل ربه بحمله لسائر الأعداء قبل الأصدقاء .

كيف لا يحمل القرآن للأعداء ، وهم في عداد المخاطبين به ، المبشرين بوعده ، المنذرين بوعيده ؟ أليسوا من أهل الكتاب الذين خاطبهم القرآن بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ^(٣)) . (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ^(٤)) .

(١) اللغات الدائمة في العالم تبلغ حوالي سبائة لغة ، وقد جمعت الهند وحدها نيفا ومائتين .

(٢) الإجلاء : أى الإلزام بالإيمان ، بدون تحكيم للعقل والفهم والدليل .

(٣) سورة النساء . آية ٤٧

(٤) سورة آل عمران . آية ٦٤

وإن كانوا ليسوا من أهل الكتاب ؛ أليسوا من الكفار الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ^(١) ﴾ . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ^(٢) ﴾ .

وإن كانوا ليسوا من الكافرين ؛ أليسوا من اليهود الذين خاطبهم الله تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ^(٣) ﴾ .

وإن كانوا ليسوا من أهل الكتاب ، ولا من الكفار ، ولا من اليهود ؛ أليسوا في عداد الناس الذين خاطبهم القرآن بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ^(٤) ﴾ . وقد وردت في مواضع من القرآن الكريم تزيد عن الحصر .

فاذا ما اتضح لنا أن هذا كلام الله تعالى ، وهو في ظاهره وباطنه مُلْزِمٌ لحمل القرآن الى بلاد الأعداء ، سواء كانوا نصارى ، أو يهودا ، أو كفارا — أهل كتاب أو غير أهل كتاب — ألسنا في حل من أن نقول : ان هذا القول المروى ليس بقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنه قول يتنافى مع صريح القرآن ، والرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ! وكيف يخاف الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينال الكفار القرآن ، وهو مكلف بأن يُنِيلَهُمْ إياه ، ويطلعهم عليه ؟ وما الذى يحدث للقرآن إذا ناله الكفار والمشركون ؟ وهل يُذهِبُ من بهائِهِ ، وعظمتِهِ ، وروعته ؛ أن يكون بأيدي الكافرين ، كما هو بأيدي المؤمنين ؟

قد يقول قائل : إن الكفار إذا أمسكوا بالقرآن امتنوه وألقوه بدون إجلال له واحترام .

(١) سورة الكافرون . آية ١

(٢) سورة التحريم . آية ٧

(٣) سورة الجمعة . آية ٦

(٤) سورة البقرة . آية ٢١

إلقاء موسى
الألواح وتكسرها

وجوابنا على هذا: أين نحن من موسى عليه السلام؛ وقد ألقى الألواح على الأرض — وهي في حكم القرآن تماما — فتكسرت وتبعثرت وضاع بعضها (وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ^(١)) . فلم يكن هذا امتحانا لكلام الله المكلف بتبليغه .

هذا ولو أن هناك فرقا بين مظهر الامتحان من الحبيب ، والامتحان نفسه من العدو . ولكنها أمور يجب ألا يقام لها وزن عند نشر الدعوة ، لتعميم الرسالة .

جواز دخول
المصحف أرض
الكفار

وقد قال بعض فقهاء المتأخرين بتحريم دخول المصحف إلى أرض الكفار ، وقال بعض المفسرين بتحريم مسه لغير المسلم ، ويقول المعارضون الآن بتحريم ترجمته . فنخرج من هذه التحاريم الثلاث بأن القرآن الكريم يحرم دخوله في بلاد الكفار ، ويحرم عليهم مسه ، ونحرم ترجمته لهم . ونخرج أيضا من هذه النتيجة بأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرسل إلى الناس كافة ، بل أرسل إلى أمة العرب خاصة .

وهذه النتيجة لا ترضى المسانعين ، ولا المحيزين ؛ لأنها تخالف منطوق القرآن الكريم ، ويأباه العقل السليم .

جواز مس
المصحف لغير
المسلم

قد يقول قائل : إن القرآن يحرم مسه بدليل قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ^(٢)) . فنهى سبحانه عن المس لغير الطاهر ، فضلا عن الكافر .

(١) سورة الأعراف . آية ١٥٠

(٢) سورة الواقعة . من آية ٧٧ إلى ٧٩

وجوابنا على ذلك : أنه نفى لانهى . أى أن المولى سبحانه وتعالى يرد على الكافرين أقوالهم ، واقتراءاتهم ، وطعنهم فى القرآن . وذلك لأنهم قالوا : ^(١) « إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ » . ^(٢) « إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . ^(٣) « إِن هَذَا إِلَّا آخِلَاقٌ » . ^(٤) « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آكْتَتَبَهَا فِيهِى كُفْلٌ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلٌ » . إلى غير ذلك من إفكهم وضلالهم .

فرد عليهم بقوله : ^(٥) « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ » . أى إن هذا المتلوه لقرآن عظيم ، وكان قبل نزوله إليكم ^(٦) « فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ » : مستور ، مصان . وهو اللوح المحفوظ ، فكيف يصل إليه إنسان ، أو يمسه بشر كما تزعمون ؟

وليس منقولاً من أساطير الأولين كما تدعون . ^(٧) « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » . أى لا يمس هذا الكتاب المكنون (اللوح المحفوظ) إلا الملائكة المطهرون من الذنوب ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولا يمسونه إلا بأمر ربهم لإنزال ما أمروا بإنزاله على الرسول عليه الصلاة والسلام .

أما ما ذهب إليه المفسرون من أن المراد بعدم المس هو القرآن الكريم ، فغير واضح ، إذ أن القرآن إنما نزل لهداية الكافرين ، وإرشاد الضالين ، وهم جميعاً غير مسلمين ، وغير طاهرين . فكيف نحرم عليهم مسه ، وهو لم ينزل إلا لهم ، ولم يخاطب إلا إياهم .

المطهرون
هم الملائكة
لا البشر

(١) سورة النحل . آية ١٠٣ (٢) سورة الأنفال . آية ٣١

(٣) سورة ص . آية ٧ (٤) سورة الفرقان . آية ٥

أما المؤمن الحسن الإسلام، فلو شاء ألا يمس القرآن إلا طاهرا
مطهرا فليفعل.

وعلى هذا المعنى الذى ذهبنا إليه : يجوز مس المصحف للكافر بغير قيد ولا شرط ، وللمسلم بغير طهارة ؛ إذا لم يكن المقصود من ذلك إهانة المصحف أو الإضرار به . فإهانته كفر لا يعدله كفر .

لقد وضع مما تقدم من الحجج العقلية والنقلية : أن ترجمة القرآن لسائر اللغات الحية ، أمانة في عنق سائر المسلمين . وأن النداء بوجوبها ، والسعي في سبيلها ، وبذل النفس والنفس من أجلها ، واجب على سائر العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ، والذين يجب عليهم أن يقوموا بتبليغ دعوة الله ، لسائر خلق الله ، لا فرق بين عربهم وعجمهم .

المراد من الترجمة

ألا فليعلم المسلمون أجمع - المانعون والمجيزون - بأن المراد من الترجمة هو وصول الدعوة إلى من لم تصل إليه ، وهداية من عنده استعداد للهداية ، وإقامة الحجّة على من أجاب داعي الغواية .

المراد من الترجمة : أن يرسل ذلك النور الإلهي إلى الأمم الأخرى ،
فمن شاء سار في ضوئه ففاض ونجا ، ومن شاء تخبط في دياجير الكفر فذل
وهوى !

المُراد من الترجمة : أن نهدي الناس بما هدينا به ، وأن نتقدهم بما أنزله الله تعالى هاديا ومنقذا .

المراد من الترجمة : أن تقوم لله تعالى الحجة على جميع عباده، وأن تصل دعوته الى سائر خلقه .

المراد من الترجمة : أن تعلم الناس أن للمسلمين قانونا يقضى لصغيرهم من كبيرهم ، ولفقيرهم من غنيهم ، ولضعيفهم من قويهم .

المراد من الترجمة : أن تعلم الأمم الغربية أن ما بلغوه من رقى ، وما وصلوا إليه من مدنية ومعارف ، قد أدركت أضعاف أضعافه الأمة الإسلامية منذ عشرات القرون مدة تمسكهم بتعاليم القرآن .

المراد من الترجمة : أن نعرف الفرنج أنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على الأمن في أرق العواصم الأوروبية ، بقوانينهم الوضعية ، في حين أن رجلا واحدا من البدو استطاع أن يحفظ الأمن بشريعة القرآن ، في بلاد لم يكن فيها من قبل سوى سارق ، أو ناهب ، أو قاطع طريق .

الأمن في الحجاز

المراد من الترجمة : تعريف سائر الأمم بخاتم النبيين ، وخاتم الكتب . وإنقاذهم من الضلالة ، وتخليصهم من الجهالة .

أما قول المعارضين بأن إعجاز القرآن الكريم في لفظه ، فهو في الواقع تقليل من شأنه ، وانتقاص من قدره .

إعجاز القرآن

نعم إن القرآن معجز في ألفاظه ، معجز في معانيه ، ولكن وجه الإعجاز الذي يتضاءل أمامه كل إعجاز ، هو إعجازه في أحكامه ومعانيه ، وفي أوامره ونواهيه .

(١) هو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود : الذي استطاع بفضل تمسكه بإقامة حدود الله تعالى ، أن يجعل من الحجاز مملكة لا تضارعها أرق ممالك العالم في المحافظة على الأمن ، وقطع دابر الفساد والإجرام .

إن الباحث في روح الإسلام ومقاصده ، يجد أنه لم يفرق بين أعجمي وعربي ، ولم يجعل فضلا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^(١) .

وقد أرسل الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَانَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٢) . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(٣) .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم — قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى — في حجة الوداع :

« لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدَ مِنْكُمْ الْغَائِبَ قُرْبَ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَمْعٍ » . أى : يا معشر العرب ، يا من رأيتموني ، وأخذتم الدين عني ، وتلقيتم تعاليمه على ، وتلقنتم كتاب ربكم مني . بلغوا ما أخذتموه ، وانقلوا ما سمعتموه إلى سائر الناس ، فرب رجل تبلغونه القرآن والدين ، يكون أوعى منكم أتم يا من سمعتموه مني ، وأخذتموه عني .

ولا يخفى أن التبليغ — كما قدمنا — يجب أن يكون بلسان المبلغ إليهم ، لا بلسان المبلغ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾^(٤) .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٥) . فإذا كان الله تعالى يقول للرسول عليه الصلاة والسلام : إننا لم نرسلك إلا رحمة للناس أجمعين وقد أرسلناك لتخليص البشرية ، وإنقاذ الإنسانية ، بإرشاد الناس إلى ما يصلحهم ، وتوجيههم إلى ما ينفعهم .

(١) سورة الحجرات . آية ١٣ (٢) سورة سبأ . آية ٢٨ (٣) سورة الأعراف . آية ١٥٨

(٤) سورة إبراهيم . آية ٤ (٥) سورة الأنبياء . آية ١٠٧

لم يفرق القرآن
بين عربي وأعجمي

أمر الرسول
أتمته بالتبليغ

رسالة الرسول
رحمة للعالمين

فكيف تكون تلك الرحمة مقصورة على فريق دون فريق ، وعلى أمة دون أمة ؟

قد يقول قائل : إن المراد برسالة الرسول في هذه الآية : هي تعاليم الإسلام ، والحث على التمسك بالفضائل ، واجتناب الرذائل . فلا حاجة لنا بترجمة القرآن للأعاجم ؛ بل الواجب ترجمة التعاليم فحسب .

القرآن هو
المخصوص بالرسالة

وجوابنا على ذلك : أن القرآن الكريم هو الرسالة التي كلف الرسول عليه الصلاة والسلام بإبلاغها ، وهو المعجزة التي ثبتت لدينا ودامت :
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ * مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمُ
ولولا القرآن ما آمن إنسان . ولم تحي المعجزات الأخرى إلا تصديقا لمن يحمل تلك المعجزة العظمى ، وتثبيتا له وتوثيقا لأمانته أمام المرتابين من أمته .
وإلا فما حاجتنا إلى انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين الأصابع ، وتكليم الجمادات والحيوانات . إلى غير ذلك مما لم يثبت ثبوتا قطعيا ، ولم تكن الأمة في حاجة إليه .

أما القرآن فقد أنزل لإنذار الناس جميعا ، وإبلاغهم جميعا ، وتذكيرهم جميعا .
قال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

يتضح لنا من ذلك : أن المراد من رسالة الرسول عليه السلام : هو القرآن فحسب ، وأن نزول القرآن رحمة لجميع الناس ، ولا يجوز أن تختص أمة العرب وحدها بهذه الرحمة دون سائر الأمم .

كيف تكون الترجمة

وأنا مهما قللت من شأني، وحقّرتُ من أمرها . فلا أقلّ من أني
إنسان ؛ والقرآن نزل لكل إنسان . ولا أصغر من أني بشر؛ والقرآن نزل
لسائر البشر .

وأنا فوق كل هذا عربي، وقد كلف الله تعالى العرب - بنص كلامه
الكريم - بإبلاغ القرآن .

فاذا ما تكلمت في : كيف يبلغ القرآن ؟ وكيف ترجمه للأعاجم ؟
فلا أكون متطفلا، أو متكلمًا فيما لا يعنيني .

من المعلوم قطعيا أن الترجمة الحرفية غير ممكنة ، وغير ميسورة .
وكذا الترجمة اللفظية^(١) . وذلك لاختلاف الاصطلاحات ، وتشابه مدلول
الألفاظ في شتى اللغات .

فلم يبق أمامنا سوى ترجمة معاني القرآن ، وهي نفسها تسمى
« ترجمة القرآن » . لأن المراد من كل مقروء : هو معانيه ومراميها . ولأن
الألفاظ إن هي إلا ظرف للمعاني . والمراد من كل شيء المظروف لا الظرف .
ولم يرسل الله تعالى لنا القرآن إلا لفهم ما فيه من المعاني ، ونعمل
بما جاء به من الأحكام . لالتغني بألفاظه وحروفه فحسب .

(١) ولو أمكنت الترجمة الحرفية واللفظية ؛ لما جاز العدول عنها الى غيرها .

رأينا في كيف
تكون الترجمة

تعبر الترجمة
الحرفية

ترجمة معاني
القرآن

فاذا ترجمت تلك المعاني ، وهذه الأحكام ، كانت ولا شك ترجمة صحيحة للقرآن وما جاء به القرآن ، وما أراده منزل القرآن .

ومن بَلَّغَتْهُ هذه الترجمة ، فقد وصلت إليه رسالة الرسول عليه السلام وأصبح في عداد المنذرين ، الذين حق لهم الثواب بحسناتهم ، ووجب عليهم العقاب بسئاتهم .

من بلغته الترجمة
فقد بلغه القرآن

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾^(١) . أى أن القرآن الكريم قد تقدم إنزاله في كتب المتقدمين ، وقد سبق إنذار الأمم السابقة به بلغتهم . فهل ترجمه الله تعالى لنا من تلك الكتب ترجمة حرفية ؟

أظن أن جواب كل من يعقل : أن الترجمة إنما كانت للمعاني لا للألفاظ ، وأن الترجمة الحرفية مستحيلة من العربية إلى الأعجمية ، أو من الأعجمية إلى العربية .

ورأينا أن تشكل لجنة من كبار العلماء ، المشهود لهم بالذكاء والنبوغ وحسن الفطنة — لا بكبر الأحكام والأردان ، وطول الأجسام والأبدان — فتضع هذه اللجنة تفسيرا لمعاني القرآن ، بشرط ألا تقتيد في وضعه بآراء المفسرين المتقدمين^(٢) ، وأن تتجنب كل ما ورد في بعض التفاسير ، من الأمور

عمل تفسير
لمعاني القرآن

(١) سورة الشعراء . آية ١٩٦ ، أنظر ما كتبناه في « كان القرآن أعجميا وترجم إلى العربية » .

(٢) ليس المقصود بما ذكرناه تسفيه آراء المفسرين جميعا . فهم من أنار الله تعالى بصيرته ، فأهدانا بدائع المعاني ، وفرائد الإعجاز ، وروائع البلاغة .

وإنما المقصود : التحذير مما دس في أغلب كتب المفسرين ، من كيد اليهود وقصص القصاصين ، مما تعافه النفوس ، وتجه الأذواق ، ويخرج القرآن عن معانيه ، ويبعده عن مقاصده ومراميه ، ويلحق بالملائكة المقربين ، والأنبياء المكرمين ، ما ينبغي أن نصونهم عنه .

المستهجنة المزدولة، التي دسها أعداء الدين في الدين ؛ مما يتناقى مع عصمة الأنبياء والملائكة المكرمين .

مع مراعاة التوسع في المواضيع التي لم تألفها الأعاجم ، ولم تترقض نفوسهم بعد عليها : كتعدد الزوجات — مثلاً — فالتألو ترجمنا الآيات الواردة فيه بدون أن نشير إلى مزاياه وأثره في المجتمع ، وفوائده التي أرادها الشارع الحكيم ؛ كان ذلك بمثابة صد عن الدين ، وعن القرآن .

لأننا لو ترجمنا قوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعٌ ﴾^(١) . كما هو بدون تعليق ؛ كان مدعاة للسخرية بالقرآن والدين ، وتحقيقاً لما كتبه المبشرون الملاعين .

وهذه الآية وأمثالها لم تنزل للتوسع والإباحة ، بل نزلت للتقييد والحجر ؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يتزوجون من النساء ما يشاءون ، بدون تقييد . فمنهم من تزوج عشراً — بل وفوق العشر — فنزلت هذه الآيات حداً لهم ، وحجراً عليهم .

أما الأجانب الآن فانهم لا يديحون سوى التزوج بواحدة فقط ، ويرون أن التعدد من الجرائم الوحشية ، وأن ارتكابه من أخطر الأشياء على الإنسانية ، وأنه هادم لنظام الأسرة والمجتمع .

فيصح أن اللجنة التي تشكل لوضع التفسير المذكور حين تصل لمثل هذا الموضوع من القرآن ؛ تعلق عليه بما تراه من وجهة نظر الدين الإسلامي ، ومن

(١) سورة النساء . آية ٣

صوابية التعدد وحكمته ، وحاجة الكون والأسرة والمجتمع إليه . مع ذكر القيود التي قيده بها القرآن ، وذكر الآثار التي تترتب على منع التعدد . وأن يكون كل ذلك بأسلوب مهذب ، ووضع دقيق .

وهكذا كل المواضع الخلافية ، التي يختلف فيها كتابنا عن كتابهم ، وتقاليدها عن تقاليدهم ، وعاداتنا عن عاداتهم .

وها نحن أولاء نرى الأمم الأوروبية تحرم التعدد ، إلا أنها تبيح ما هو شر منه ، وهو المخادنة^(١) ، والزوجات الغير الشرعيات ، إلى ما لا نهاية له من فسقهم وفسادهم^(٢) .

وبعد إتمام هذا التفسير : يطبع ويعرض في سائر الأقطار الإسلامية ، ونتناوله أقلام الأدباء بالنقد ، والسنة العلماء والفضلاء بالبحث .

وبعد مضي مدة كافية لذلك النقد ، وهذا البحث : يعقد مؤتمر إسلامي برئاسة كبير من العلماء الأتقياء . وتكون مهمة هذا المؤتمر : النظر في كل نقد وجه إلى هذا التفسير ، لاستدراك ما يجب استدراكه .

وبعد ذلك تُسَكَّلُ لجنة تضم خيرة المثقفين في دراسة اللغات ، فَتَرْجِمُ هذا التفسير إلى اللغات المراد نقله إليها ، وبعد ذلك تشكل لجنة أخرى لمراقبة عمل الأولى ، حتى إذا ما أقرته بدورها ، شرع في طبعه ونشره فوراً ، غير عابئين بما يقوله المتقولون ، ويرجف به المرجفون .

وبذلك نكون قد حملنا الأمانة ، وأدينا الرسالة ، وقامت على سائر الناس الحججة ، وسقطت عنهم المعذرة .

(١) المخادنة : المصادقة ، وهو اتخاذ العشيقة .

(٢) أنظر ما كتبناه مفصلاً عند تفسير هذه الآية في كتابنا « أوضح التفاسير » .

عقد مؤتمر
لنقد ما يعمل

الجنة التي يعهد
إليها بترجمة القرآن

ونخرج من دراستنا في هذا الكتاب بأربع نتائج :

أولها — أن كَتَبَ المصحف الأول كانوا من الأُمِّيَّةِ بالمكان الذي جعلهم يكتبونه على غير أصول الكتابة الصحيحة . غير أنهم — رضى الله تعالى عنهم — نقلوه للأمة الإسلامية مشافهة كما أنزله الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام . وهو مصان محفوظ طول العمر ، وأبد الدهر . وليس لأحد أن يمنع كتابته أو قراءته على غير الكَتَبَةِ الأولى .

ثانيها — أن القراءات قد أبيضت في بدء نزول القرآن للتسهيل على راغبي الإسلام ودفع المشقة عنهم . وبعد أن فشا الإسلام وذاع ، وانتشرت العلوم والمعارف في الأمة الإسلامية : نهى عثمان عن قراءة القراءات بتاتا ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ بل وقد تم اتفاقهم على إحراق ما عدا قراءة قريش من المصاحف . فليس لكائن من كان أن يقول بجوازها ، بعد منع الصحابة لها .

ثالثها — أن سائر الأحاديث المنسوبة الى الرسول عليه الصلاة والسلام — مهما بلغ في توثيق روايتها ، وثبوت صحتها — لا يجوز نسبتها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا إذا كانت متفقة مع العقل السليم ، والكتاب الكريم ؛ أما إذا اختلفت عن ذلك في شيء فهي مما دَسَّه الأعداء ، والرسول منه براء . ولا يحق لمسلم أن يدعى صحة ما يرفضه العقل والذوق والمنطق والدين .

النتيجة الختامية
لدراسة
هذا الكتاب

رابعها — أن القرآن الكريم نزل لجميع الناس ، فيجب أن يصل
لسائرهم بالهجاء الذي يفهمونه ، والرسم الذي يستطيعونه ، واللسان الذي
ينطقونه . فلا يصح لعاقل أن يقول بتبليغه للعرب بالأعجمية ، أو للأعجم
بالعربية .

بل تجب كتابته بهجاء من يريدون تعلّمه ، وترجمته بلغة من يريدون
تفهمه . وهذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، وسبحان الله ، وما أنا من
المشركين . وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين !

خاتمة

الحمد لله الذى جعلنا أمةً وَسَطًا ، لنكون شُهَدَاءَ على الناس ،
ويكون الرسولُ علينا شَهِيدًا . وَهَدَانَا بالقرآن ، وَوَفَّقَنَا للإيمان !

وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِهِ ، وَلَا خُضُوعَ وَلَا اتِّجَاءَ إِلَّا لَهُ . وَلَا تَذَلُّ وَلَا اتِّهَالَ
إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا طَلَبَ وَلَا اسْتِجْدَاءَ إِلَّا مِنْهُ ، وَلَا رَحْمَةَ وَلَا غُفْرَانَ
إِلَّا عَنْدهُ ، وَلَا أَمَلَ وَلَا رَجَاءَ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا رَاحَةَ وَلَا أَمْنًا إِلَّا
فِي لِقْيَاهُ ، وَلَا فَوْزَ وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ !

فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَى ، وَهُوَ حَسْبُنَا
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ !

صفحة	صفحة
٣٠ آلام الحياة	٢٧ المدخل في الإسلام
٣٠ الأساس	٢٧ ترك روحانية القرآن
٣٠ الاستسلام	٢٨ الاختلاف في تفسير القرآن
٣١ الطاعة سبب السرور	٢٨ الدس في معاني القرآن
٣١ التمسك بالقرآن	٢٨ الدس لم يؤثر على القرآن
٣٢ المقطوع في القرآن	٢٨ القرآن ملاذ المسلمين في مصائبهم
٣٢ الويل لمن عاداه القرآن	٢٩ القرآن ملاذ المسلمين في ضعفهم
٣٢ خلود قاتل العمد في النار « بالهامش »	٢٩ لذائذ الدنيا
٣٢ تحريم الجنة على القاتل والأمر به « بالهامش »	٣٠ سلوة القرآن

جمع القرآن وتدوينه

٣٨ كتابة المصحف	٣٤ سبب جمع القرآن
٣٨ اختلاف الناس في القراءات	٣٤ التفكير في جمع القرآن
٣٨ القراء من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم	٣٤ قتل أكثر القراء في وقعة الجمل
٣٨ نهى عثمان رضي الله عنه عن القراءات	٣٤ معارضة أبي بكر في جمع القرآن
٣٨ اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم « بالهامش »	٣٥ معارضة زيد بن ثابت في ذلك
٣٩ أمر عثمان رضي الله عنه الناس بقراءة واحدة	٣٥ جمع القرآن في زمان أبي بكر
٣٩ كتابة مصحف عثمان	٣٦ الطريقة التي جمع بها القرآن
٣٩ كتابة المصحف	٣٦ عدم إثبات آية الرجم
٤٠ حرق سائر المصاحف عدا مصحف عثمان	٣٦ سبب عدم جمع القرآن في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام
٤٠ مراجعة عثمان رضي الله تعالى عنه لمصحفه	

لحن الكتاب في المصحف

٤٤ رأى الضحاك رضي الله تعالى عنه في ذلك	٤١ رأى عائشة رضي الله تعالى عنها في خطأ الكتاب
٤٥ قراءة القرآن على صحته لغة لا على رسمه	٤٢ رأى سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه في ذلك
٤٥ حفظ القرآن من التبديل	٤٣ رأى أبان بن عثمان رضي الله تعالى عنه في ذلك
٤٥ جواز الخطأ على كتاب المصحف	٤٣ رأى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في ذلك

صفحة	صفحة
٤٧ القراء السبع	٤٥ عصمة الأنبياء عليهم السلام
٤٩ زيادة القراءات إلى عشر	٤٦ تسمية المصحف
٤٩ القراءات الشاذة	٤٦ سبب كتابة عثمان رضي الله تعالى عنه للمصحف
٤٩ كثرة اختلاف الروايات	٤٦ ترتيب السور
٤٩ نقط المصحف وشكله	٤٧ ترتيب الآيات
٥٠ ما غيره المحاج في المصحف	٤٧ اختلاف مصاحف السلف في الترتيب
٥٢ سبب ما فعله الحجاج من التغيير	٤٧ عودة الناس إلى القراءات

هجاء القرآن ورسمه

٦٢ كراهة إحداث شيء في المصحف	٥٤ أقمية الرسول عليه الصلاة والسلام
٦٢ قول الجعفي «أحد المدافعين عن الرسم القديم»	٥٤ معجزات عيسى عليه السلام
٦٣ الرد على هذا القول	٥٤ معجزات موسى عليه السلام
٦٣ الخلاف بين الرسم القديم والهجاء الحديث	٥٥ فصاحة الأمة العربية
٦٤ جدول يبين هذا الخلاف	٥٥ كمال الرسول عليه الصلاة والسلام بأمنه
٦٥ أخطاء الرسم لا تحدد	٥٥ بلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام وأدبه
٦٥ كتاب شيخ المقارئ	٥٦ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الديمقراطية
٦٦ تهذيبه من رسم المصحف الحالي	٥٦ وصف الجاحظ لبلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام
٦٦ حذف ألف جمع المذكر السالم	٥٦ أمي بهر الخطباء والأدباء والمتعلمين
٦٦ مخالفة شيخ المقارئ لرسم المصحف	٥٧ أمية العرب
٦٧ منع الناس من قراءة القرآن	٥٧ عجز كاتب المصحف الأول في الإملاء
٦٧ تكفير من ينقص أو يزيد في الرسم	٥٨ تعليل علماء الرسم لخطأ الوارد في إملاء المصحف
٦٧ من قال بعدم جواز الكتابة بالرسم الأول	٥٩ تعلم الكتابة في الأمة الإسلامية
٦٨ النبي عليه الصلاة والسلام لم يأمر بهذا الرسم لأنه أمي	٥٩ أول من تعلم الكتابة من العرب
٦٨ زعمهم بأن المراد بالرسم عدم الاهتداء للتلاوة	٥٩ اختلاف الهجاء لا يغير النطق
٧١ التناقض الموجود في رسم المصحف	٦٠ رأى الإمام مالك في هجاء المصحف
٧١ تحريف صيغة التوكيد إلى صيغة النفي	٦١ مغالطة علماء الرسم في رأى مالك رضي الله تعالى عنه
٧٢ نقص الألف وزادتها بغير موجب	

صفحة

- ٨٥ ... سبب الرسم الأول للمصحف ...
 ٨٥ ... صعوبة قراءة الرسم القديم وتعمرها ...
 ٨٦ ... رأى العلامة ابن خلدون في كتابة المصحف ...
 ٨٧ ... ابن خلدون يقول بتغفل علماء الرسم وتحكمهم ...
 ٨٧ ... الخط ليس كمالا في حق الأمة العربية ...
 ٨٨ ... الأمية كمال في حق الرسول عليه الصلاة والسلام ...
 ٨٨ ... رسم المصحف ليس بحجة ...
 ٨٨ ... إخلال رسم المصحف بأصول الرسم العربي ...
 ٨٩ ... ليس هناك إجماع على الرسم القديم ...
 ٨٩ ... انعقاد الإجماع على مخالفة الرسم القديم ...
 ٩٠ ... الإجماع لا يكون حجة على السنة ...
 قول عثمان رضي الله تعالى عنه بأن في كتابة المصحف لنا
 ٩٠ ... ستقيمة العرب بألسنتها ...
 ٩٠ ... قول عائشة رضي الله عنها بخط كاتب المصحف الأول ...

صفحة

- ٧٣ ... زيادة أحرف ونقصائها في بعض الكلمات دون بعض ...
 ٧٦ ... رسم التاء مفتوحة في بعض الكلمات دون بعض ...
 ٧٨ ... تلبس الأسباب الواهية لهذا الاختلاف ...
 ٧٩ ... إبدال السين صادًا في بعض المواضع ...
 ٧٩ ... حذف الألف من « قال » في بعض المواضع ...
 ٨٠ ... بطلان ما زعمه القراء من احتمال قراءة « قل » ...
 ٨١ ... حذف الألف من « الأيكة » في بعض المواضع ...
 ٨٢ ... حذف النون من « فإن لم » في بعض المواضع ...
 ٨٣ ... الخلاف الموجود في كتابة المصاحف ...
 ٨٣ ... ترجيح رسم على آخر بلا مرجح ...
 ٨٣ ... أين رسم مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه ؟ ...
 ٨٣ ... قصور كاتب المصحف الأول في فن الهجاء ...
 ٨٤ ... جواز كتابة المصحف وطبعه بأي هجاء ...

تلاوة القرآن وقراءاته

- ٩٨ ... القراءات المشوهة لمعانى القرآن ...
 ٩٩ ... السكت على الساكن قبل الهمز ...
 ١٠١ ... إدغام الهمز ...
 ١٠١ ... من قال بعدم تواتر القراءات ...
 ١٠٢ ... من دون القراءات ...
 ١٠٢ ... مجاهد مولى العامريين ...
 ١٠٢ ... أبو عمرو الداني ...
 ١٠٢ ... الشاطبي ...
 ١٠٣ ... ابن فيره ...
 ١٠٣ ... لا يجوز قراءة القراءات التي مات أهلها ...
 ١٠٣ ... لا أصل لهذه اللهجات ...
 ١٠٤ ... فساد بعض القراءات لغة ...

- ٩٤ ... فضل تلاوة القرآن ...
 ٩٤ ... القرآن منبع الخيرات ...
 ٩٤ ... من جعلوا دأبهم تلاوة القرآن ...
 ٩٤ ... شفاعة القرآن ...
 ٩٤ ... القرآن نور الدور والقصور ...
 ٩٥ ... التعوذ قبل القراءة ...
 ٩٥ ... صيغة التعوذ ...
 ٩٦ ... القراءات إنما جعلت للتيسير لا للتعسير ...
 ٩٧ ... تعسف القراء وتنطعهم ...
 ٩٧ ... قراء القرآن ثلاثة ...
 ٩٨ ... إذا جازت قراءة القراءات فعل أهلها ...

صفحة	
١١٦	رأى الزمخشري في بعض القراءات
١١٧	قلة ضبط الرواة، وقلة دراية القراء
١١٨	إنكار الأخفش لإحدى القراءات
١١٨	وجوب اتباع قراءة قرش
	لم يجمع عثمان رضي الله تعالى عنه القرآن إلا لتوحيد
١١٨	القراءة
١١٩	من أين بدأ الاختلاف في القراءات
١١٩	إجماع الصحابة على قراءة واحدة
١٢٠	وجوب الدعوة إلى قراءة واحدة
١٢٠	سبب جمع أبي بكر رضي الله تعالى عنه للمصحف
١٢٠	سبب جمع عثمان رضي الله تعالى عنه للمصحف
١٢١	وجوب اتباع رأي عثمان رضي الله تعالى عنه
	زعم القراء بأن اختلاف رسم المصحف لأوجه
١٢١	القراءات
١٢٢	اختلاف رسم المصحف قد أدى إلى اختلاف القراء
١٢٢	الإمالة
١٢٣	رأى الإمام الزركشي في القرآن والقراءات
١٢٣	تواتر القراءات السبع
١٢٣	القراءات لا تجوز قراءتها على غير أهلها
١٢٤	منع القراءة بما يخالف خط المصحف
١٢٥	نزول القرآن على سبعة أحرف
١٢٥	اختلاف عمر مع هشام في القراءة
١٢٦	رأى أبي عبيد في نزول القرآن على سبعة أحرف
١٢٦	رأى الكرماني في ذلك
١٢٦	رأى القاسمي عياض في ذلك
١٢٦	رأى ابن قتيبة في ذلك

صفحة	
١٠٥	عدم صحة القراءات التي تنافي اللغة
	إنكار الرسول عليه الصلاة والسلام لبعض القراءات
١٠٥	المشورة
١٠٦	قراءة بعض الصحابة
	رضوان الله تعالى عليهم
١٠٦	قراءة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
١٠٦	قراءة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه
١٠٦	قراءة أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه
١٠٧	قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
١٠٨	قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
١١٠	قراءة ابن الزبير رضي الله تعالى عنه
١١٠	مصحف بعض الصحابة رضي الله عنهم
١١١	مصحف التابعين رضي الله تعالى عنهم
١١١	الزيادات في المصاحف تفسير لبعض الكلمات
١١١	تفسير القرآن
١١٢	سبب تمسب الخطأ إلى التفسير
١١٢	كتب التفسير الصحيحة
١١٣	من قرأ القرآن بالمعنى
١١٣	شذوذ هذه القراءات
	القراءات جميعها — شاذة وغير شاذة — لم تختلف
١١٤	في التشريع
١١٤	القراء في صدر الإسلام
١١٤	أئمة قراء الشواذ
١١٥	من قرأ القرآن بالمعنى متعمدا
١١٥	عدم جواز القراءة بالمعنى
١١٥	جهل القراء

صفحة	
١٤١	المبالغة في المد...
١٤١	المد المتصل...
١٤١	المد المفصل...
١٤١	المدة اللازم...
١٤٢	مقادير هذه المدود...
١٤٢	المبالغة في القن...
١٤٣	حكمة نزول القرآن...
١٤٣	عدم جواز القراءة على من لا يعرفونها...
١٤٣	القراء في مصر...
١٤٤	ما يتناسب كل قطر من القراءات...
١٤٤	القراءات لا تجوز قراءتها في مصر...
١٤٥	وجوب القراءة بما يفهم الناس...
١٤٥	القراءة يجب أن تكون كما تنطق العرب...
١٤٦	القراء يكفرون من لا يقرأ على قواعدهم...
١٤٦	كلام العرب...
١٤٧	تعسف القراء فيما يسمونه « القلقلة »...
١٤٧	تعسف القراء في تعطيش الجيم...
١٤٨	السكت الوارد في المصحف...
١٤٩	السكت عند قوله تعالى : « وقيل من راق »...
١٤٩	أصل السكت...
١٤٩	الوقوف على رؤوس الآي ليس بسنة...
١٥٠	وجوب وصل ما يستحق الوصل عند الفواصل...
١٥٠	الفصل بين الفعل ومتعلقه...
١٥٢	الفصل بين المستثنى والمستثنى منه...
١٥٢	الفصل بين الفعل والفاعل...
١٥٣	الفصل بين السبب والمسبب...

صفحة	
١٢٦	اختلاف القراءة بغير تغيير معناها وبقاء صورة الكتابة...
١٢٧	اختلاف القراءة مع تغيير المعنى وبقاء صورة الكتابة...
	اختلاف القراءة مع تغيير المعنى والحروف وبقاء صورة الكتابة...
١٢٨	اختلاف القراءة بتغيير صورة الكتابة وعدم تغيير المعنى...
١٢٨	اختلاف القراءة بتغيير المعنى وصورة الكتابة...
١٢٩	اختلاف القراءة بالتقديم والتأخير...
١٢٩	اختلاف القراءة بالزيادة والنقصان...
١٢٩	رأى الباقلاني في السبعة أحرف...
١٣١	ما قيل في معنى الأحرف السبعة...
١٣١	القراءات ليست هي السبعة أحرف...
١٣١	كانت القراءات للتيسير...
١٣٢	قراءة القرآن حسب الاستطاعة...
١٣٣	تضييق القراء وتعسفهم...
١٣٤	الإشمام...
١٣٥	ما يقوله القراء باطل مردود...
١٣٥	رأى كبار القراء في قراءة القرآن ورسمه...
١٣٦	نسخ المصحف بسائر الأقطار ليست كمصحفنا...
١٣٦	كيفية قراءة القرآن...
١٣٦	تطلع القراء في مخارج الحروف...
١٣٧	أثر تعسف القراء في صلاة العامة...
١٣٨	رأى الغزالي رضي الله تعالى عنه...
١٣٨	صرف الشيطان عن فهم معاني القرآن...
١٣٨	تلادة القرآن حتى تلاوته...
١٣٩	تجويد القرآن...
١٣٩	تعسف القراء في التسهيل...
١٤٠	تعسف القراء في المد وغيره...

صفحة	
١٦١	بطلان هذا الحديث
١٦٢	قوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في الجماع ...
١٦٢	تبرئة الرسول عليه الصلاة والسلام مما قالوا ...
١٦٣	لا ضير من بطلان بعض الأحاديث
١٦٣	الديانات قبل الإسلام
١٦٤	بساطة الإسلام
١٦٤	روح الإسلام في البيت والشارع والسوق ...
١٦٤	الدين المعاملة
١٦٥	ليس في الدين احتكار
١٦٥	لا فضل لأحد إلا بالتقوى
١٦٥	الأثر الاجتماعي للقرآن
١٦٦	خلاصة القول في منع القراءات
١٦٦	قول ابن جرير الطبري في ذلك
١٦٧	قول الطحاوي والباقلاني وابن عبد البر في ذلك ...
١٦٧	القراءة الحقة الواجبة

صفحة	
١٥٣	الفصل بين القول ومقوله
١٥٤	وجوب الوقوف على غير رموس الآي في بعض المواضع
١٥٤	المواضع التي لا يصح الوقوف عليها
١٥٥	الناسخ والمنسوخ
١٥٥	أقسام المنسوخ
١٥٥	منسوخ الحكم باق التلاوة
١٥٦	منسوخ التلاوة باق الحكم
١٥٧	آية الرجم
١٥٨	من أين دليل الرجم ؟
١٥٩	خطأ من قال بنسخ التلاوة وبقاء الحكم
١٥٩	ورود الخبر عن الصحابي ليس بحجة
١٥٩	حديث عائشة في إرضاع الكبير
١٦٠	بطلان هذا الحديث
١٦١	حديث طواف الرسول عليه الصلاة والسلام على نسائه

وجوب ترجمة القرآن وإذاعته

١٧٤	نزول القرآن للناس كافة
١٧٥	وجوب إنذار العرب لسائر الأمم
	احتجاج المعارضين بانفراد القرآن بالعربية دون سائر
١٧٥	الكتب السماوية
١٧٧	جهل المعارضين بمعاني القرآن الكريم
١٧٩	الذي يصح حجة للعرب يجوز أن يكون حجة للعجم ...
١٨٠	الناس سواء في وجوب التبليغ إليهم
١٨١	سبب عدم الترجمة في العصور الأولى
١٨١	وجوب الترجمة الآن

١٧٠	تمهيد
١٧٠	القرآن هو المعجزة الكبرى
١٧٠	واجب العلماء والمتقنين حيال الترجمة
١٧٠	رأى المغفور له الأستاذ المراغي
١٧١	كتب مؤيدى الترجمة
١٧١	كتب معارضى الترجمة
١٧٢	نتيجة دراسة كتب المؤيدين والمعارضين
١٧٣	وجوب ترجمة القرآن لسائر اللغات
١٧٣	عربية القرآن دليل الترجمة

صفحة

- ٢٠٣ ... القرآن هو السبب الوحيد للايمان
لم يؤمن سائر العرب بالقرآن فكيف يؤمن الكفار بغير
٢٠٤ ... قرآن؟
٢٠٤ ... لم ينزل القرآن لأمة دون أخرى
٢٠٤ ... تبليغ القرآن إلى الجن
حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه في كيف
٢٠٥ ... كان تبليغ القرآن إلى الجن « بالهامش »
٢٠٦ ... بإنذار أمة العرب يتم إنذار باقي العالم
٢٠٦ ... مثل الإسلام والقرآن
عدم الترجمة موجب للفتنة واللغة وكان لما أنزل
٢٠٧ ... الله تعالى
٢٠٧ ... مخاطبة كل إنسان بلغته
٢٠٨ ... من سمع القرآن ولم يعمل به فهو كالأصم
٢٠٨ ... رحمة الله تعالى بعباده
٢٠٨ ... اختلاف اللغات آية من آيات الله تعالى
٢٠٩ ... افتقار العربية إلى الاصطلاحات الأعجمية للتسهيل
٢٠٩ ... خطأ جمع اللغة العربية
٢١١ ... الكلمات الأعجمية في القرآن
٢١١ ... اختلاط الأعاجم بالعرب
٢١١ ... الألفاظ الأعجمية المعربة
٢١٢ ... تعريب بعض الألفاظ الأعجمية
٢١٢ ... اللغة العربية أغنى اللغات
٢١٢ ... ما جاء في القرآن بالحيشة
٢١٣ ... » » بالفارسية
٢١٣ ... » » بالرومية
٢١٤ ... » » بالهندية

صفحة

- بغير القوانين الوضعية عن كبح الجرائم ، واستناب الأمن
في بلاد الحجاز بسبب تنفيذ القانون السماوى « بالهامش » ١٨١
هل تعقل تلاوة القرآن بالعربية لمن لا يفهمها ... ١٨٢
١٨٥ نزول القرآن لسائر الناس
١٨٦ وجوب إذاعة القرآن بين الخليقة ...
١٨٦ القائلون بمنع الترجمة صادقون عن القرآن ، مانعون للإسلام
١٨٧ القول الفصل في وجوب الترجمة ...
قول المعارضين باختلاف الحوار بين على عيسى عليه
١٨٩ السلام ...
١٩١ وجوب تعلم اللغات ...
١٩٣ القرآن روح لا كالأرواح ...
١٩٣ القرآن نور لا كالأنوار ...
١٩٤ العقل « المرء بأصغريه » ...
١٩٥ تحكيم القرآن الكريم للعقل ...
١٩٥ لا تحاسب الأمم إلا بعد سماع الآيات ...
١٩٦ من لم يتسل عليه القرآن فليس بكافر ...
١٩٧ من لم يصله القرآن بلغته فليس بكافر ...
١٩٨ كان القرآن أعجمياً وترجم إلى العربية ...
١٩٨ إنذار الكافرين الذين قالوا : « اتخذ الله ولداً »
١٩٩ إنذار الظالمين وتبشير المحسنين ...
١٩٩ القرآن هو البلاغ الواجب التبليغ ...
١٩٩ وجوب ترجمة نفس القرآن لأحكامه بحسب ...
٢٠٠ هل الأعاجم مكفونون أم لا ؟ ...
٢٠٠ وجوب تلاوة القرآن على الكفار بلغتهم ...
٢٠١ من لم يسمع القرآن لا يعاقب ...
٢٠٢ الخلق كلهم سواسية أمام خالقهم ...

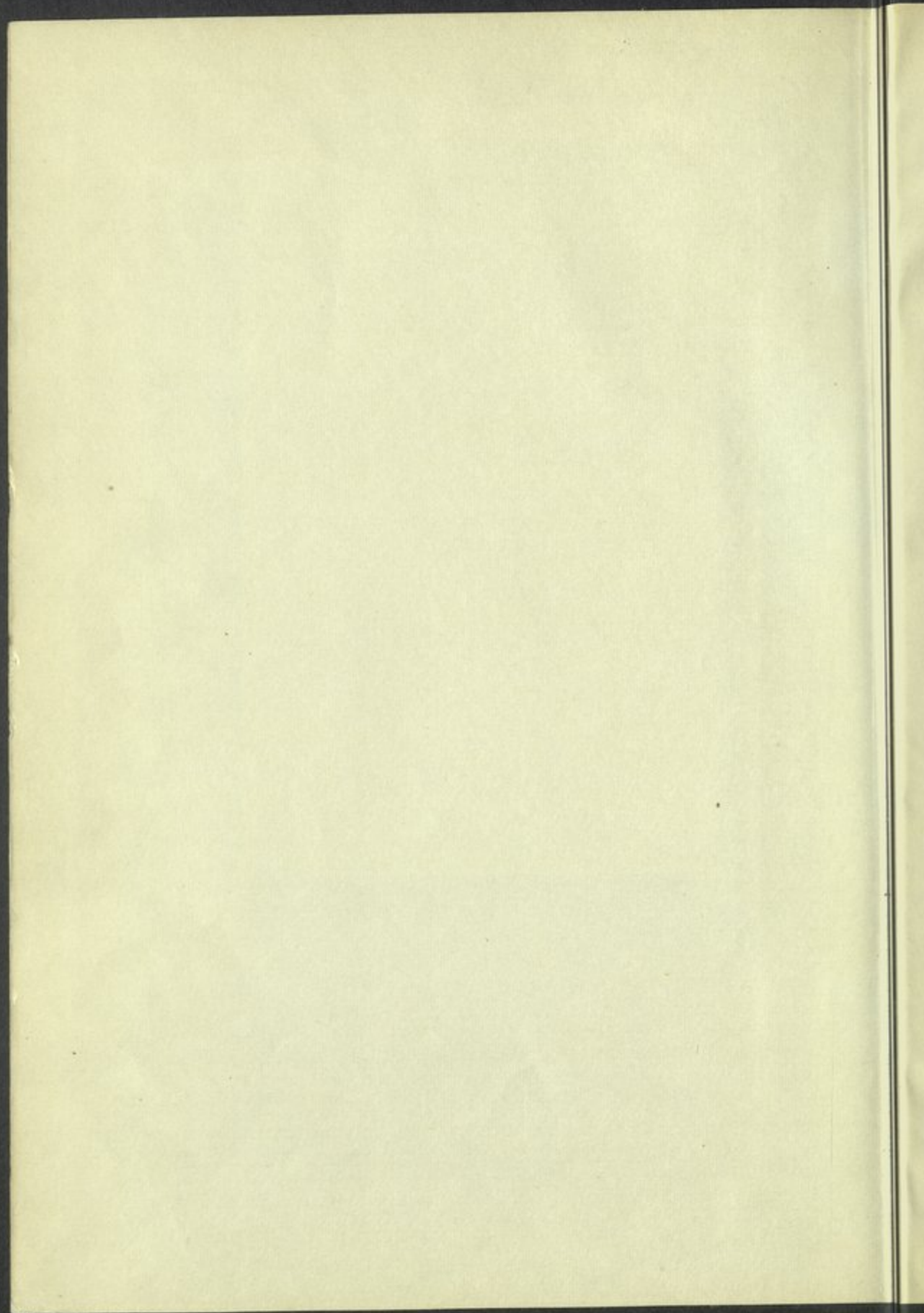
صفحة	
٢٢٦	المطهرون هم الملائكة لا البشر
٢٢٧	واجب العلماء حيال الترجمة
٢٢٧	المراد من الترجمة
٢٢٨	الأمن في الحجاز أرقى منه في أهم العواصم الأوروبية
٢٢٨	عبد العزيز آل سعود « بالهامش »
٢٢٨	إعجاز القرآن
٢٢٩	لم يفرق القرآن بين عربي وعجمي
٢٢٩	أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أمته بالتبليغ
٢٢٩	رسالة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين
٢٣٠	القرآن هو المخصوص بالرسالة ، لا تعاليم الدين
٢٣١	كيف تكون الترجمة
٢٣١	رأينا في كيف تكون الترجمة
٢٣١	تعسر الترجمة الحرفية أو اللفظية
٢٣١	ترجمة معاني القرآن
٢٣٢	من بلغته ترجمة القرآن فقد بلغه القرآن
٢٣٢	تشكيل لجنة من إدار العلماء لعمل تفسير لمعاني القرآن
٢٣٢	السكرام
٢٣٣	التوسع في المواضيع التي لا تتفق وعادات الأجانب
٢٣٣	تعسّد الزوجات
٢٣٣	عقد مؤتمر إسلامي للظرفيا عساه أن يوجه إلى التفسير
٢٣٤	من نقد
٢٣٤	الجنة التي يناط بها ترجمة القرآن
٢٣٥	النتيجة الختامية لدراسة هذا الكتاب
٢٣٧	خاتمة

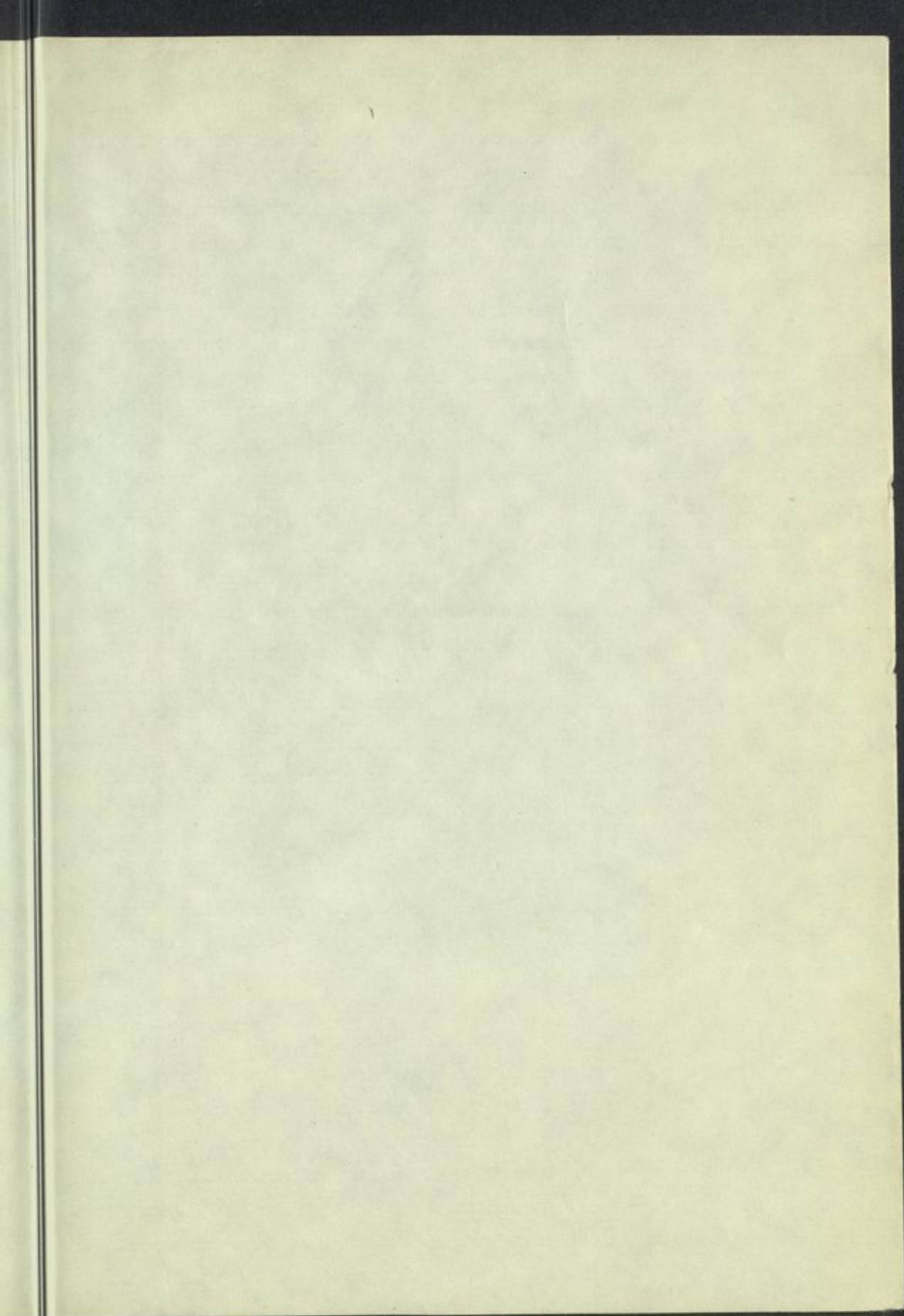
صفحة	
٢١٤	ما جاء في القرآن بالسريانية
٢١٤	» » بالعبرانية
٢١٥	» » بالنبطية
٢١٦	» » بالقطبية
٢١٦	» » بالتركية
٢١٦	» » بالانجليزية
٢١٦	» » بالسريانية
٢١٧	القرآن يجمع الكثير من اللغات
٢١٧	تمسك المجمع بتعريب الأسماء الأعجمية
٢١٧	إبدال المجمع لأسماء مشهورة بأخرى مهجورة
٢١٨	سبب نزول القرآن بالعربية دون سائر اللغات
٢١٩	الأمة العربية كانت من أحط الأمم قبل الإسلام
٢٢٠	عدم الترجمة يزيد الأعاجم بعدا عن العربية
٢٢١	ترجمة القرآن تستعرب الأعاجم
٢٢١	حكم التفسير كحكم الترجمة سواء بسواء
٢٢٢	رأى الإمام ابن حجر في وجوب الترجمة
٢٢٢	رأى الإمام الزنخشي في ذلك
٢٢٢	عدم الترجمة حجة للأعاجم
٢٢٣	النهى عن دخول المصحف أرض العدو
٢٢٣	لغات العالم « بالهامش »
٢٢٥	إلقاء موسى عليه السلام لالواح وتكسرهما وضياها بعضها
٢٢٥	جواز دخول المصحف أرض الكفار
٢٢٥	التعارييم الثلاث
٢٢٥	جواز مس المصحف لغير المسلم

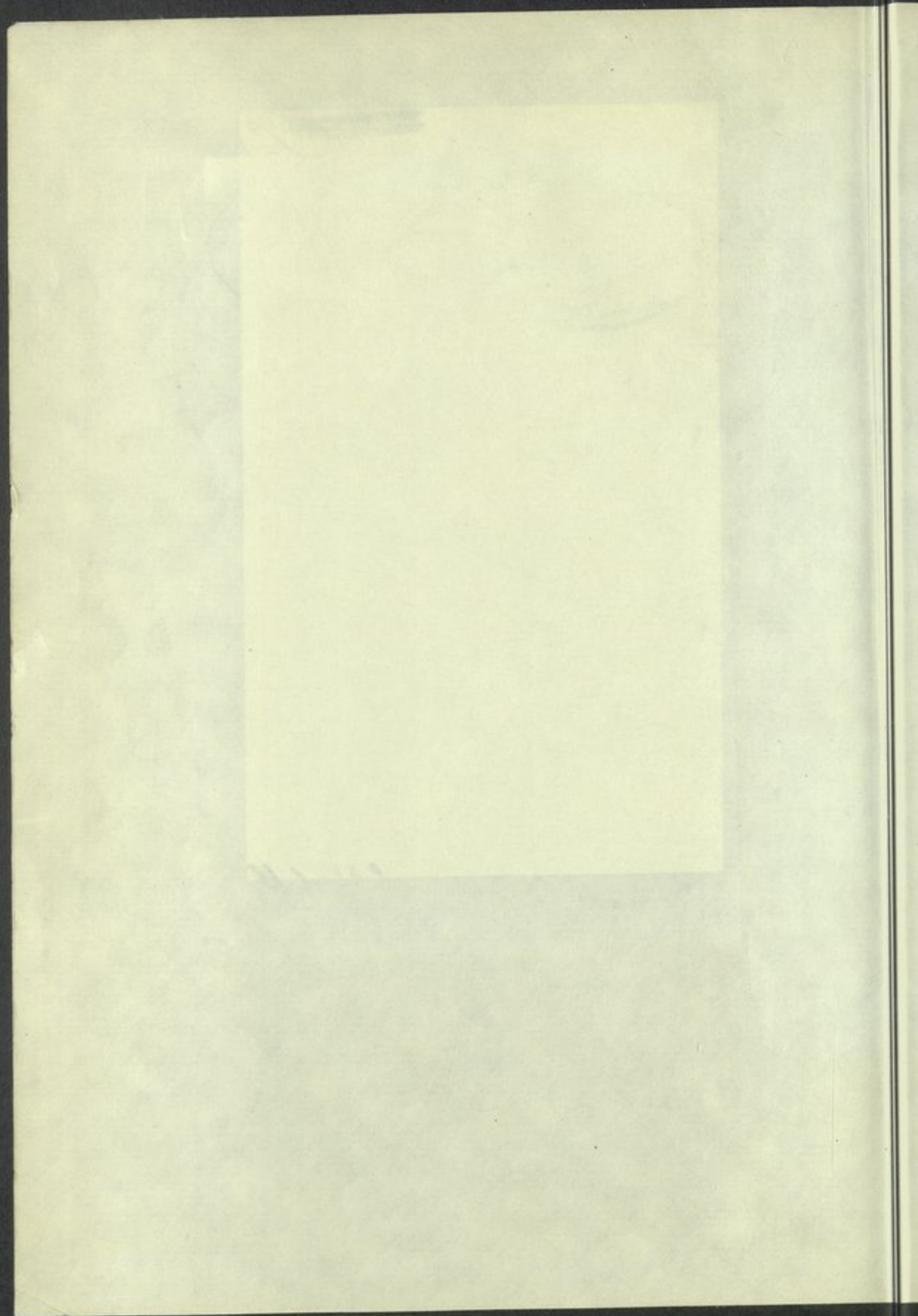


كَمَل طبع كتاب "الفرقان" بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الأحد ٧ رجب سنة ١٣٦٧ (١٦ مايو سنة ١٩٤٨) م

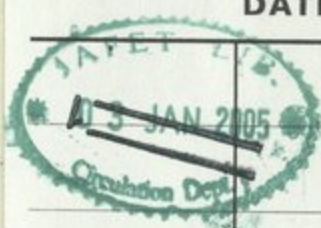
محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية







DATE DUE



297.122:I13fA:c.1

ابن الخطيب، محمد عبد اللطيف
الفرقان: جمع القرآن وتدريبه، هجاؤه و

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01006400

297.122
I13fA

